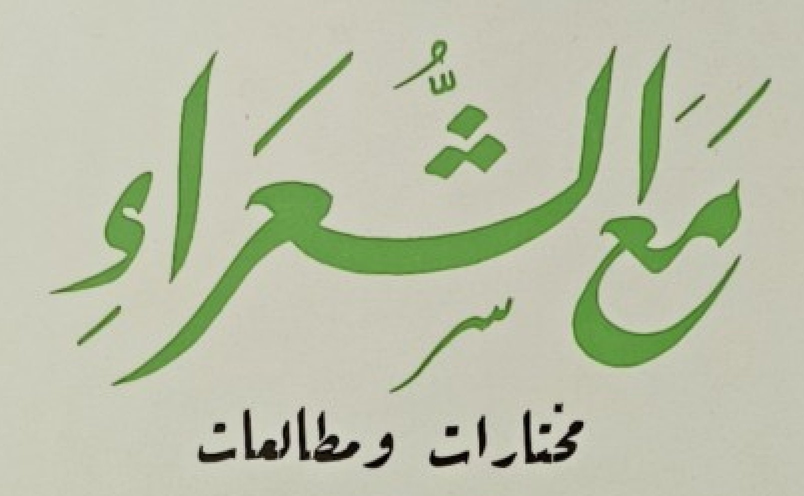


مختارات ومطالعات

بقلم

حمد الجاسر

طبع بإشراف
(دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر)
الرياض - المملكة العربية السعودية



بقلم

حمد الجاسر

من منشورات
(النادي الأدبي في بريدة)

طبع بإشراف
(دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر)
الرياض - المملكة العربية السعودية



بسم الله الرحمن الرحيم



مقـــدمة

أكرمني الأخ حسن بن هويمل — رئيس (النادي الأدبي في بريدة) وعَبَّرَ لي عن حسن ظنه بي فطلب أن أقدم للنادي كتاباً يتولى نشره في سلسلة مطبوعاته .

وأنا لي رَأْيٌ فيما نشرته النوادي الأدبية أوضحته في فاتحة الجزء الحادي عشر من مجلة « العرب » لسنتها الثانية عشرة — بتاريخ جُمَادَى سنة ١٣٩٨ بعنوان : (رابطة للأدباء) وخلاصة ذلك الرأي : (وما الفائدة من هذه النوادي إذا لم تسهم إسهاماً قوياً في دفع الحركة الأدبية قُدُماً ، وإزالة ما يخيّم عليها من ركود وضعف ، وقل إن شئت : ومن موت ؟! وما جَدْوَى هذه الكتيّبات التي تنشرها ، ومنها ما سبق نشره منذ سنين ، ما جدواها في أثر تلك النوادي ؟!) .

وإذَن فلا يكفي القول بأن ذلك الانتاج الأدبي قليل الجدوى ، بل لا بُدَّ من إيضاح السبب في عدم جدواه ، مع محاولة رسم طريقة تحقق الاستفادة مما تنشره النوادي في إنعاش الحركة الأدبية . إذ ما أيسر أن يقال : هذا العمل غير مجد ، ولكن ما أصعب تقديم ما هو خير منه ! ! ويبلغ بي الغرور مبلغه إذا بلغت ثقتي بنفسي هذا الحَدَّ ، ولكنني — بمطالعة كثير من منشورات تلك النوادي — برزت لي جوانب من السِّمَات الواضحة في تلك المنشورات ، التي من خلالها كونت تلك الانطباعات التي أقمت عليها القول بضعفها .

وأهمها : أن كثيراً من تلك المؤلفات لا ترتكز على قواعد قوية من التراث العربي الأصيل ، وأعني بها ما له صلة بذلك التراث ، ويرجع هذا — في رأيي — إلى ما تتصف به النفس من محبة البروز في أي عمل من الأعمال ، والناس في هذا سواء ، ولكنَّ الشباب أسرع من غيرهم في ذلك . وأذكر أنني كنت في أول ممارستي الكتابة أمضي الوقت الطويل في تسويد الأوراق بكلام لا طائل تحته ، فإذا رضيت نفسي — ومن ذا الذي لا ترضي نفسه عما يفعل — سعيت إلى إحدى صحفنا — وكانت ثلاثا إذ

ذاك — وويل لمن قال لي : إن هذا لا يصلح للنشر ، وما أشد فرحتي حين أرى اسمي مذيلاً بما كتبت بعد أسبوع أو شهر من تقديمه للصحيفة ، وبعد إلحاح وكثرة مراجعة لكي يُنْشر. أما بعد أن أصبحت على جانب من الإدراك والفهم فإنني إذا عرض علي شيء مما نشر لي أكاد أتوارى خجلاً ، بل كنت إذا اطلعت عليه منفردا — عن غير قصد — أُحاول أن أخفيه ، كمن يحاول ستر سَوْءتِهِ .

تتفاوت المدارك والأفهام ، فهناك الموهوب والذكيُّ وضدُّهُما ، ولكن مما لا شكّ فيه أن الكاتب — مهما بلغ من الذكاء والفهم — لا بدّ له من قاعدة تقوم عليها أفكاره ، هي حصيلة ما تختزنه ذاكرته من معلومات ، وأيَّ أديب عربي إذا لم تكن لديه ذخيرةٌ جيدة من تراث أمته فإن إنتاجه يكون ضحلاً ، لا أقول عديم الفائدة ، بل مبتور الصّلة عما لأمته من حياة فكرية ، تقوم وظيفته في حياته الأدبية على صلته بتلك الحياة ، بل على تقويتها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

هما أمران ألمعت إليهما من أسباب ضعف الانتاج الأدبي : الرغبة في نشر ذلك الانتاج قبل أوان نضج التفكير ، وعدم التمكن من الوسائل التي تحقق لذلك الانتاج الاستقامة والقوة بالتعمق بدراسة التراث العربي ، تعمقاً يمكن الكاتب من تقويم أسلوبه وتوسيع مداركه ، وكما يحصل هذا من أثر الدراسات المختلفة ، فإن للمطالعة أكبر الأثر في تنمية حصيلة تلك الدراسات ، بل ليس من المبالغة القول بأن أثرها أعمق وأقوى ، وهي مهيأة للإنسان في أية لحظة من لحظات حياته . وما عليه إلا اختيار ما يطالع ، وأن ينظم من أوقاته ما يلائم ظروف حياته .

ولقد كنت — إلى عهد قريب — أنصح كل من استشارني ورغب أن أنصحه بما يقرأ من كتب — أنصحه بأن يقرأ كل ما يقع في يده من كتاب أو صحيفة ، وكان ذلك قبل أن تطغى موجةُ النشر في أيامنا ، لقد كانت الصحف التي تقع تحت يدي القارىء محدودة ، وكذا الكتب ، أما الآن فقد (طفح الكيل) كما يقال ، لقد امتلأت المكتبات ، بل الأسواق عامة بمختلف المطبوعات ، وخاصّة ما كان منها يُلائِم ذَوْقَ طبقات خاصة من الناس ، ممن يغلب على دوافعهم للمطالعة (قتل) الوقت بما يثير

مختلف الأحاسيس .

وكثير من تلك المطبوعات لا يقف ضررها عند تضييع الوقت بما لا طائل تحته ، والوقت أثمن ما في حياة المرء ، بل منها ما يُفْسد الذوق ، ويضعف ملكة الإبانة والإفصاح عن مختلف الآراء بأسلوب عربي قويم ، وعلى ذوق الكاتب وسلامة أُسلوبه وسمو أفكاره تقوم منزلته في دنيا الأدب ، ويحتل المكان الملائم له .

ولئن أَغْرَتِ الكتبُ الحديثة بأساليبها الجذابة التي لا تجهد الفكر إجهاداً يدفع القارىء إلى السأم من المطالعة في الوقت التي اتخذ منها وسيلة للراحة وامتاعاً للنفس بما يثير لها البهجة ، فإن في المؤلفات القديمة ما لا يقل أثراً في هذه الناحية من تلك الكتب ، مع امتيازها بإمداد القارىء بما يُرَبِّي في نفسه ملكة الذوق السليم ، واستقامة الأسلوب ، من سلاسة وغوص في أعماق النفس لإثارة عواطفها .

وخُذْ — مَثَلاً — مؤلفات الجاحظ ، فمن ذا الذي يُرَوِّضُ نفسه من القرَّاء على التَّمَعُّنِ في قراءتها ثم يقبل على مطالعة كتابه «البخلاء» ولا يدرك بعد ذلك ما قيل عن تلك المؤلفات من أنها تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً .

وعندما أُسْنِدَ إليَّ العمل لوضع مناهج الدراسة في أول (معهد) أُنْشِيءَ في مدينة الرياض ثم في كليتي اللغة العربية والعلوم الشرعية التابعتين له ، كان مما اخترته للمطالعة هذا الكتاب ، حتى زار (كلية اللغة العربية) وكنت مديرها الشيخ محمد حامد الفقي فقال للشيخ محمد بن إبراهيم — رحمهما الله — : كيف تدرس كتب الجاحظ (المعتزلي) ؟! فاستبدل كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» بكتاب «البخلاء» في دروس المطالعة ، ! ! وكان الشيخ حامد قد طبع كتاب «الفتح» تلك الأيام .

وفي عشر السِّتين من هذا القرن كنا أربعة إخوة — وقد نزيد — : الشيخ محمد الحسن الضبيب والشيخ عبدالله الخياط والأستاذ أحمد علي أسدالله ، وأنا (رابعهم) ! ! كُنَّا كثيراً ما يحلو لنا أن نذهب مساء الجمعة إلى قهوة في أعلى مكة تدعى (قهوة عصمان) فنمضي الليلة بمسامرة كتاب «الأغاني» وقد يتحفنا الأستاذ أحمد علي ببعض مضامين الكتب أو الصحف الحديثة ، ولكننا لا نلبث أن نعود لذلك الكتاب ، مندفعين بنهم وشدة رغبة بالاستماع إلى ما يقرأه أحدنا منه ، ولا إخال أحداً طالع كتاب

« الأغاني » مطالعة تعمق واستفادة ، يستغرب ما ذكره أمير البيان الأمير شكيب أرسلان من أنه قرأه نحواً من أربعين مرّة .

وفي كتاب « تاريخ الرسل والملوك » لابن جرير الطبريّ من رائع الأسلوب ما يستهوي القارىء المستفيد ، وخاصة ما يتعلق منه بالدولتين الأموية والعباسية ، من قصص وأشعار وأخبار منوعة .

أما مجاميع الشعر العربي ككتابي « الحماسة » لأبي تمام وللبحتري ، و« المفضليات » و« الأصمعيات » و« جمهرة أشعار الأدب » وما حواه كتاب « الأمالي » للقالي و« الكامل » للمبرّد ومؤلفات ابن قتيبة وأمثالها من مؤلفات ائمة الأدب واللغة من أهل القرن الثالث الهجري وما قبله فقلّ أن تجد أديباً مبرزاً لم يستمد منها أنفس ثروة لغوية وفكرية .

ولمشاهير الكتاب من المتأخرين مؤلفات بلغت الذروة في وضوح الأسلوب وإمتاع الذهن ، وأذكر أنني أكملت قراءة كتاب « رحلتي إلى الحجاز » للمازني في مجلس واحد ، ثم صرت أعاود قراءته في كثير من الأوقات للترويح عن نفسي عندما يدركها السأم من البحث والكتابة ، ومثل ذلك في الامتاع الجزء الأول من كتاب « الأيام » لطه حسين و« عامان في عمان » و« ما رأيت وما سمعت » للزركلي و« في منزل الوحي » لمحمد حسين هيكل ، ومختارات الزيات صاحب مجلة « الرسالة » .

لا أريد — مما تقدم — أن أَتَحَجَّر عن القارىء واسِعاً ، ولكنني أعبر عما أراه من الوسائل التي تمد إنتاجنا الأدبي بمقومات من الأصالة والقوة .

وكان الأجدر بي أن أقول : (هَاؤُمُ أقْرَأُوْا كِتَابِيْه) ولكنني وقفت موقف ذلك الأديب الذي حاول أن يسترجهله بظرفه ، حين قيل له : ما أكثر نقدك للشعر فلماذا لا تسمعنا شيئاً من شعرك ؟! فأجاب : أنا كالمِسَنِّ ، يَشْحَذُ ولا يقطع !!

وها أنا أقدم أنموذجاً مما كتبته ، متأثراً فيه بمطالعة كثير من المؤلفات القديمة ، ولو وجدت خَيْراً منه ملائماً لأن يقدم لِشُدَاةِ الأدب في بلادنا لما ضننت به ، ولو وجدت أطرف وأجدَّ منه لما جمعته وقد كان مشتتاً في مجلة « العرب » في أجزاء كثيرة صدرت في

فترات متباعدة من الزمن .

أما العنوان «مع الشعراء» فللقارىء أن يضيفه إلى أسماء الكتب التي اعتبرها المنفلوطي في «النظرات» تخدع القارىء ، ولكن لن يعدم المتكلف أن يوجد بين ذلك العنوان وبين مضمون الكتاب صلة وإن لم تكن قوية من جميع الوجوه .

ولن تفوت الإشارة إلى المناسبة التي من أجلها قدمت هذا ليكون من منشورات (نادي بريدة الأدبي) .

في (بُرَيدة) هذه البلدة الكريمة ، وفي (مدرسة الصقعبي[1] ، في الجردة) حفظت مقطوعات من النظم منها لابراهيم بن أدهم :

قُمِ اللَّيْلَ يا هذا لعلك تَرْشُدُ
إلى كَمْ تنامُ الليْلَ والعمر ينفدُ؟
أراك بطول الليل — ويحك — نائماً
وآخَرُ في محرابه يتهجَّدُ

وللصرصريِّ واسمه يَحْيَا[2] إن لم تَخُنِّي الذاكرة :

أنا العبدُ الذي كسبَ الذنوبا
وَغَرَّتْهُ الأمانيُ أن يتوبا

ولشاعر يمني يدعى الوعيظي :

من لم يَخُطَّ ولم يقْرأ رسالته
قَدِّمْ لَهُ بقراً يرعاها أَوْ غنم

— كذا غنم لأن القافية مجرورة — منها :

---

(١) أنظر «العرب س ١٣ ص ٣٢٨ وص ٧٩١ .
(٢) خالفت القاعدة المشهورة في كتابة هذا الاسم وفي كتابة غيره من الاسماء . فقواعد الاملاء وسيلة لصحة القراءة ، وليست غاية في نفسها .

وخصّهم بأديب عاقل فهم ... فأفضل العلم عِلْمُ اللوح والقلم

ومنها :

لَيْت العجائز في حبل معلقة ... نَحْوَ الثُّرَيَّا وليت الحبل ينصرم

— دع الإعراب وترحم للمسكينات فما الذي جنين حتى يعاقبن بهذا الدعاء القاسي

— ولآخر :

ليس الغريب غريب الشام واليمن ... إنَّ الغريب غريب اللحد والكفن

ولسابق البربري يخاطب عمر بن عبد العزيز :

بِاسْمِ الذي أُنْزِلَتْ من عِنْدِهِ السُّوَرُ
والحمدُ لله أما بَعْدُ يا عُمَرُ

ولا داعي للإطالة بعصر الذاكرة الكليلة لإيراد نماذج من هذا النوع من النظم السقيم مَبْنًى ومَعْنًى ، مرّ على حفظها ثمانية وخمسون عاماً ، إلّا أنها نماذج بها ميزت بين النثر والنظم ، وبها أدركت أن النوع الثاني من الكلام له أثره في النفس وخاصّة عند التغني به ، وكان يُقرأُ في ذلك العهد بطريقة التغني ، فيستلذ السامع بالصوت لذة تعينه على فهمه ، وتلك الطريقة المثلى في قراءة الشعر كما قيل :

تَغَنَّ في كلّ شِعْرٍ أنت قائله ... إن الغناء لهذا الفنّ مضمار

إنني بتقديم هذا المؤلف لنادي هذه البلدة الكريمة ، أجدد ذكريات عزيزة في نفسي خلال برهة قصيرة من عمري أقمتها هناك ، ورحم الله القائل :

كَمْ مَنزل في الأرض يألفُهُ الْفَتَى
وحنينُهُ أبداً لأَوَّلِ منزل

الرياض جمادى الأولى سنة ١٤٠٠هـ

ابريل سنة ١٩٨٠م . **حمد الجاسر**

القسم الأول : شعراء مترجمـون

١ ـــ عبدالله بن هَمَّام السَّلُوْلِيُّ

٢ ـــ الصِّمَّةُ بنُ عبدالله الْقُشَيْرِيُّ

٣ ـــ جَحْدَرٌ الْعُكْلِيُّ

٤ ـــ يَزِيْدُ بن الطَّثْرِيَّةِ

٥ ـــ الْقُحَيْفُ الْعُقَيْلِيُّ

٦ ـــ عُرْوَةُ بن أذَيْنَة

٧ ـــ محمد بن صالح الحسنيُّ

٨ ـــ محمد بن عبد الملك الأَسَدِيُّ

٩ ـــ ابن المُقَرَّبِ الأحسائيُّ



الشاعر عبدالله بن همّام السَّلوليّ

قبيلة بني سلول : —

بنو سلول — القبيلة التي سأتحدث عن أحد شعرائها من القبائل التي لا تزال معروفة باسمها القديم ، ومقيمة في بلادها القديمة .

وقد علق بهذه القبيلة اسم أمها سلول بنت ذهل بن شيبان ، من بكر بن وائل من ربيعة بن نزار .

مع أَنَّ القبيلةَ مُضَرِيَّةٌ ، أبوها : مرة بن صعصعة — أخو عامر بن صعصعة — بن معاوية بن بكر بن هوازن ، بن منصور ، بن عكرمة بن خَصَفة ، بن قيس عيلان بن مضر ، بن نزار .

وينبغي التفريق بين قبيلة سلول هذه ، وبين سَمِيَّتِها القبيلة القحطانية المنسوبة الى سلول ابن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة ، وعمرو هذا هو أبو خزاعة[1] ولسلول القحطانية صلة قوية بمكة في العهد الجاهلي ، حينما كانت سدانة البيت بيد خزاعة ، وبقيت الصلة حتى جاء الإسلام .

بلاد بني سلول :

كانت بلاد قبيلة هوازن — وسلول فرع منها — يتصل بعضها ببعض ، تتجاور فيها فروع القبيلة ، وكانت بنو سلول تحلُّ الجزء الغربيَّ الجنوبيَّ منها وهو فروع الأودية التي تنحدر من جبال الحجاز ، جنوب الطائف ، ثم تفيض في نجد ، تُرَبَة وَرَنْيَة وبِيْشة ، وتنتشر بقية فروع هوازن على جوانب هذه الأودية مختلطة ، وأعالي هذه الأودية تَحلُّها

---

(١) «الاشتقاق» لابن دريد ص ٤٦٨ ط٢ .

قبائل قحطانية ، وبنو سلول هم الذين يحادّون تلك القبائل في أعلى بلاد هوازن ، فهم يُحَادّون قبيلة خثعم القحطانية ، ويجاورهم منها بنو الحليس[1] يشاركون بني سلول في بعض المياه .

ويجاور بني سلول أيضاً من الغرب بنو الْحليف[2] من بَجيلة القحطانية . وتجاوز قبيلةُ خَثْعَم بني سلولٍ في واديي (تُرَبَةَ) و(تَبَالة) .

ومن الشرق تختلط سلول مع بطون هوازن الأخرى ومع خثعم في (بيشة) وما حولها من المواضع وفي (تُرَبَة) مع هلال والضِّباب ، ولخثعم من أعلى الوادي .

وتختلط مع بعض بطون كلاب من هوازن في الأماكن الواقعة بقرب (رَنْيَةَ) و(بيشة) .

إلا أن منازل بني سلول بدأت تنكمش بترك القبيلة بعض مياهها ، وانضمامها حول نفسها في وادي (بيشة) موطنها القديم ، الذي لا تزال سلول تستوطنه .

ولعل انكماش هذه القبيلة نشأ عن كثرة الفتن التي تحدث بين القبائل عادة بسبب التنازع على المرعى ، أو على المنهل ، وسلول بسبب ارتفاعها عن مواطن قبيلتها هوازن ، وبسبب مجاورتها لقبائل أقوى منها اضطرت الى المسالمة ، ولعل في هذا ما يوضح معنى البيت المشهور :

ونحن أُناسٌ لا نَرَى الْقَتْل سُبَّةً   إذا ما رَأَتْهُ عامِرٌ وسَلُولُ

فسلول ترى من الحكمة أن تسالِمَ من لا تقدر عليه ، فيما لا يلحقك عار أو ضرر بمسالمته .

وهذا مثال لما يحدث بين القبائل ، مما جرى بين الجارتين خثعم وسلول حول الخلاف على موضع من المواضع :

---

(١) معجم البلدان : (مادة دغانين) .

(٢) معجم البلدان مادة (رابغة) .

ذكر ياقوت أن (المعمل) قرية من أعمال مكة في وادي بيشة[1] وكان (المعمل) في أول أَمره بين سلول ، وخثعم ، وكان السلوليون يحفرون في الوادي ويضعون الفَسِيْل في الْحُفَر لغرسها ، فيجيء الخثعميون فينتزعون ذلك الفسيل ، ويهدمون ما حفر السلوليون ، ويفعل مثل ذلك الخثعميون فيزيلون الفَسِيل ولا يزال بينهم قتال وضرب ، وكان المكان يسمى (مطلوباً) .

فلما رآى ذلك العجير السلوليُّ الشاعر تخوف أن يقع بين الناس شَرٌّ أعظم من ذلك ، فأخذ من طينه ومائه ، ثم ارتحل حتى لحق بهشام بن عبد الملك ، ووصف له صفته ، وأتاه بمائه وطينه ، وماؤه عذب ، فقال له هشام : كم بين الشمس وبين هذا الماء ؟ قال : أبعد ما يكون بعده ، قال : فأين هذا الطين ؟ قال : في الماء . وأخبره بماء جوف بيشة ، وأخبره بما في بيشة والأودية التي معها من النخل والفسيل ، وأخبره أن تلك ذلك يحتمل نقل عشرة آلاف فسيلة في يوم واحد .

فأرسل هشام الى أمير مكة أن يشتري مائتي زنْجِيٍّ ، ويجمع مع كل زنجي امرأته ، ثم يحملهم حتى يضعهم بمطلوب ، وينقل إليهم الفسيل فيضعونه بمطلوب : فلما رآى الناس ذلك قالوا : إن مطلوباً معمل يعمل فيه ، فذهب اسمه المعمل الى اليوم .

وذكر ياقوت — أيضاً — في موضع آخر[2] — أن العجير السلولي دلّ على ذلك الموضع ، عبد الملك بن مروان ، وأورد ياقوت من شعر العجير — في الحادثة — قوله :

لا نَـوْمَ ، إلا غِـرَار الْـعَـيْـنِ ساهـرةً
إنْ لَـمَ أُروِّعْ بِـغَـيْـظٍ أهْلَ مطـلـوبِ

إن تَشْـتُـمُـوْنـي فَـقَـدْ بَـدَّلْتُ أيـكَـتَـكُمْ
ذَرْقَ الـدَّجَـاجِ ، بِـجِـفَّـان الْـيَـعَـاقِـيْـبِ

وكُـنْـتُ أَخْـبَـرْتُـكُـمْ أَنْ سَـوْفَ يَـعْـمُـرُهَا
بَـنُـو أُمَـيَّـةَ ، وَعْـداً غَـيْـرَ مَـكْـذُوْب

---

(١) معجم البلدان (مادة : المعمل) .

(٢) معجم البلدان (مادة : مطلوب) .

ويضيف ابن سلاّم الجحميُّ — الى ما نقل ياقوت عنه وعن غيره — قوله[1] :
فركب رجل من خثعم يقال له أمية الى عبد الملك حتى دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما أراد العجير أن يصل إليك ، وهو شويعر سئّال ، وحربه عليك ، فكتب عبد الملك الى عامله بأن يشدّ يدي العجير الى عنقه ، ثم يبعثه في الحديد ، فبلغ العجير الخبر ، فركب في الليل حتى أتى عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين : انا عندك فاحتبسني ، وابعث من يبصر الأرضين والضياع ، فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي ، حلّ ، وبلّ ، فبعث فاتخذ ذلك الماء ضيعة ، فهو اليوم من خيار ضياع بني أمية . وماذا كانت النتيجة ؟ ذهب المعمل لبني أمية ولم تستفِد القبيلتان : سلول وخثعم شيئاً .

ومن أسماء مناهلهم وجبالهم ومنازلهم — على ما جاء في « معجم البلدان » وغيره ، مرتبة على حروف المعجم :

* الأريض : ويسمى الوشل — ماء في جبل الضَّمر .
* نقيع سلول : ذكره الهجري قائلاً[2] ، وأنشدني لرجل من سلول ، من أهل النَّقيع ، نَقيع سلول :

أَتَــجْــمَــعُ بُــخْلاً فَــاحِشــاً وتَــكَــبُّــراً
وَمَــا قــادَ ذَمّــاً كَــالــتَّــكَــبُّــرِ والــبــخــلِ
فــلــو كــان غــطىّ الــبُــخْــلَ منك تواضعٌ
أو الكِبْرَ جُوْد ، كُنْتَ مِنْ ذَيْنِ في عَدْلِ

ونقل عن آخر دعاه (التُّرَبِيَّ) وقال عنه[3] : هو فصيح من سلول ، من أهل النقيع .

---

(١) طبقات فحول الشعراء تحقيق الأستاذ محمود شاكر (ص ٥٢١) .
(٢) التعليقات والنوادر (ص ١٨٦ و ٤٤٧) . ورد (البَقيع) في مخطوطة الهجري لا (النقيع) بالنون ، ولكن الأستاذ عبدالله بن علي بن حُمَيِّدٍ — رحمه الله — كان عليماً بتلك الجهة صحح هذا الاسم في كلمة نشرتها « العرب » س١ ص ٣٩٣ — وسنوردها آخر البحث كاملة .
(٣) التعليقات والنوادر (١٨٦ و ٤٤٧) .

* بيشة — هي خير بلادهم ، على ما نقل ياقوت الحموي عن أبي زياد . وبيشة عرض واسع تجتمع فيه أودية كثيرة ، وفيه قرى وبلاد واسعة .

وأكبر قرى الوادي بلدتان : الرَّوشن ، ونمران ، الأولى لبني سلول ، والثانية لبني معاوية أبناء عم سلول .

ويقام في بيشة سوق تجاريٌّ ، في كل أسبوع ، في يوم الخميس ، يجتمع فيه أهل تلك النواحي من بادية وحاضرة ، وهو من أعظم أسواق الجزيرة التجارية لتوسط بيشة بين الحجاز ونجد واليمن ، ولوقوعها في ملتقي طرق جنوب الجزيرة وشرقها وشمالها وغربها . يضاف الى هذا خصوبة أرض بيشة واعتدال جوها .

* البيضاء : ماءة لسلول بالضمرين .

* تُرَبَةُ : وهو واد ، أسفل هذا الوادي لبني هلال ، وللضباب ، ولسلول ، وأعلاه لخثعم[1] .

* جُزَازُ : بالضّم والتخفيف — هضاب بأرض سلول .

* الحَضَنَانِ : بالتحريك والتّثنية ، واحدهما حضن — جبلان في بلادهم .

* الحُلَيَف : ماء عليه يُصَدِّقُ العامل بطوناً من كلاب وسلول .

* الحُنيظلة : ماء لبني سلول بطريق حجاج اليمامة .

الخيمات : نخل ببطن بيشة ، وقد يزرع في بعضها الحَبُّ ، ونقل ياقوت عن أبي زياد قوله : وما حُدِّثْتُ أنْ لقوم نخلاً ببلد من البلدان أَفْضَلَ من الخيمات .

* الشُبيكة : ماء لهم .

* صعدة : ماء جوف العلمين (علمي بن سلول) قريب من مُخَمَّرٍ ، وهو ماء اليوم في أيدي عمرو بن كلاب في جوف الضّمر . كذا جاء في «معجم البلدان» .

---

(١) معجم ما استعجم للبكري (مادة : تربة) .

* الضّائِن : من جبال بني سلول ، جبلان : جبل يقال له الضّائن ، وآخر يقال له الضمر ، فيقال لهما الضّمران .

* الضمران ويفتح أوله ، قال الأصمعي : الضمر والضائن علمان كانا لبني سلول يقال لهما الضّمران ، في أحدهما ماءة يقال لها الخضرمة وهما في قبلة الأحسن ، ومعدن الأحسن لبني أبي بكر بن كلاب ويقال للضمّر والضائن : الضّمران قال الشاعر :

لقد كان بالضَّمْرَيْنِ والنِّيْرِ معقلٍ
وفي نَمَلَى والأخْرَجَيْنِ — مَنيعُ

* عاقر النّجبة : جبل لهم (أنظر النّجبة) .
* كَوْر (بالفتح) جبل بين اليمامة ومكة لهم .
* المجتبية : ماءة لهم في الضَّمرين .
* مخضوراء : (أو مخضوراء) ماءة لهم نقل ياقوت أنه في كتاب أبي زياد (بالخاء المعجمة) .

* مخضوراء والخضرمة : ماءتان لبني سلول ، وقال أبو زياد أنهما لبني الحليس من خثعم ، جيران بني سلول .

* المعمل : (في بيشة) بينهم وبين خثعم ، وتقدم خبره .
* النّجبة : ماءة لهم بالضّمرين .
* الوشل : ماء لهم في جبل الضمر — ويسمى الأَريض عن أبي زياد .

من شعراء سلول :

عُني بعض علماء الأدب من المتقدمين بجمع الشعر العربي ، وترتيبه على أساس جمع شعر كل قبيلة على حدة ، ولو وصل الينا الشعر القديم على هذه الطريقة من الجمع — كما في شعر هذيل — لتجلت من أدبنا القديم نواحي لا تزال غامضة مجهولة مما يتعلق بالحياة القبلية في العهد القديم .

يذكر المتقدمون من شعراء سلول :

١ ـــ نعيم[١] بن بدر بن الحارث بن ظالم ، بن عمارة ، بن زابن ، بن نهار ، بن مرة بن صعصعة .

٢ ـــ قردة بن نفاثة بن عمرو بن ثوابة بن عبدالله بن تميمة بن عمرو بن مرة بن صعصعة ، صحابيّ من قوله :

وقــد أُروِّي نَـدِيْـمِـي مِـنْ مُشَـعْشَـعَـةٍ
وَقَــدْ أُقَــبِّــل أَوْرَاكــاً وأَكْـفَــالاَ

فَـالْـحَـمْـدُ للهِ، إذْ لم يَـأْتِنِـي أَجَلِي
حَتَّـى اكْتَسَيْتُ مِنَ الإِسْلاَمِ سِرْبَالاَ[٢]

ومن شعراء سلول ، من أشهرهم : العجير[٣] بن عبدالله بن عبيدة بن كعب بن عائشة ابن الربيع بن ضبيط بن جابر بن عبدالله بن مرة بن صعصعة ـــ وسنفرد له ترجمة خاصة ـــ ومن قوله :

خُـلِـقْتُ جَـوَاداً ، والْـجَـوَادُ مُـثَـابِـرٌ
عَـلَى جَـرْيِـهِ، ذُوْ عِـلَّـةٍ ويَـسِـيْـرُ

ولاَ يَسْـبِقُ الْـغَـايَاتِ مُسْتَسْلِمُ الصَّـلاَ
مُـقِــلٌّ لأَطْـرَافِ الـرِّمَـاحِ عَـثُـوْرُ

ولَـكِـنْ مُشِيْحُ الرَّكْضِ ، مُسْتَبْعِدُ الْـمَدَى
إذَا ابْـتَـلَّ مِنْ سَجْـمِ الْحَمِيْـمِ طَحُوْرُ

فلا تُـوزِعــــيني ، إِنَّما يُــوْزَعُ الَّـــذِيْ
بِــهِ ضَـعَـفٌ، أَوْ فـيْ الْقِيَامِ فُتُـوْرُ

---

(١) جمهرة النسب لابن الكلبي (٢٩٦) .
(٢) جمهرة ابن الكلبي (٢٩٦) .
(٣) طبقات فحول الشعراء (ص ٥١٧) .

وَلاَ تَـزْدَرِيْنِي ، وانْـظُرِي مَا خَلِيْـقَتِي
إِذا ضَـافَ أَمْـرٌ ، أَوْ أَنَـاخَ أَمِيْرُ[1]

ومن شعرائهم : سوادة بن عبدالله السلولي ، ذكره ابن جرير في تاريخه (حوادث سنة ٩٦) وأورد له مقطوعتين من الشعر[2] .

ومنهم عبد الملك بن سلام السلولي ، ذكره ابن جرير أيضاً (حوادث سنة ٦٨)[3] .

ومن شعرائهم : نويب (وهو لقب) واسمه ، عبد الملك بن عبد العزيز السلولي — اليمامي وقد ترجمه صاحب الأغاني[4] ، وأورد له مقطوعات من الشعر رقيقة .

ومنهم : مزاحم بن عمرو السلولي —[5] الذي قتله ابن الدّمينة الشاعر — فقتل به ، وأم ابن الدمينة سلولية .

ومنهم العَطَّار ، وهو عبدالله بن همام بن نُبَيْشَةَ بن رياح ، ذكره ابن حبيب في كتاب «ألقاب الشعراء» وقال لُقِّب بالعطار لحسن شعره[6] . وسيأتي مثل هذا القول لابن الكلبي في ابن هَمَّامٍ صاحب الترجمة .

الشاعر عبدالله بن همّام :

ومن سلول ، من أشهر شعرائهم : عبدالله بن همّام بن نبيشة ، بن رياح ، بن مالك ، بن حوزة ، بن عمرو بن مرة بن صعصعة[7] .

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام (٥١٧) والأغاني (١٢ و ١٤٦) وترجمة العجير في الأغاني (ج١١ ص ١٤٩ وما بعدها) .
(٢) (ج ٥ ص ٢٧١) .
(٣) (ج ٥ ص ٢٩١) .
(٤) الأغاني (ج ٢٠ ص ٧٩ وما بعدها) .
(٥) الأغاني (ج ١٥ ص ١٤٥) طبعة الساسي بمصر .
(٦) نوادر المخطوطات مجلد ١ ص ٣١١ .
(٧) جمهرة النسب لابن الكلبي (٢٩٦) و«أدب الخواص» : وخزانة الأدب (٣/ ٦٣٩ الطبعة الأولى) .

حياة الشاعر وعصره :

لا تسعفنا النصوص التاريخية التي بين أيدينا بما ينير لنا الطريق لدراسة حياة هذا الشاعر دراسة مفصلة ، نتبين جميع جوانبها ، اذ كل ما استطعنا معرفته عنه لا يعدو نبذاً واخباراً موجزة ، ومقطوعات شعرية قصيرة ، منها يستطاع تحديد العصر الذي عاش فيه الشاعر ، دون تحديد زمنه تحديداً دقيقاً .

واذا كان كتاب «الأغاني» ذاك الأثر الأدبي العظيم قد خلد لنا أسماء جلّ شعراء العرب المعروفين من القرن الثالث الهجريّ ، فما قبله ، فإننا نجده ضنّ على شاعرنا بترجمة مفردة ، وانما ساق طرفاً من اخباره عرضاً ، بل لم نجد من أخبار ذلك الشاعر سوى خبرين أوردهما في ترجمتي : النعمان بن بشير ومصعب ابن الزبير .

ولا يرجع اهمال أبي الفرج الأصبهاني لهذا الشاعر وعدم افراده بترجمة — في رأينا — لضعف شاعريته . أو خمول ذكره ، ذلك أن أبا الفرج ترجم شعراء ، يمتاز عليهم ابنُ هَمَّام بجودة الشعر ونباهة الذكر ، وترجم الأصبهاني العُجَيْر بن عبدالله السلوليَّ ، وأبا زُبَيْدٍ الطائيَّ ، وهما من طبقة شاعرنا — على ما ذكر ابن سلاّم الجمحيّ — الذي يُعدّ كتابه من أوثق المراجع وأصحها في دراسة الشعر العربي ، وهو مصدر من مصادر «الأغاني» ، نقل جلّ ما فيه من أخبار الشعراء وأشعارهم .

قال ابن سلام (١٣٦ — ٢٣١ هـ) في كتابه طبقات فحول الشعراء[١] : الطبقة الخامسة من الإسلاميين :

أبو زبيد الطائي ، واسمه حرملة .
والعُجير بن عبدالله السلولي .
وعبدالله بن همّام السلولي .
ونُفيع بن لقيط الأسدي .

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٥٩٥ .

— ثم ساق طرفاً من أخبار كل واحد منهم ، واشعاره .

فقال عن عبدالله بن همام[1] : « وأما عبدالله بن همام السلولي فحدثني يونس ، وأبو الغراف قالا : كان عبدالله رجلاً له جاهٌ عند السلطان ، ووصلة بهم ، وكان سَرِيّاً في نفسه ، له همة تسمو به ، وكان عند آل حرب مكيناً حظيّاً فيهم ، وهو الذي حدا يزيد بن معاوية ، على البيعة لابنه معاوية ، فقال :

تعزّوا يا بني حرب بصبر... (القصيدة)

كان الشاعر ابن همام يدلّ ويدلي بقرابة بعيدة لآل حرب ، هي أن أم أمية بن عبد شمس هي عاتكة ، من بني رؤاس ، من عامر بن صعصعة بن معاوية ، وأم أبي سفيان بن حرب بن أمية هي صفية ، من بني هلال بن عامر بن صعصعة ، والشاعر — كما تقدم في نسبه ، من بني مرة بن صعصعة وفي هذا يقول[2] :

فجالَتْ بنا ، ثم قُلْتُ اعْطِفِي ... به يا (صَفِيَّ) ويا (عاتِكَا)
فَأَطَّتْ لنا رَحِمٌ بَرَّةٌ ... ولنْ نَعْدِمَ النَّسَبَ الشَّابِكا

وكان الشاعر يقيم في مدينة الكوفة ، كما تدلّ البقية الباقية من أخبار صلته بولاة هذه المدينة ، ومن ثَمَّ عُدَّ كوفيّا[3] ، كما نُسب كثير من شعراء جزيرة العرب الى العراق ، لكثرة اتصالهم بالخلفاء والولاة في ذلك القطر .

ولقد أدرك ابن همام عهدَ معاوية ، فالقالي يورد في « الأغاني »[4] خبر واشٍ وَشَىَ به الى زياد ، فقال له : إنه هجاك .

فقال : أَجْمَعُ بينك وبينه ؟ قال : نعم . فبعث زياد الى ابن همام فأتي به ، وأدخل الرجل بيتاً ، فقال زياد : يا ابن همام ، بلغني أنك هجوتني ، فقال : كلا ، أصلحك

---

(١) ص ٥٢٢ .
(٢) جمهرة النسب لابن الكلبي «١٩» .
(٣) حسن السندوبي هامش «البيان» للجاحظ ج١ ص ١٨٣ .
(٤) الأمالي ج٢ ص ٤٦ — مطبعة دار الكتب «سنة ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦م» .

الله ! ما فعلت ، ولا أنت لذلك بأهل . فقال : إن هذا الرجل أخبرني . وأخرج الرجل ، فأطرق ابن همام هُنيهة ، ثم أقبل على الرجل فقال :

وأنت امْرُؤٌ إِمَّا ائْتَمَنْتُكَ خالياً فَخُنْتَ ، وإِمَّا قُلْتُ قَوْلاً بِلاَ عِلْمِ
فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كان بَيْنَنَا بمنزلـةٍ بين الخيـانَـةِ والْإِثْـمِ

فأُعجب زياد بجوابه ، وأَقْصَى الواشي ، ولم يقبل منه .

وزياد تولى البصرة لمعاوية في شهر ربيع من سنة خمس وأربعين ، على ما ذكر خليفة بن خياط[1] ومات سنة ثلاث وخمسين .

والمقطوعتان « فروجة الرفاء » و« يا بن برصاء » قالها في أثناء إمارة زياد ــ سنة ٥٠ و٥١ .

وللشاعر قصة مع عامل معاوية على الكوفة ، النعمان بن بشر ، أوردها صاحب « الأغاني » وقد تولى النعمان لمعاوية الكوفة سنة تسع وخمسين ، وعزله يزيد بن معاوية سنة ستين ــ بعد وفاة معاوية ، على ما ذكر ابن جرير ، في تاريخه .

قال أبو الفرج الأصفهانيُّ ، في كتاب « الأغاني »[2] :

أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير ، في أعطيتهم وعامله يومئذ على الكوفة وأرضها النعمان بن بشير ، وكان عثمانياً ، وكان يبغض أهل الكوفة ، لرأيهم في عليّ عليه السلام ــ فأبى النعمان أن ينفذها لهم ، فكلموه وسألوه بالله ، فأبى أن يفعل ، وكان إذا خطب أكثر من قراءة القرآن ، وكان يقول : لا ترون على منبركم هذا بعدي أحداً يقول : إنه سمع رسول الله ﷺ ، فصعد المنبر يوماً فقام إليه أهل الكوفة ، فقالوا : ننشدك الله ، والزيادة !! فقال : اسكتوا ! فلما أكثروا قال : تدرون ما مثلي ومثلكم إلا مثل الضبع ، والضب ، والثعلب ، فإن الضبع والثعلب أتيا الضب في وِجَارِهِ ، فناداه : أبا الحسل ! فقال : سميعاً دعوتما ! قالا : أتيناك لتحكم بيننا ! قال : في بيته

(١) تاريخ خليفة ص ١٢٢ وص ١٣٢ .
(٢) « الأغاني » ج ١٤ ص ١١٦ .

يُؤْتى الْحَكَمُ ! قالت الضبع : إني حللت عيني . قال : فعل الحرّة ! قالت : فلقطت تمرة . قال : طَيِّباً لقطت ! قالت : فأكلها الثعلب ! قال : لنفسه نظر ! قالت : فلطمته ! قال : بجرمه ! قالت : فلطمني ! قال : حُرٌّ انْتَصَرَ ! قالت : فَاقْضِ بيننا ! قال : حَدِّث امرأة حديثين فإن أبت فعشرة !

فقال عبدالله بن همام السلولي :

زيـادتُـنَـا نـعمانَ لا تَـحْـرِمَـنَّـنَا   خَفِ الله فينا ، والكتابَ الذي تَتْلُو

ثم أورد القصيدة وقال — : فقال النعمان بن بشير : لا عليه ألاَّ يقترب والله لا أُجيزها ، ولا أنفذها أبداً .

وذكر الجاحظ[1] أن معاوية لما توفي لم يُقْدِم أحَدٌ على تعزية ابنه يزيد حتى دخل عليه عبدالله بن همام فأنشأ يقول[1] :

اصبر يزيدُ فقد فارقْتَ ذا كرم — الأبيات .

فانفتح الخطباء للكلام بعد ذلك .

وأورد البلاذريُّ قصيدته النونية — عن المدائني عن علي بن سُليم :

فـإنْ تَـأْتُوا بِـبَـرَّةَ أو بِـهِـنْـدٍ   نـبـايـعـهـا أمـيْـرَةَ مُـؤْمِـنـيْـنَـا

ثم قال : فقال معاوية : ما ترك ابن هَمَّام شيئاً ، عيَّرنا بالسَّخينَة ، وذكر أُمَّهاتِنا ، وتَهَدَّدَنا وذكر أنه لو شرب دِماءَنا ما اشْتَفَى : اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ ! !

ونقل البلاذريُّ عن هشام بن الكلبي والهيثم بن عَدِيٍّ[2] : كان سبب عزلِ معاوية ابن أُمِّ الحكم ، وهو عبد الرحمن ابن عبدالله الثقفي ، أنّه قيل لمعاوية : إنّ ابن أُخْتِك خطب في يوم جمعة قاعِداً ، وإنَّ كعب بن عُجْرَة رآه فقال : ألا ترون هذا الأحمق وما فعل ، والله يقول (انْفَضُّوا إِلَيْهَا وتَرَكُوكَ قَائِماً)[3] وأنّه اشتّد في أمر الخراج حتى

---

(١) البيان والتبيين ج٢ ص ٣٦ .

(٢) «أنساب الإشراف» القسم الرابع ج١ ص ١٣٨/١٣٧ .

(٣) سورة الجمعة الآية الـ (١١)

قتل ابن صَلُوبا ، وكان صاحب شرابٍ يشرب مع سعد بن هبّار من ولد أسد بن عبد العُزّي بن قُصَيٍّ ، فقال حارثةُ بنُ بَدْرٍ الغُدانيُّ فيه :

نهارُهُ في قضايا غَيْر عادلةٍ ... وليلُهُ في هَوَى سَعْدِ بن هبّارِ
لا يَسْمع الناسُ أصواتاً لهم خَفِيَتْ ... إلاَّ دويّاً دَويَّ النّحْل في الغارِ
فَيُصبحُ القوم أطْلاحاً أضرَّ بهم ... سَيْرُ الْمَطِيِّ وما كانوا بسُفَّارِ
لا يَرْقُدُونَ ولا تُغْضِي عُيُونُهم ... ليلَ التّمَام ولَيْلَ الْمُدْلِجِ السَّارِي

فبلغ الشعرُ خالَهُ معاوية ، وقدم أبو بردة بن أبي موسى الأشعري على معاوية فقال له : أيشرب عبد الرحمن ؟ قال : لا ، قال : أفيسمع الغناء ؟ قال : لا ، قال : فما تنقمون عليه ؟ قال : إنكاره بيعة يزيد ابن أمير المؤمنين ، وظَنُّهُ أنَّ الفَيءَ له وأنَّهُ أحقُّ به ، قال معاوية : فما نصنع بأبيات ابن همّام ؟ قال : كذب عليه ، قال : أنشدني إيّاها إن كنت ترويها ، فأنشده فقال معاوية : شربها والله الخبيث ، وعزله وولّى النعمان بن بشير الأنصاري الكوفة .

ونقل البلاذريُّ عن أبي الحسن المدائني[1] قال : كان عمر بن سعد بن أبي وقّاص ولي خراج كورة همذان فبقي عليه مالٌ ، فلمّا ولي معاوية ٱبْنَ أُمِّ الحَكَم الكوفةَ وقدمها أخذ عُمَر بذلك المال فقال له : إنه لا سلطان لك عليّ ، وكان معاوية كتب له كتاباً بأنّه لا سلطان لأحدٍ عليه غيره ، فاجتمعا عند معاوية بَعْدُ ، وجرى بينهما كلام ، فقال ابنُ أُمِّ الحكم : أنت الذي ذهبت بمال الله قِبَلَك فقال عمر : اسكت ، قال : أنت أحقّ بالسكوت يا أحمق ، فأنا والله خير منك ، قال : وكيف وإنّما تُعْرف بأُمِّكَ وتُنْسب إليها كالبغل ، يقال له من أبوك ؟ فيقول أمّي الفرس ، وأنا أُعرَف بأبي وأُدْعى له فاسكت يا ابن تَمَدُّر ، وهي جدّة له سوداء ، فقالت أمّ الحكم ، وهي من وراء الستر : أيذكر هذا منّي ما يذكر وأنت تسمع ؟! فقال معاوية : من شتم الرجال شتموه ، فقال ابن همّام السلولي في ذلك وسأله حاجة فلم يقضها :

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٦ .

لَعَمَر أبي تَمَدُّرَ ما بنوها بمذكورين إنْ عُدَّ الفَخَارُ
فإن تَفْخَرُ بأُمِّك من قُرَيْش فقد يَنْزُو على الْفَرَسِ الْحِمَارُ

وروى البلاذري عن المدائني[1] قال : هجا عبدُالله بنُ همّام عَمْرَو بنَ نافع مولى بني أُمَيَّة وكان يتولّى ديوان الكوفة لزياد ، فلما ولي عبيدُ الله وَشي به إليه فطلبه فهرب الى يزيد بن معاوية ، ومدح عثمانَ بْنَ عنبسة بن أبي سفيان واستجار به في شعر يقول فيه :

أراكَ إذا أجَـرْتَ على أمير وثيقَ عُرَى الأمَانَةِ والجِوَار
فإنّي لا أَبُثُّكَ بَثَّ فَقْرِيْ ولكِنِّي أُحَاذِرُ من طَمَارِ
أعُوْذُ من العقوبَة يا ابْنَ حَرْبٍ ومَعْقِدِ ما عَقَدْتَ مِنَ الإزْارِ

وكان ابن زياد إذا غضب على رجلٍ ألقاه من فوق قصر الكوفة ، وطَمَارِ كُلُّ مُرْتَفَعٍ .

وَرَوى ابن سلام في « الطبقات »[2] أنه هو الذي حدا يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية .

في عهد ابن الزبير :

اتصل الشاعر بعمال ابن الزبير في العراق ، في سنة خمس وستين ، حينما طرد أهلُ الكوفة عاملهم الأمويَّ ، وأَمَّروا عامر بن مسعود البكريَّ ، وكان رجلاً قصيراً ، فهجاه ابن همام ، وطلب من ابن الزبير فصله من العمل .

وكان ابن الزبير قد وَلَّى الحارث بن عبدالله المخزوميَّ على البصرة سنة (فما بين عامي ٦٥ و٦٦) وكان — فيما يصفه ابن عساكر[3] نقلاً عن ابن سعد — خطيباً ، عفيفاً ، وكان فيه سواد ، لأنَّ أُمه كانت حبشية نصرانية ، وكان يقال له القُبَاع — بضم القاف وتخفيف العين — وفيه يقول أبو الأسود الدؤلي ، لعبدالله بن الزبير :

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٨٢ .
(٢) الطبقات ص ٥٣٢ .
(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ ص ٤٤٧ — ٤٥٠ .

أمــيــرَ المؤمــنين جُـزِيْتَ خيراً أرِحْـنَـا مـن قُـبَـاع بَـنِـي المغيرهْ
حَـمِـدْنـاه، ولُـمْـنَـاه، فأعيا عـلـيـنـا، مـا يمرُّ لـنـا مَـرِيـرهْ
سـوى أن الـفـتـى نـكِـحٌ، أُكُولٌ وسـهَّـاك، مخاطَـبْـه كـثيرهْ
كـأَنَّـا حـين جـئـنـاه أَطَـفْـنَـا بِـضِـبْـعَـانٍ تَـوَرَّطَ في حَـفـيرهْ

فعزله ابن الزبير.

وقد ولّى الحارث شرطة الكوفة رجلاً من بني نهشل من تميم، يدعي الفلافس[٢]، وقد هجاه ابن همام أسوأ هجو — أنظر حرف السين — وقد خرج الفلافس هذا مع ابن الأشعث فقتله الحجاج[٢].

لما تزوج[٣] مصعب سكينة على أَلْفِ ألف درهم — كتب عبدالله بن همام على يد أبي السّلاّس الى عبدالله بن الزبير:

ابـلـغ أمير المؤمـنين رسـالـة من ناصح لك لا يريد خداعا

الأبيات: وكان ابنُ الزبير قد أوصى أبا السلاس ألا يعطيه أحدٌ كتاباً إلا جاء به، وكان أبو السلاس الرسول بينه وبين أخيه مصعب والي البصرة له، فلما أتاه بكتاب ابن همام قال: صدق والله! لو نقول هذه المقالة لأبي حفص لارتاع من ترويج امرأة على ألف ألف، ثم قال: إن مصعباً لما وليته البصرة، أغمد سيفه، وسَلَّ أَيْرَه، وعزله عن البصرة، وأمره أن يجيء على الجسر، وقال: اني لأرجو أن يخسف الله بك فيها! فبلغ قوله ذلك عبد الملك بن مروان فقال: لكن عبدالله، والله! أغمد سيفه، وأيره، وخيره!

وقد نسب صاحب «النقائض»[٤] الأبيات التي أوردها صاحب «الأغاني» الى أنس بن زنيم الليثي، ولكنها بابن همام الصق.

---

(١) الحيوان للجاحظ «ج ١ ص ٢١٦».
(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة «ص ٥٤٦» طبعة بيروت سنة ١٩٦٤.
(٣) الأغاني «ه ج ١٤ ص ١٦٣».
(٤) «نقائض جرير والفرزدق» ص ١٠٨٩.

أثناء ثورة المختار :

وفي سنة ٦٦ قام المختار بن أبي عُبَيْد وأخرج عامل عبدالله بن الزبير، من الكوفة، كان عبدالله بن همام مختفياً خائفاً من المختار ومن شيعته، لأنه سمع أحدهم وهو أبو عمرة ينال من عثمان بن عفان — رضي الله عنه — فقنعه بالسوط، فبقي مختفياً حتى استأمن له عبدالله بن شداد الجشميّ — من جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، إخوة بني سلول قوم عبدالله بن همام — وكان ابنُ شداد من المقربين من المختار، فأمن، ومدح المختار وشيعته بقصيدته العينية، التي يقول فيها :

وفي ليلة (المختار) ما يُذْهِلُ الْفَتَى ويُلْهيه عن رؤد الشباب شموع

فلما أنشدها المختار، قال لأصحابه : قد أثنى عليكم كما تسمعون، وقد أحسن الثناء عليكم، فأحسنوا له الجزاء، ثم قام المختار فدخل وقال لأصحابه : لا تبرحوا حتى أخرج اليكم، فقال عبدالله بن شداد الجشمي — الذي شفع له : يا ابن همام، إن لك عندي فرساً ومطرفا. وقال قيس بن طهفة النهديُّ : إن لك عندي فرساً ومطرفاً. واستحيا أن يعطيه صاحبه شيئاً لا يعطى مثله، فقال ليزيد ابن أنس الأسديّ. فما تعطيه أنت ؟ فقال يزيد. إن كان ثواب الله أراد بقوله فما عند الله خير له، وإن كان إنما اعترى بهذا القول أموالنا فوالله ما في اموالنا ما يَسَعُهُ، قد كانت بقيتْ من عطائي بقية، فَقَوّيْتُ بها إخواني. فقال أحمر بن شميط الأحمسي — مبادراً لهم قبل أن يكلموه : يا ابن همام إن كنت أردت بهذا القول وجه الله فاطلب ثوابك من الله، وإن كنت إنما اعتريت به رضا الناس وطلبَ أموالهم فاكْدُم الْجَنْدَل، فوالله من قال قولاً لغير الله، وفي غير ذات الله بأهل أن يُنْحَلَ، ولا يُوصْل. فقال له ابن شميط : عضضت بأير أبيك. فرفع يزيد بن أنس السوط وقال لابن شميط : تقول هذا القول يا فاسق ! فرفع ابن شميط عليه السيف، ووثب أصحابهما يتفلتون على ابن همام، فأخذ بيده ابراهيم بن الأشتر النخعي فألقاه وراءه، وقال : أنا له جار، لِمَ تأتون اليه ما أرى ؟ فوالله إنه لواصل الولاية، راض بما نحن عليه، حسن الثناء، فإن أنتم لم تكافئوه بحسن ثنائه فلا تشتموا عرضه، ولا تسفكوا دمه، ووثبت مذحج فحالت دونه، وقالوا : أجاره ابن

الأشتر ، لا والله ، لا يوصل اليه ، وسمع لغطهم المختار فخرج إليهم ، وأومأ بيده إليهم أن اجلسوا فجلسوا فقال لهم : اذا قيل لكم خير فاقبلوا ، وان قدرتم على مكافأة فافعلوا ، وان لم تقدروا على مكافأة فتنصلوا ، واتقوا لسان الشاعر ، فإنّ شره حاضر ، وقوله فاجر ، وسعيه بائر ، وهو بكم غدا غادر . فقالوا : أفلا نقتله ؟ قال : لا ، إنا قد أمّناه ، وأجرناه ، وأجاره أخوكم ابراهيم بن الأشتر . فجلس مع الناس ، ثم إن ابراهيم قام الى منزله فأعطاه الفا وفرسا ومطرفاً ، فرجع بها ، وقال : لا والله ما جاورت هؤلاء أبداً .

وأقبلت هوازن وغضبت ، واجتمعت في المسجد ، غضبا لابن همام ، فبعث المختار فسألهم أن يصفحوا عما اجتمعوا له ففعلوا وقال ابن همام يمدح ابن الأشتر قصيدته الكافيّة .

ثم ان عبدالله بن شداد الجشمي أقبل من الغد ، فجلس في المسجد وصار يقول : أعلينا تتوثب بنو أسد ، وأحمس ؟ والله لا نرضى بهذا أبداً . فبلغ ذلك المختار فبعث إليه فدعاه ودعا بيزيد ابن انس وبابن شميط ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : يا ابن شداد إن الذي فعلتَ نزغةٌ من نزغات الشيطان ، فتُبْ الى الله ، قال : قد تُبْتُ . وقال : إن هذين أخواك فأقبل اليهما ، واقبل منهما ، وهب لي هذا الأمر ، قال — فهو لك [1] . وسيأتي خبر ابن همام مع عامر بن مسعود) عامل ابن الزُّبير — وعزله .

حياتـه من شعـره :

ويتضح من شعر ابن همّام أنه كان أمويَّ الْهَوَى ، حتى في الوقت الذي ضعف فيه أمر بني أمية «من سنة ٦٢ الى سنة ٧٢ هـ» . أما ما قاله في ولاه ابن الزبير فإنه لا يتجاوز حدود التذمر والاستياء والشكاية (المقطوعات — محترس من مثله — بضع الفتاة — دحروجة الجعل) .

وما قاله في المختار وأصحابه هو إلى التصنع والمداراة أقرب منه الى الحقيقة ، كما في

(١) تاريخ ابن جرير ٤/٥١٠ إلى ٥١٣ .

المقطوعة (ليلة المختار) وفي المقطوعتين (أير ذباب) و(نار كلبين) يحس القارىء من صدق التعبير، وسلاسة الطبع، ما يدل على أن الشاعر ترك لنفسه سجيتها، وترك التكلف.

ثم لما عاد الأمر لبني أمية، نجد مقطوعات من شعره تدل: على صلته بهم (المقطوعة ــ الله أعطاك) ولكن القصيدة (ولو جئتم برملة أو بهند) تدل على أنه لم يدم على ولاء بني أمية.

ولعله قال هذه المقطوعة في آخر عهد عبد الملك ابن مروان، الذي خلع أخاه[1] عبد العزيز من ولاية العراق، وولى ابنه الوليد، ثم ابنه سليمان من بعد الوليد، كما يدل على ذلك قوله:

اذا ما مات كِسْرَى قام كسرى نَعُدُّ ثلاثةً متتابعينا

متى توفي الشاعر؟!

وتكاد تختفي عنا أخبار ابن همام في عهد عبد الملك ابن مروان، فلا نعلم منها إلا ما قصه ابن جرير في تاريخه[2]، وقبله الجاحظ[3] من دخوله على الوليد بن عبد الملك حين مات والده، وانشاده أبياتاً من الرجز، في مدح الوليد، مما يدل على أنه أدرك سنة ست وثمانين.

أما البكريُّ أبُو عُبَيْدٍ فيقول في «شرح الأمالي»[4]: (أدرك معاوية، وبقي الى أيام سليمان ابن عبد الملك أو بعده) ولهذا فقد أخر الأستاذ الزركلي ــ في كتاب «الاعلام» تاريخ وفاته «نحو ١٠٠ هـ ٧١٨ م»[5] بينما عدّه الذهبي من أهل الطبقة الثامنة ــ أي

(١) تاريخ اليعقوبي «ج ٢ ص ٢٨٠».
(٢) تاريخ ابن جرير «ج ٥ ص ٢١٤».
(٣) البيان «ج ١ ص ٣٨٣ تحقيق السندوبي».
(٤) ص ٦٨٣.
(٥) الإعلام «ج ٤ ص ٢٨٨».

الذين توفوا قبل سنة احدى وثمانين[1] .

شعـره :

يقول ابن الكلبي في «جمهرة النسب»[2] — عن ابن همام : (كان يقال له من حسن شعره العطار) : وقد عدّه ابن سلام في طبقاته من الطبقة الخامسة من الشعراء الإسلاميين .

ويصف الأستاذ حسن السندوبيُّ الشاعِر بأنه (من اكابر الشعراء الذين لهم قول في سياسة الدولة)[3] .

وليس من المستطاع معرفة درجته من الشعر ، من هذه النتف الموجزة ، التي وصلت الينا فيما هو بين أيدينا من كتب التاريخ والأدب .

ولعل أروع ما وصل إلينا من شعره وأجوده القصيدتان : (يهمهم تقويمنا وهم عصل — و— ولو جاؤا برملة أو بهند) ففيهما تصوير بارع لما يتصف به الشاعر من ثورة وتذمر .

ويكاد القارىء يدرك روح القلق بادية في كثير من المقطوعات ، حتى فيما يحاول الشاعر أن يظهر فيها بمظهر المثني الراضي — كما في القصيدة : «تلقفها يزيد ، عن أبيه» .. البيت .

والشاعر شديد الاعتزاز بقومه من هوازن ، كثير الفخر بهم ، يعدد مفاخرهم ، ويذكر الأيام التي انتصروا فيها على القحطانيين (القصيدة : أتذكر قوماً أوجعتك رماحهم ! ! والقصيدة (نار كلبين) .

وهو يفخر بصلة نسبه بالخلفاء الأمويين ، بخؤولة قبيلة هوازن لهم ، ويسميه (النسب الشابك) .

---

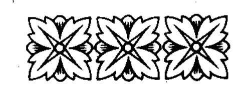
(١) تاريخ الإسلام للذهبي «ج٣ ص ١٨٦» .
(٢) ص ٢٩٦ .
(٣) هامش البيان للجاحظ «١ — ١٨٣» .

وفي شعر ابن همام لمحات تصويرية ، واضحة المعالم ، على ايجازها : دماميل الجزيرة — وحية الماء .

ومن حكمه : المقطوعتان : «المال عارة» و«بين الخيانة والاثم» .
وفي لغته سلاسة ووضوح ، إذا قورنت بأساليب شعراء عصره .

ويهدينا شعره إلى فصاحة كلمات ، لا تزال نستعملها ، مما يدخل في كلام العامة ، وهو من العربي الفصيح ، اذ ابن همام — كما هو معروف — من الشعراء الاسلاميين الذين يحتج بكلامهم .

من تلك الكلمات : «تنحاش» بمعنى تهرب و«قيس» بمعنى مقدار .
وهاتان الكلمتان لا تزال تستعملان لدى أهل نجد ، بالمعنى الذي استعملها فيه الشاعر .



من شعر ابن همَّام

(وهذه مقتطفات من شعر عبدالله بن همام ، هي كُلُّ ما استطعت العثور عليه مما بين يديَّ من كتب الأدب . والتاريخ ، وهي على قلتها ، قد تضع أمام القارىء ، ملامح واضحة عن شاعريته) .

فرّوجة الرفاء :

(قال لما قتل زيادُ أوفَى بنَ حصن الطائيَّ ، وكان أول من قتله زياد في الكوفة سنة ٥٠)[1] .

خيّبَ اللهُ سَعْيَ مُوسى بْنِ حصنٍ
حين أَضْحَى فَرُّوجَةَ الرَّفَّاءِ
قاده الْحَيْنُ والشَّقَاءُ إلى لَيْـ
ـثِ عَرِيْنٍ وحَيَّةٍ صَمَّاءِ

قيس أَيْر ذُباب ! !

في أصحابِ المختار :[2]

أَضْحَتْ سُلَيْمَى بعدَ طول غياب
وتَجَرُّم ، ونفَادِ غَرْبِ شباب
قدْ أزمعتْ بصريمتي وتجنُّبي
وتَهَوُّكٍ من ذَاكَ في إِعْتَابِ
لما رأيت القصر أُغْلِقَ بابه
وتوكّلَتْ (همدانُ) بالأسباب

(١) تاريخ ابن جرير .
(٢) تاريخ ابن جرير «ج ٤ ص ٥١٢» .

ورأيتُ أصحابَ الدَّقيق كأنهم
حولَ البيوت ثعالبُ الْأَسْرَابِ
ورأيتُ أبوابَ الْأَزِقَّةِ حولنا
دَرِبَتْ بكل هَرَاوةٍ ودُبَابِ
أيقنت أنّ خيول شِيْعَةِ راشد
لم يَبْقَ مِنْهَا قَيْسُ أيْرِ ذُبَابِ

وروايـة الجاحظ :[1]

لما رأيت القصر غُلِّق بابُه
وتعلقت (همدان) بالأسباب
أيقنت أن إمارة ابْنِ مضارب
لم يبق منها قيس أير ذباب

وفسّره قائلاً : (قال بعضهم : لم يبق منها إلا مقدار أيره) !

حَسَّان يُحييها وعَمْروٌ يُميتُها ! !

وكتب يزيد بن معاوية إلى ابن زياد : أن أحمل إليَّ ابن همام السلوليَّ — وكان وَجَد عليه في قصيدته التي يقول فيها :

حُشِينا الْغَيْظَ حتى لَوْ شَرِبْنَا
دِماءَ بني أُميَّةَ ما رَوِيْنَا

فأخذه ابنُ زِيادٍ فكفله عريفه وكان اسمه مالِكاً وهرب ابن همام حتى قدم على يزيد فعزاه عن معاوية وهنَّأه بالخلافة ، وأتى ابنَهُ معاوية فاستجار به فأمنه يزيد وصفح عنه ، وكتب إلى ابن زياد يأمره بعدم التعرض له .

(١) الحيوان «ج ٣٧/٣ وج ٣٦/٦» .

وأمر له بجائزة ، وأطلق عريفه مالكاً وكان حبسه ، وأمر كاتِبَيْهِ عَمْرو بن نافع ، وحسَّان مولى الأنصار بدفع جائزته إليه ، فدافعاه ، فدخل على ابن زياد فقال : ألك حاجة ؟! فقال :

نَـعَـمْ حـاجَـةٌ كُلِّفْتُـهَـا القيظَ كُـلَّـهُ
أُراوِحُــهــا الـبَـرْدَيْـنِ حـتـى شَـتِـيْـتُـهـا
يُـعـاوِدهـا حسَّـانُ عـمْـرَو بْـنَ نـافعٍ
فَـحَـسَّـانُ يُـحْـيِـيْـهـا وعَـمْـرٌ يُـمِـيـتُـهـا[1]

جاهِـدٌ في الغش !!:

الأرُبَّ ذي نُصْحٍ وقـد تَسْـتَـغِشُّـهُ
ومنْ جاهدٍ في الْغِشِّ يُحْسَبُ ناصِحَا[2]

وقد يستغشُّ المرءُ من لا يغشُّه !

رأيـتُكَ تُـقْصِي منْ يَوَدُّكَ قَـلْـبُـهُ
وتُـدْنِي الذي يَطْوِي الْأَذَى في الجوانحِ
وقـد يَسْتَـغِشُّ الْـمَرْءُ مَنْ لا يـغِشُّـهُ
وَيَأْمَنُ بـالـغَـيْبِ امْرَءًا غَيْرَ نـاصِحِ[3]

الْحتف في الغمام !!

(في عمر بن يزيد بن معاوية ، وكان مات من أثر صاعقة) :

عُـمَـرَ الْـخَـيْـرِ يـا شَـبِـيْـهَ أبِـيـهِ
أنْتَ لـو عِشْتَ قَـدْ خَـلَـفْتَ يَـزِيْـدا

---

(١) «أنساب الأشراف» ٤ قسم ٢ ص ٨ .
(٢) «حماسة البحتري» : ١٧٥ ط بيروت .
(٣) «حماسة البحتري» : أيضاً .

سُـلِّـطَ الْـحَـتْـفُ في الـغمام عـلَـيـه
فـتـلـقَّى الـغمامُ رُوْحـاً سَـعِـيـداً
أيُّـهـا الـراكِـبـانِ من عـبـد شـمـس
بَـلِّـغَـا الشـامَ أهْـلَـهَـا والْـجُـنُودا
أنَّ خَـيْـرَ الـفِـتْيَانِ أَصْبَحَ في لَـحْـ
ـدٍ، وأَمْسَى مِنَ الْـكِـرام فَـقِـيْدَا[1]

تَلَقَّفَهَا يزيد عن أبيه[2] :

تَـعَـزَّوا يـا بَـنِي حَـرْبٍ بِصَـبْـرٍ
فَـمَـنْ هَـذَا الـذي يـرجـو الخلودا ؟!
لَـعَـمْـرُ مُـنَـاخِـهِنَّ بـبـطْـنِ جَـمْـعٍ
لـقـد جَـهَّـزتُـم مـيـتـاً فـقـيـدا
لـقـد وَارَى قَـلِـيْـبُـكـم بـيـانـاً
وحِـلْـمـاً لاكـفـاءَ لـه وجودا
وجـدنـاه بَـغِـيـضـاً في الأعـادي
حَـبـيـبـاً فِي رَعِـيَّـتـه حَـمِـيـدا
أمـيـنـا مُؤْمِـنـا، لم يَـقْضِ أمْـراً
فـيـوجـد غِـبُّـهُ إلَّا رشـيـدا
فـقـد أضـحى الـعـدوُّ رَخِيَّ بـالٍ
وقـد أمسى الـتَّـقِيُّ بـه عـمـيـدا
فـعـاض اللهُ أَهـلَ الـدِّينِ مـنـكـم
وردَّ لـنـا خلافـتـكـم جـديـدا

---

(١) «أنساب الأشراف» ج ٤ قسم ٢ ص ٧٣ .
(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٥٢٢ .

مجانبة الْمُحَاقَ وكلَّ نَحْسٍ
مُقَارِبَةَ الأيامِن والسُّعُوْدَا
خلافة رَبِّكم حاموا عليها
ولا ترموا بها الْغَرَض البعيدا[1]
تَلَقَّفَها يزيدٌ عنْ أبيه
وخُذْها يا معاوي عن يَزِيْدَا !!
فَإنْ دنياكم بكم اطْمَأَنَّتْ
فأَوْلوا أَهْلَها خُلُقاً سَدِيْدا
وَإِنْ ضَجِرَتْ عليكم فاعْصِبُوها
عصابا تَسْتَدِرُّ بهِ شديدا

وأورد المسعوديُّ — بعد بيت : تَلَقَّفَهَا يزيدُ».. — :

فقد علقت بكم فتلقفوها
ولا ترموا بها الغرضَ البعيدا

اشرب شرابك .

(في عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي القرشي ، يلقب دحروجة الجعل لقصره)

إشْرَبْ شَرَابَكَ وانْعَمْ غَيْرَ مَحْسُودِ
وَاكْسِرْهُ بالْمَاءِ ، لَا تَعْصِ ابْنَ مَسْعُوْدِ

---

(١) قال الأستاذ محمود شاكر هامش «طبقات الشعراء» ٥٢٤ — خالفت هذه الرواية سائر الروايات ، ورواية ابن الأعرابي :

خلافة ربكم كونوا عليها كما كنتم عنابسة أسودا

(٢) «مروج الذهب» : ٨٠/٢ .

إِنَّ الْأَمِيْرَ لَهُ فِي الْخَمْرِ مَأْرَبَةٌ
فَاشْرَبْ هَنِيْئاً مَرِيْئاً ، غَيْرَ تَصْرِيْدِ[1]

أعوذ من العقوبة ..

(في مدح عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان ، حين أجاره من عبيدالله بن زياد ، وكان ابن همام هجا عمرو بن نافع مولى بني أمية وكان يتولى ديوان الكوفة) .

أراك إذا أجَرْتَ على أمير
وثيقَ عُرَى الأمانةِ ، والجِوارِ
فإنِّي لا أُبثُّك بَثَّ فَقْري
ولٰكِنِّي أُحاذِرُ من طَمَارِ
أعُوذُ من العقوبة ، يا ابنَ حرب
ومَعْقِد ما عقدت من الإزار[2]

حولان باهلة :

ومن شعره ما أورده الزمخشري[3] ، يهجو قُتيبة بن مسلم الباهليَّ .

أَقُتَيْب ، قد قلنا غداة أتيتنا :
بَدَلٌ — لعمرك من يزيد — أعورُ[4]
شتَّان من بالصَّنْجِ أدرك والّذي
بالسّيف شَمَّرَ ، والحروب تسعَّرُ

---

(١) أنساب الاشراف (١٩٠/٥) و«أدب الخواص» : وفيه طرف من خبر هذين البيتين .
(٢) أنساب الاشراف (٨٢/٤) الجزء الرابع القسم الثاني ، وطمار : كل شيء مرتفع ، وكان ابن زياد إذا غضب على أحد ألقاه من فوق قصر الكوفة .
(٣) «المستقصى في الأمثال» ٢ — ٧ .
(٤) قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلي كان أعور ، وكان أبوه يغني يزيد بن معاوية في الخلوة (هامش) ويقصد يزيد بن المهلب ، وكان أمير خراسان قبل قتيبة (من سنة ٨٢هـ إلى سنة ٨٥هـ) كما في «تاريخ ابن الأثير» .

حُوْلان بـاهِـلَـةَ الأُلَى في مـلـكـهـم
مـاتَ الـنَّدَى فِيْهِمْ ، وعـاشَ المنكـرُ

مُحْترس من مثلـه وهـو حارس[1] :

ولي الفلافس النهشليُّ شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبدالله المخزومي[2] فقال فيه :

أَقِـلِّي عـليَّ الـلَّوْم يـا ابـنَـةَ مالك
وذُمِّيْ زمـانـاً سـاد فـيـه الـفلافِسُ
وسـاعٍ مـع السُّـلْـطَان ليسَ بناصح
ومُـحْـتَـرَسٌ من مـثـلـه وهـو حَارِسُ

دماميل الجزيرة[3] :

أُتـيـحَ لـهُ من شُرْطَةِ الْحَيِّ جانبٌ
غـلـيـظُ الْـقُصَيْرَى ، لحمـه متـكـاوسُ
تـــراهْ إذا يمضي يحكّ كــأنَّــمَـــا
بـه مَن دمـامـيـل (الجزيـرة) نـاخِسُ

أتـذكـر قومـاً أوجعتك رمـاحهم[4] ؟:

عبيدالله بن الحر ثائر خرج بعد وفاة يزيد بن معاوية ثم قتل سنة ٦٨[5] ، وقد هجا قيس عيلان بقصيدة قال فيها :

---

(١) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة «ص ٥٤٥ ط بيروت سنة ١٩٦٤م» .
(٢) الحيوان للجاحظ » ج١ ص ٢١٦ » .
(٣) خرج الفلافس مع ابن الأشعث ، فقتله الحجاج .
(٤) الحيوان «١٣٧/٤» .
(٥) تاريخ ابن جرير » ج٤ ص ٥٩٤» .

أَلَمْ تَرَ قَيْساً قيس عيلان بَرْقَعَتْ
لِحَاهَا ، وباعَتْ نَبْلَهَا بِالْمَغَازِلِ

فقال عبدالله بن همام :

ترنَّمْتَ يا ابن الْحُرِّ وحْدَكَ خاليا
بقول امرىء نشوانَ ، أو قولِ ساقطِ
أتذكر قوماً أوجعتْك رماحُهم
وذبُّوا عن الأحساب عِنْدَ المآقط
وتبكي لما لَاقَتْ (ربيعة) منهم
وما أنت في أحساب (بكرٍ) بواسط
فهلّا بِـ(جُعْفِيٍّ) طلبْتَ ذُحُولَهَا
ورهطُك دُنيا ، في السنين الفوارط
تركناهم يوم (الثُّدَيِّ) أذِلَّةً
يلوذون من أَسْيَافنا بالعرافط
وخالطكم يوم (النُّخَيْل) بجمعه
عُمَيْرٌ ، فما استبشرتم بالمخالطِ
ويوم شراحيل ، جَدَعْنَا أُنوفَكم
وليس علينا يوم ذاك بقاسط
ضربْنَا بِحَدِّ السَّيْف مفرقَ رأسِهِ
وكان حديثاً عهده بالمواشط
فإنْ رَغِمَتْ من ذاك آناف مَذْحِجٍ
فرغْماً وسُخْطاً للأنوف السواخط

ليلة المختار[١] :

ــ في المختار بن أبي عبيد الثقفي ــ لما ثار سنة ٦٦ هـ .ــ

---

(١) ابن جرير « ج ٤/٥١٠» .

ألا انتسأتْ بالودّ عنك وأَدبرت
معالنة بالهجر، أُمُّ سَرِيْع
وحمّلها واشٍ، سعى، غير مؤتل
فأبْت بهَمٍّ في الفؤاد جميع
فخفّضْ عليك الشّأنَ، لا يُرْدِكَ الهَوى
فليس انتقال خَلَّةٍ ببديع
وفي ليلة المختار ما يُذْهِل الفتى
ويلهيه عن رُؤْد الشَّباب شموع
دعا: يالثارات الحُسَيْن، فأقبلت
كتائبُ من (همدان) بعدَ هزيع
ومن (مَذْحِجٍ) جاء الرَّئيس ابنُ مالك
يقود جموعاً، عُبِئَتْ بجموع
ومن (أسد) وافي يزيدُ لنصره
بكلّ فتىً، حامي الذّراع منيع
وجاء نُعَيم، خَيْرُ (شيبان) كلِّها
بأمر لدى الهيجا، أَحَدَّ جميع
وما ابن شُمَيْطِ، إذ يُحَرِّضُ قومه
هناك بمخذول، ولا بمضيع
ولا قيس (نهد)، لا، ولا ابن (هوازن)
وكلّ أخو إخْبَاتَةٍ وخشوع
وسار أبو النّعمانِ، لله سعيه!!
إلى ابن إياس، مُصْحِراً لوقوع
بخيلٍ، عليها يوم هيجا، دروعها
وأخرى حسورا غَيْرَ ذاتِ دروع
فكرّ الخيول كرّةً ثقفتهم
وشدَّ بأُولاها على ابْنِ مطيع

فولّى بضرب يشدخ الهام وقْعُهُ
وطعنٍ غداة السِّكَّتين ، وجيعِ
فحوصر في دار الإمارة بائِياً
بِذُلٍّ وإرْغام له وخضوع
فمَنَّ وزيرُ ابنُ الْوَصِيِّ عليهم
وكان لهم في النّاس خير شفيعِ
وآب الْهُدَى حقًّا إلى مُسْتَقَرِّهِ
بخير إيابٍ ، آبَهُ ، ورجوعِ
إلى الهاشمي الْمُهْتدِي ، الْمُهْتَدَى به
فنحن له من سامع ، ومطيع

بضع الفتاة بألف ألف ! ! (1)

في مصعب ابن الزبير ، لما تزوج سكينة بنت الحسين بنِ فاطمة بنت رسول الله ﷺ :

أُبْلِغْ أمِيْرَ المؤمنين رسالةً
من ناصح لك ، لا يريد خداعَا
بُضْعُ الفتاة بألفٍ ، كامل
وتبيت ساداتُ الجنود جياعا ؟
لَوْ لِأَبِي حَفْصٍ أقول مقالتي
وأَبُثُّ ما أُبْثِثْتُكُمْ ، لَارتَاعا

وأُمُّ جِراءٍ تُتَّقَى ! !

(يهجو عمرو بن نافع صاحب ديوان الكوفة لابن زياد) :

---

(1) الأغاني (ج ١٤ ص ١٦٣) .

أفِي (جَرْجرايا) أنت كفْنَا بنُ فَرْزَنٍ
وَفينا أبو عثمان عَمْرُو بنَ نَافعٍ ؟!!
وأنبئت في (جوخا) فلا تتركنّه —
بقيّةُ ميراثٍ لشيخك، ضائعِ
ثلاثة أخلاق، بلين، ومنجلا
وأمّ جراء، تتّقى في المراقع
فلهفي عليكم — آل كَفْنَا بْنِ فَرْزَنٍ —
فكم كان فيكم من مُثِيرٍ، وتارع[1]

فتى الناس :

وذكر ابن الكلبي في « جمهرة النسب »[2] في الكلام على نسب أبي جامع مخارق بن عبدالله بن شدّاد الهلالي، قال : وله يقول ابن همّام السلوليّ، وخلف على امرأة أبي جامع رجل من حضرموت :

إنَّ من الأحداث أن تنكحي
بعد فتى النَّاس أبي جامعِ

أخرج لي خشناء :

(في عبدالله بن مطيع بن الأسود، لما ولي الكوفة لابن الزّبير ودعا لبيعة ابن الزّبير — ولم يُسَمِّه فبايعه — ابن همّام).

دعا ابنُ مطيعٍ، لِلْبِيَاعِ، فَجِئْتُهُ
إلى بيعة قَلْبِي لَهَا غَيْرُ عَارِفِ

(١) أنساب الاشراف (٤ ق ٢ ص ٨).
(٢) نسخة المتحف البريطاني، نسب بني هلال بن عامر.

فأَخْرَجَ لِيْ خَشْنَاءَ حَيْثُ لَمَسْتُهَا
من الخُشْنِ ، لَيْسَتْ مِنْ أَكُفِّ الْخَلَائِفِ
مِنَ الشِّثِنَاتِ الْكُزْمِ ، أَنْكَرْتُ مَسَّهَا
وَلَيْسَتْ مِنَ الْبِيضِ السِّبَاطِ اللَّطائِفِ
مُعَاوِدَةً ضَرْبَ الْهَرَاوِي لِقَومِهَا
فردوا إذا ما كان يوم التَّسَايُفِ
وَلَمْ يُسْمِ ، إذْ بايَعْتُهُ مَنْ خَلِيفَتي
وَلَمْ يَشْتَرِطْ إِلَّا اشْتِرَاطَ الْمُجَازِفِ[1]

الله أعطاك : ! ! [2]

ولما مات عبد الملك بن مروان (سنة ٨٦هـ) صعد المنبرَ الوليدُ ابنه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : لم أرَ مثلها مصيبة ، ولم أَرَ مثلها ثَوَاباً ، موتُ أمير المؤمنين ، والخلافة بعده ، إنَّا لله وإنا إليه راجعون على المصيبة ، والحمدلله على النعمة . انهضوا فبايعوا ـــ رحمكم الله ـــ :

فقام إليه عبدالله بن همام وكان أول من قام لبيعته فقال :

اللهُ أعطاك التي لا فوقَها
وقد أراد الْمُلْحِدُونَ عوقَها
عَنْك ، ويأْبى اللهُ إلَّا سَوقَها
إليك حتى قلّدوك طَوْقَها

فبايع الناس .

حيّة الماء :

قال الْجَاحِظُ : ممن ذكر حية الماء عبدالله بن همام السلولي فقال :ـــ

(١) أنساب الاشراف (٥/٢٢٠) .
(٢) «البيان والتبيين» للجاحظ وتاريخ ابن جرير ٥/٢١٤ و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير .

كَحَيَّة الماءِ ، لا تَنْحَاشُ مِنْ أحَد
صلب المراس إذا ما حُلَّتِ النُّطْقُ[1]

في الباقي لنا خلف[2]

قال يعزى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بأبيه :

اصْبِرْ يزيدُ ، فقد فارقْتَ ذَا كرمٍ
واشكر حباءَ الذي بالملك أصفاكا

لا رُزْءَ ، أصبح في الأقوام ، قد علموا
كما رُزِئْتَ ، ولا عُقْبَى كَعُقْبَاكَا

أَصْبَحْتَ راعيَ أَهْلِ الدِّينِ كُلِّهم
فأنت ترعاهُم واللهُ يرعاكا[3]

وفي معاوية الباقي لنا خَلَفٌ
إذا نُعِيْتَ ، ولا نَسْمَعْ بِمَنْعَاكا

فيا ابن زياد ... !

(قالها لما هرب من ابن زياد إلى الخليفة يزيد بن معاوية فأمنه ، وأمر ابن زياد ألّا يتعرّض له) .

جعلتَ الغوانيَ من بالِكَا
ولم يَنْهَكَ الشَّيْبُ عن ذالِكَا

أقول لِعُثْمَان : لا تَلْحَنِي !
أفِقْ عَثْمَ عن بعْضِ تعذالكا ! !

---

(١) الحيوان للجاحظ (٢٣٩/٤) .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ (ج ٢ ص ١٣٧) الشعر والشعراء لابن قتيبة « ص ٥٤٦ » الكامل للمبرد (ص ١٢٧١ طبعة أحمد شاكر) .

(٣) رواية المبرد في « الكامل » :
أصبحت تملك هذا الخلق كلهم .

غـــريب تـــذكّـــرَ إخْوانَـــه
فــهــاجوا لــه ســقــمـاً نــاهــكــا
وكـــرّهني أَرْضَـــكـــم أنّني
رأيتُ بها أَسَـــداً نـــاهـــكـــا
فـــلما خشـــيت أظـــافِيره
نجوتُ وأرْهَـــنْـــتُـــهُـــمْ مـــالِـــكـــا
عَـــرِيـــفـــاً مُـــقـــيـــمـــاً بـــدار الهوا
نِ ، أهْونْ عـــليَّ بِـــهِ هـــالـــكـــا !
وَيَـــمَّـــمْتُ أَبْـــيَضَ ذَا سُؤْدُدٍ
علا ذروةَ المجدِ ، والحاركـــــــــا
فـــلـــمّـــا أَنَـــخْتُ إلى بـــابـــهِ
رأيت خـــلـــيـــفَـــتَـــنـــا ذالـــكـــا
فـــقـــلت : أَجـــرْني أبـــا خـــالِـــدٍ !
وإلَّا فـــهـــبْـــنِـــي امْـــرَءاً هـــالـــكـــا
فـــجـــادَ بـــنـــا . ثـــمّ قُـــلْت اعـــطفي
بـــنـــا يـــا (صفي) ويـــا (عـــاتـــكـــا)[1]
فـــأَطَّتْ لـــنـــا رَحِـــم بـــرَّةٌ
ولم تحقـــر الـــنَّـــسَبَ الشّـــابِـــكـــا
فـــكـــم فـــرَّجَتْ بك مـــنْ كـــربـــة
ومن خـــلـــفـــه عـــنـــد أبوابـــكـــا

---

(١) في «أنساب الاشراف» ق ٤ ج١ ص ١ : (أُميَّة وحبيب ابنا عبد شمس أمهما تعجر بنت عُبيد بن رؤاس ابن كلاب بن ربيعة — واسمها عاتكة وإياها عني ابن همام : فجالت بنا — ثم أورد البيت وقال —: يعني بصفية بنت حزن بن بجير الهلالية أم سفيان بن حرب بن أمية) وفي «جمهرة النسب» لابن الكلبي :

فـجـالتْ بـنـا ثم قـلت اعطفي — بـه يـا (صـفـيّ) ويـا (عـاتكا)
فـأطّت لـنـا رحـم بَـرَّة — ولـن نـعـدم الـنسب الشـابكا

صفية بنت حزن بن بجير من بني هلال ، أم أبي سفيان . وعاتكة الرؤاسية من عامر بن صعصعة ، أم أمية بن عبد شمس .

وكـــــان وراءك ضرغـــــامـــــة
تُـوائِـــل مـــنـــه بجوبـــائـــكـــا
فـــيـــا ابـن زيـــادٍ ، وكــنـت امْــرَءاً
كما زعــموا ، عـــابِـــداً نـــاســكـــاً !
فـــإنَّ مـــعِي ذِمَّـــة مـن يَـــزِيـــدْ
وإنِّي أعُـوذُ بـــــإسْلامـــــكـــا
مِنَ أنْ أُظْـلَـم الْـيَـومَ أو أنْ تُـطـيـ
ـعَ بي الــكــاذبَ الآثِـمَ الآفـكـا
فـــلـولا الـــثِّـــقـــالُ شـــفـــاعـــاتهم
وعـــهـــد الخلـــيـــفـــة لـــمْ آتِـكـا
فـــقـــدْ خُـــطّ لي الـرَّقُّ فـيــه الأمـان
إلـــيك مخافـــة أنـــبـــائـــكـــا
فلا تـــحْـــقِـــرنْـــهُ فـــقـــد خُـــطَّ لي
رُقًّى من مخافـــة حـــيّـــاتـــكـــا
وأحضرتُ عـــذراً عـــلـــيـــه الشّـــهو
د ، إنْ قـــائلا ذاك أو تـــاركـــا
وقـــد شـــهـــد الـــنـــاس عـــنـــد الاما
م أنّي عَـــدُوٌّ لِأعْـــدَائِـــكـــا[1]

نـار كلبين :[2]

يمدح إبراهيم بن الأشتر، حينما حماه من قوم المختار.

واطـــفـــأَ عـــنِّي نَـــارَ كَـــلْـبَـيْـنِ أَلَّـبَـا
عليَّ الـكِلاب ، ذو الفعال ابنُ مالك

(١) «أنساب الأشراف ج٢ قسم ٤ ص ٧٢» «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٥٤٥ ط بيروت.
(٢) تاريخ ابن جرير (٥١٢/٤).

فتًى حين يلْقَى الخيل ، يفرِقُ بَيْنَهَا
بطعن دِرَاكٍ ، أو بضرب مُوَاشِكِ
وقد غضبتْ لي من (هوازن) عصبة
طوال الذُّرى ، فيها عراض المبارك
إذا (ابن شميط) أو (يزيد) تَعَرَّضا
لها ، وقعا في مستحارِ المهالك
وثبتم علينا يا موالي (طَيِّءٍ)
مع (ابن شميط) شرٍّ ماشٍ وراتك
وأعظم ديّار على الله فرية
وما مُفْتَرٍ طاغٍ كآخرَ، ناسك
فيا عجبا من (أحمس) ابنة أحمس
تَوَثَّبُ حولي ، بالقنا والنّيازك
كأنّكم في العزّ (قيس) و(خثعم)
وهل أنتم إلّا لئام المعارك؟!

المال عارة[1] :

قال يخاطب يزيد :

فأخلف وأتلف ، إنما المال عارة[2]
فَكُلْهُ مع الدهر الذي هو آكِلُهْ
فَأهْوَنُ مَفْقُودٍ ، وأيْسَرُ هالِكٍ
على الحيِّ من لم يبلغ الْحَيَّ نائِلُهْ

(١) الكامل للمبرد (ص : ٤٨١ تحقيق أحمد شاكر) .
(٢) عارة : أي معار .

يهمهم تقويمنا وهم عصل[1]

يخاطب النعمان بن بشير والي الكوفة لمعاوية سنة ٥٩هـ .

أَفَاطِمُ قَدْ طَالَ التدلُّلُ والمَطْلُ
أَجِدَّكِ لاصُرْمٌ جليٌّ ولا وَصْلُ؟!

زيادتنا — نعمان — لا تحرّمننا
خفِ الله فينا ، والكتابَ الذي تتلو[2]

فَإنَّك قد حُمِّلْتَ مِنَّا أمانة
بما عجزت عنهُ الصَّلاخِمَةُ الْبُزْلُ[3]

وإنْ يكُ بابُ الشَّرِّ تُحْسنُ فَتْحَهُ
فلا يكُ بابُ الخير ليس له قُفْلُ[4]

فقدْ نِلْتَ سلطانا عظيما فلا يكن
لِغَيْرِك جَمَّاتُ النَّدَى ، ولك الْبُخْلُ

وأنت امرؤٌ حلو اللسان بليغُهُ
فما باله عند الزيادة لا يحلو؟

وقبلك قد كانوا علينا أَئِمَّةٌ
يَهُمُّهُم تقْويمُنَا ، وَهُمُ عُصْلُ[5]

إذا نَصَبُوا[6] للقول قالوا فأحسنوا
ولكنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خالفَهُ الْفِعْلُ

---

(١) الأغاني «ج ١٤ ص ١١٦ طبعة الساسي بمصر» و«أنساب الاشراف» ق ١ ج١ ص ١٤ .

(٢) في «الأنساب» : لا تحبسنّها تقِ الله .

(٣) في «الأنساب» : فينا أمانة وقد عجزت .

(٤) في «الأنساب» :

فلا تك باب علينا وباب الخير.

(٥) في «أنساب الإشراف» ق ٤ ج١ ص ١٤ : وقبلك ما كانت علينا .

(٦) كذا في الكامل للمبرد (ص ٦٥٦ طبعة الشيخ أحمد شاكر) وفي الأغاني «إذا أنصتوا» . وفي «الأنساب» : إذا نطقوا بالقول .

يـذُمُّون[1] دنـيـانـا ، وهـم يَـرْضَعُـونَـهَـا
أفـاويـقَ حـتَّـى مـا يَـدِرُّ لَـهَـا ثُـعْـلُ

أيـنـفـذ مـا زيـدوا وتمحى زيـادتي
فـإنَّ دمـي إن سـاغ هـذا لـكـم بسْـلُ

أبـى لي كـتـاب الله والـديـن والـتـقـى
وبـالـشـام إن حـكَّـمْـتَـه الحـكـمُ الْـعَـدْلُ

أُرِيـــدُ أمير المؤمـــنين فـــإنـــه
على كـل أنحاء الـرجـال لـه الـفـضـلُ

مـهـاجـرةُ الأقـوام يـرجـون فـضـلـه
وهُـلَّاك أعـراب أَضَـرَّ بِـهَـا الـمَـحْـلُ

فـيـا مَـعْـشَـرَ الأنْـصَـارِ إنِّـي أخـوكـم
وإنِّـي لِـمَـعْـروفٍ أتَـى مـنـكـم أَهْـلُ

ومـن أجـــل إيـواءِ الـــنَّـبي ونصـــرِهِ
يُـحِـبُّـكـم قـلـبي ، وغـيركـم الأَصْـلُ

دحـروجـة الجعـل :

في سنة خمس وستين طرد أهل الكوفة أميرهم من قبل عبيدالله بن زياد عَمْرو بن حُرَيْث ، وأمَروا عامرَ بنَ مسعود[2] وكتبوا بذلك إلى ابن الزبير ، فأقره ، فانضافت الكوفة إلى ولاية ابن الزبير ، وكان عامر بن مسعود هذا قصيراً فكان يلقب دحروجة الجعل لقصره ، فقال فيه عبدالله بن همام :

يـا ابـنَ الـزُّبير، أمـيـرَ المؤمـنين ، ألم
يـبـلـغْـكَ مـا فـعـل الـعُـمّـال بـالـعـمـلِ

---

(١) في الكامل : وذموا لنا الدنيا إلخ ، ص ٦٥٦ ومعجم البلدان «ثعل» وفي «الأنساب» : حتى ما لنا منهم سَجْلُ .

(٢) هو عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي القرشي .

باعوا التِّجار طعام الأَرْضِ ، واقتسموا
صُلْبَ الخراج ، شِحَاحاً ، قِسْمةَ النَّفَلِ

وقدَّمُوا لكَ شيْخاً كاذِباً ، خذِلاً
مهما يقلْ لكَ شيخٌ كاذبٌ ، يَقُلِ

وفيك طالبُ حقٍّ ذو مَرانِيَة
جَلْدُ الْقُوى ، لَيْسَ بِالْواني ، ولا الْوكِلِ

أشددْ يديْك بِزَيْدٍ ، إنّ ظفرت به
واشْفِ الأَرَامِلَ من دُحْروجة الجُعْلِ

إنَّا مُنِينَا بِضبٍّ من بني خلف
يرى الخيانة ، شُرْبَ الْمَاءِ بالعسلِ

خُذِ العُصَيْفِيْرَ ، فانْتِفْ رِيشَ ناهِضِهِ
حتّى يَنُوءَ بشرٍّ ، بعد مُقْتَبَلِ[1]

وما أمانَةُ عَتَّابٍ بسالمة
لاغمزَ فيها ، ولكن جمّةُ السُّبُلِ

وقيس كِنْدَةَ ، قد طالتْ إمارته
بِسُرَّةِ الأَرضِ ، بين السَّهْل والْجَبَلِ

وخذْ حُجَيراً فَأَتْبِعْهُ محاسبه
وإن عَذَرْتَ ، فلَا تَعْذُرْ بي قَفَلِ

ما رابني مِنْهمُ إلَّا ارتفاعُهُمُ
إلى الْخَبِيْصِ ، عن الصَّحْنَاةِ ، والْبَصَلِ

ومــا غلامٌ على أَرْضٍ مسالمة
كمن غزا (دَسْتَبَاءَ) غير مجتعل

---

(١) في «الأنساب» : بعد هذا البيت : يريد مرّثد بن شراحيل ، كان أساء في البيع ، وزيد مَوْلَى عتاب بن وَرْقَاء الرِّياحي ، كان خازنَهُ ، فمكث عامر ستة أشهر ، ثم عزله ابنُ الزُّبير وولى عبدالله بن يزيد الخطمي انتهى .

يُجْبَى إليه خراجُ الْأَرْضِ مُتّكِئاً
مُسْتَهْزِئاً، بِغناء الْقَيْنَةِ الْفُضُلِ
والوالبيُّ الَّذي مُهْرانُ أمَّرَهُ
فزال مهرانُ مذموماً، ولم يَزُلِ
ودونك ابْن أبي عُشٍّ، وصاحبه
قيل السَّبيع، فقد أُجْرِي على مَهَل
لا تَجْعَلَنَّ (...) بيت المال[1] مأكلة
لِكُلِّ أزْرَق منْ هَمْدَان مكتحلِ
والدّارِمِي يُطِيفُ البهرمانُ به
في شارِبِ بُدِّلَتْ، في رَعْيَةِ الإبْلِ
ومنقذُ بن طريفٍ، من بني أسد
أُنْبِئْتُ، عاملهم قد راحَ ذَا ثِقَلِ
وما أُخَيْنِسُ جُعْفِيٍّ بمانعه
من المتاع قيامُ اللّيْلِ بِالطُّوَلِ
وآخرانِ، من الْعُمَّال عندهما
بعض المنالة، إنْ تَرْفُقْ بها تَنَلِ
محمّد بنُ عمير، والذي كذبت،
بَكْرٌ عليه، غداةَ الرَّوْع والْوَهَلِ
وما فُراتٌ، وإنْ قِيْلَ امْرُؤٌ وَرِعٌ!
إنْ نالَ شيئاً، بِذَاك الخائِفِ الْوجِلِ
والحَارِثيُّ، سيرضى أنْ تقاسمهُ
إذا تجاوزْتَ عن أَعمالـه الْأُوَلِ
وادْعُ الأَقَارعَ، فاقْرَعْهمْ بداهيةٍ
واحْمِلْ خيانةَ مَسْعُودٍ على جملِ

(١) كذا في أنساب الإشراف (٥/١٩٢) رواية الجاحظ في الحيوان (٥/٣٣٢) (ولا يكوننّ مال الله مأكلة».

كانُوا أَتَوْنَا رجالاً لا رِكاب لهم
فأصبحوا اليوم ، أهْلَ الْخَيْلِ والإبِلِ
لَنْ يُعْتِبُوك ولَمَّا يَعْلُ هَامَهُمْ
ضَرْبُ السِّياطِ ، وشَدٌّ بَعْدُ ، في الْحِجَلِ
إنَّ السِّيَاطَ إذَا عَضَّتْ غوارِبَهُمْ
أَبْدَوا ذَخائِرَ ، من مالٍ ومنْ حُلَلِ[1]

البخلة الأولى :

مَتَى ما أَقُلْ يوماً لطالبِ حاجة
(نَعَمْ) أقْضِها قِدْماً ، وذَلِك من شكْلِي
وإنْ قُلْتُ : (لا) بَتَّتُّها من مكانها
ولم أَوْذِهِ فيها بِجَرٍّ ولا مَطْلِ
ولَلْبَخْلَةُ الأُولَى أَقَلُّ ملامةً
مِنَ الْجُودِ بَدْءاً ، ثم تُثْنِيْه بِالْبُخْلِ

بين الخيانة والاثم[1] :

قال لرجل وشى به لدى ابن زياد :

وأَنْتَ امْرُؤٌ ، إمَّا ائْتَمَنْتُك خالياً
فَخُنْتَ ، وإما قلتَ قولاً بلا عِلْمِ
فأَنْتَ منَ الأَمْرِ الذي كانَ بيننا
بِمَنْزِلَةٍ بين الخيانة والإثْمِ

---

(١) أنساب الإشراف للبلاذري (١٩١/٥ — ١٩٤) .
(٢) الأمالي للقالي «ج ٢ ص ٤٦ طبعة دار الكتب» .

ابن برصاء[1] :

(ضرب أبو العمرَّطِ ، من أصحاب حُجْرٍ ، يزيدَ بنَ طريفٍ بالسيف ، فبرأ ، فقال ابن همام فيه) .

أَلُؤمُ بْنَ لُؤمٍ ، ما عَدا بك حاسِراً
إلى بَطَلٍ ذِي جُرْأَةٍ وشَكِيْمِ
مُعَاوِدِ ضَرْبِ الدَّارِعِيْنَ بسيفِهِ
على الْهَامِ ، عنْدَ الرَّوْعِ غَيْرِ لَئِيمِ
إِلَى فارِس الْغَارَيْنِ ، يوم تَلاقَيَا
بِـ(صِفِّينَ) قَرْمٍ ، خَيْرِ نَجلٍ قُرُوْمِ
حسبْتَ ابْنَ بَرْصَاءِ الْحِتَارِ قِتَالَهُ
قِتَالَكَ زَيْداً يوم (دارِ حَكِيْمِ)

لقد ضاعت رعيتكم[2] :

لَقَدْ ضاعتْ رعيتُكم وأنتُمْ
تَصِيدُونَ الْأَرَانِبَ غافلِيْنَا
إذا مَا مات كِسْرى قام كِسْرَى
نَعُدُّ ثلاثَةً متتابعينا
وكلُّ النّاسِ نحنُ مُبَايِعُوه
وإنْ شئتم فَعَمُّكُمُ السَّمينا[3] !
وإنْ جِئْتُمْ بِرمْلَةَ أَوْ بِهِنْدٍ
نُبَايِعُهَا أميرة مؤمنينا[4] !!

---

(١) تاريخ ابن جرير (حوادث سنة ٥١) .
(٢) الوحشيات (١٠٢) : مروج الذهب : (٨٠/٢) . و«أنساب الإشراف» ق ٤ ج١ ص ٦٤ .
(٣) في «الأنساب» وكل بنيك نرضاهم : فعمهم البطينا .
(٤) في الأنساب فإن تأتوا بِبَرَّة .

نُـشَـبِّـتُ مـلَـكَـكُـمْ وإذا أردتم
بِـنَـا الصَّـلْعَـاءَ قـلـنـا مُـخْـبِـتِـيـنَـا
فـيـا لَـهْـفِـي لَـوَ أنَّ لـنـا أنوفاً
ولـكـنْ لـن نـعـودَ كما غـنـيـنـا[1]
إِذنْ لضُـرِبْـتُـم حـتَّـى تَـعُـودُوا
بمكّـة تَـلْـحَـسُـونَ بها السَّـخِـيـنـا[2]
حُـشِـيْـنـا الْـغـيْـظَ حَـتَّـى لَـوْ شَـرِبْـنَـا
دمـاءَ بَـنِـي أُمَـيَّـةَ مـا رويـنـا[3]

أنكحتم لا فتى دنيا.!

(في عامر بن مسعود أمير الكوفة لابن الزبير).

مـا زِلْتُ أَرْجُـو أبـا حَـفْـصٍ، وسيرته
حـتـى نَـكَـحْـتَ بِـأَرْزاقِ المسـاكـيـنِ
أنـكـحتم — يـا بني نَصْرٍ — فتاتكم
وجـهـاً يشين وجوهَ الـرَّبْـرَب الـعـيْـنِ
أنـكَـحتم لا فـتَـى دُنْـياً، يُـعَـاشُ به
ولا شُـجَـاعـا، إذا شُـقّـت عَـصَـا الدِّيْنِ
يـا ابْـنَ الـزُّبير! لـقـد وَلَّـيْـتَـهُ شَـبِـقـاً
كَـزَّ الْـيَـدَيْـنِ، بَـخِـيلاً، غَـيْـرَ عِـنِّـيْـنِ

---

(١) في «الأنساب»: أيا لهفا لو أن لنا رجالا ولكنا نعود كما عُنينا.
(٢) في «الأنساب»: تلعقون.
(٣) في الأنساب»: لو سُقينا. وفي «البخلاء» للجاحظ ص ٢٣٣
اذن لضربتهـم حـتـى يـعـودوا بمكـة يـلـعـقـون بها السـخـنـا
(٤) الأضداد في كلام العرب (٣٤ و ٣٧) والبيت في نوادر أبي زيد.
(٥) حماسة البحتري (ط بيروت ص ١٤٦).

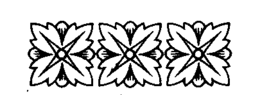
لا يَسْتَطِفُّ لـه مالٌ فيتركه
ولا يقول — لما يعطاه — : يَكْفِيني[1]

ربّ من تغتشه :

أَلا رُبَّ من تَغْتَشُّهُ لك ناصحٌ
ومُؤْتَمَن بِالْغَيْبِ غَيْر أَمِيْنِ
فلا يَخْتَلِبْكَ الْقَوْلُ ، لَا فِعْلَ تَحْتَهُ
فكَمْ منْ نَصِيحٍ بِاللِّسَانِ خَؤُوْنِ[2]

ربَّ من أعتشّه :

رُبَّ مِنْ أَغْتَشُّه ، يَنْصَحُنِي
وأَخِي نُصْحٍ بِغَيْبٍ قَدْ يَخُوْن[3]



(١) أنساب الأشراف (٥/١٩١) .
(٢) حماسة البحتري (ص ١٧٥) .
(٣) المصدر نفسه (ص ١٧٥) .

تطليق حول قبيلة سلول وبلادها :

لَمَّا اطلع الأستاذ عبدالله بن علي بن حُمَيِّدٍ — رحمه الله[1] — على ما تقدم عن قبيلة بني سلول كتب هذه الكلمة التي رأيت ايرادها كاملة لما فيها من معلومات قيمة .

طالعت البحث الشيِّق الذي نشر في الجزء الأول من (العرب) المجلة ، عن الشاعر عبدالله بن همّام السلولي الذي تناول فيه الباحث نسب قبيلة بني سلول ، وأسماء الأماكن التي ذكر انها تحلها . والقبائل التي تجاورها في قديم الزمان ، وقصة الماء والطّين اللذين اصطحبهما العجير السلولي ، وذهب بهما الى هشام بن عبد الملك الأموي في دمشق ، — عَيِّنَةً لماء وادي (بيشة) العذب ، وترابها الخصب ، بغية ترغيب الخليفة في الاستيلاء على الموقع الذي تتنازع الاستئثار به قبيلتا (خَثْعم) وبني (سلول) والمسمى بـ(مطلوب) ثم (المعمل) وهذا ما وجد فيه العجير حلاًّ للنزاع الْمُسْتَعِرِ الأوار بين القبيلتين .

ولما كان هناك بعض الأمور التي يحرص صاحب المجلة — كعادته — على التنويه عنها ، كتصحيح أسماء بعض المواقع التي تناولها البحث ، وأسماء القبائل التي قال إنها تجاور هذه القبيلة ، وغير ذلك . رأيت لزاماً عليَّ أن أُشير الى هذه الأمور والى واقع الحال في العصر الحاضر لعل في ذلك ما يفيد الباحث والقارىء :

١ — نسبة بني سلول إلى مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن صحيحة ، بيد أن هذه القبيلة دخلت بالحلف في قبائل شَهْران ، وكذلك قبيلة معاوية ، وهاتان القبيلتان متجاورتان ، وقد حصلت بينهما حروب دامت أكثر من قرنين من الزمن ، حسبما تواتر من روايات أشياخ أدركتهم من القبيلتين ، وعندما لا تكون القوتان متكافئتين تضطر القبيلة التي يحصل عليها ضغط الى الاستنجاد بأحلافها من قبائل (شهران) أو من قبائل (خثعم) وعلى الأخص قبيلة (أكلب) التي تتاخم حدودها حدود القبيلتين ، وقد قُضِي على هذه الحرب كما قُضِي على غيرها من الفتن التي كانت تعكر صفو الحياة في

---

(١) أنظر عنه «العرب» س ١٥ ص ١٥٩ .

الجزيرة العربية حين قيض الله لها الملك الراحل عبد العزيز ابن عبد الرحمن طيب الله ثراه ، وحلَّ الإخاء محل التنافر الذي كان سائداً بين القبيلتين ، ولله الحمد .

٢ ــ قال : إن بني سلول يجاورون خثعم القحطانية وتجاورهم منها (بنو الحليس) فإذا كانت قبائل خثعم كانت تجاور بني سلول في غابر الزمان فإنّ هذا الجوار لم يعد موجوداً في الوقت الحاضر ، إلا إذا اعتبرنا أن قبيلة (أكلب) التي يؤكد بعض النسابين أنها من (تغلب العدنانية) وانها دخلت بالحلف في قبائل (خثعم) ، اما (بنو الحليس) فلا تعرف قبيلة بهذا الإسم في وقتنا هذا إلا أن بطنا من بطون قبيلة بني واهب من شهران حليفة بني سلول يعرف باسم الحُلَسَة ، ولعل ياقوتاً حينما نقل ان قبيلة بني سلول تختلط مع بعض بطون كلاب من هوازن في الأماكن الواقعة بقرب (رَنُيَةَ) و(بيشة) يقصد قبيلة (أكلب) وهذا فيه خلط بين (اكلب) و(كلاب) ، فقبيلة (أكلب) معروفة بهذا الاسم منذ القدم وجلها بادية ومنازلها بين (بيشة) و(رَنُيَة) ولها حاضرة في (بيشة) وتربطها احلاف مع مجاوريها من قبائل (شهران) ومنهم (بنو سلول) وكذلك (معاوية) .

أما قبيلة بني (الحليف) التي قال انها تجاور بني سلول من الغرب فلا توجد قبيلة بهذا الاسم في وقتنا هذا إلا أن قبيلة من قبائل خثعم وتعرف باسم الحلافات ، ولكنها لا تجاور بني سلول بل إن بين بلدي القبيلتين مسافة كبيرة تسكنها قبائل كثيرة من (أكلب) و(الْفزَع) وغيرهما من قبائل (خثعم) اما الذي يجاور بني سلول من الغرب فهو قبيلة (معاوية) .

٣ ــ أشار الى أن منازل بني سلول بدأت تنكمش بترك القبيلة بعض مياهها ومنازلها وعلل انكماشها بكثرة الفتن التي تحدث بين القبائل عادة بسبب التنازع على المراعي والمياه ، وان بني سلول تميل الى المسالمة مع جيرانها واستشهد على ذلك بالبيت الذي قال فيه الشاعر :

ونحـن أنـاس الـخ

وهذا البيت فيه تَجَنٍّ على هذه القبيلة ، ولا أعرف مصدر هذا التجني مع بعد

المسافة بين موطن هذا الشاعر وبين مواطن سلول ، إذْ أن ما غمز به الشاعر هذه القبيلة لا ينطبق على ما تتحلى به من صفات عربية أصيلة من بينها الشجاعة والكرم اللذين هما أبرز صفات العرب .

٤ ــ الموقع المعروف قديماً : بـ(مطلوب ثم المعمل) غيرَ معروف بهذا الاسم في هذا العصر وقبيلة بني سلول الآن حاضرتها بلدة (الروشن) وقرية (النَّقيع) لا البقيع كما جاء في البحث ولا بادية لها . وأظن أن هذا الاسم الحقيقي هو النقيع اذ ليس في اسم البقيع ما يدعو إلى استبداله بالنقيع .

٥ ــ عدّد أسماء المنازل والمناهل والجبال التي قال إنها لبني سلول استناداً الى «معجم البلدان» لياقوت ، وهذه المواقع اذ كانت قبيلة سلول تحلها في غابر الدهر ، فإنها هجرتها منذ زمن بعيد ، بل أكثر هذه المواقع لم يعد محتفظاً باسمه وغالب هذه المواقع تسكنها قبائل (البقوم) كـ(تُرَبَة) التي تبعد عن (بيشة) قرابة مائة وعشرين ميلاً .

وكذلك (رنية) التي تسكنها قبائل (سُبَيْع) وتبعد عن (بيشة) بحوالي خمسين ميلاً وفي ضفتها الجنوبية جبل (الْكَور) الذي تضمن البحث انه من منازل قبيلة بني سلول ويطلق عليه (كَوْر سبيع) .

و(تربة) و(رنية) واديان كبيران ، منابع الأول سَرَوات بلاد (زَهران) وله روافد كثيرة ، ومنابع الثاني سروات بلاد (غامد) وبعض أودية (خثعم) وتفضي سيول هذين الواديين ووادي (بيشة) في أرض رملية تمتص المياه قبل أن يلتقي بعضها ببعض .

ولا يوجد أحد من (بني هلال) في وادي (تربة) وفي (بيشة) إلا أن قبيلة بني (سلول) تزعم انها بقية من بني هلال ، وتستشهد بأبيات نبطيّة منسوبة الى أبي زيد الهلالي بعد ان نزح بنو هلال الى المغرب يقول فيها :

رَحَلْنا ، وخلَّينا سلول بن عامر   في دِيْرةٍ غماّ ، وهُمْ منْ غمومها
بلاد بها رُبْع الزُّبيري غَنيمهْ   وميزان شُخْبٍ غنمة من غنومها
بلادٍ حلاويها لْعَبْدٍ وصانعْ   وبيَّاع حِلْتيْتٍ وبيَّاع ثُومْها

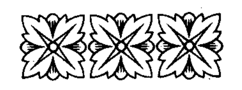
والزبيري : مكيال كانوا يتعاملون به لكيل الحبوب والتمر ، وهو عبارة عن ثلث الصاع .

وقد تحولت (بيشة) والحمدلله من الحالة التي وصفها بها الشاعر الخيالي وأصبحت من أحسن بلدان المملكة في العمران ، وكثرة المياه ، ووفرة الانتاج الزراعي وجودته ، ويرجع الفضل في ذلك بعد الله الى ما تنعم به من عناية المسؤولين في الحكومة السنية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن قبيلة (بني هلال) التي تسكن في (الْبِرْكِ) والمناطق المحيطة به ، هي بقية قبائل هلال بن عامر، وهي قبيلة كبيرة منها حاضرة ومنها بادية ، و(البِرْك) ميناء على ساحل البحر الأحمر ويقال له : بِرْك الغماد .

وبعد فلعلها فرصة إذ أتمنى لصحيفة (العرب) الرواج والتقدم .

(أبها) : **عبدالله بن علي بن حُمَيِّد**



الصِّمَّة القشيري الشاعر
طرف من أخبار قبيلته وشعره

قبيلة الشاعـر :

بنو قُشَير قبيلة من هوازن ثم من عامر بن صعصعة هم بنو قُشير بن كعب بن ربيعة ، وقد فَصَّلَ الهجريُّ فصائل هذه العشيرة تفصيلاً لا نجده عند غيره ، فذكر ان بني قشير بن كعب هم سلمة الخير ، وفيه الشرف والعدد ، وأُمُّهُ بنت الوحيد بن كلاب بن عامر بن صعصعة .

وسلمة الشر ومعاوية وأمها قسرية من قسر بجيلة .
ثم ذكر أن لسلمة الخير من الأبناء عبدالله وقرط وعامر ومالك .

وعدّ من أفخاذهم قرة بن عامر بن سلمة الخير ، وبنو مالك بن سلمة الخير من فصائلهم : سُعَير واحدهم سُعَيري ، وحزن وعامر ومعاوية والحر وصقر وضمرة ومغرا وعدر ، وذكر من قبائل عبدالله ابن سلمة قراس وفراس — بالفاء والقاف قبيلتان — وهؤلاء أهل الجباحي ، عرض في جنوبي الفلج وأهل صدّاء عرض من أعراضهم أيضاً ، ومُرارة وسوادة وبَحِير — مفتوح الباء والحاء مكسورة — وهُرَير .

وذكر من فصائل سلمة الخير : الوقّاد وسُمير وزُفَر وقيس وهؤلاء بنو سلمة يعرفون بأمهم أم دهر .

وعدّ من فصائل معاوية بن قشير : عَبيدَة — بفتح العين — وخُزَيمة ومُرَيح وسامة وحَيْدة والحجاج وعمرو ، وقال : هؤلاء كلهم أهل الريب وهم بنو معاوية وذكر أن عبيدة هذا هو أحد بني عطارد بن معاوية ، وعد من شعرائهم المختار بن وهب العبيدي .

(*) مجلة العرب — المجلد الثاني — ص ١٢٧ .

وذكر أن من بني عمرو هؤلاء آل يزيد.

وعدّ من بني معاوية بني دَيْسَق.

وذكر من فصائل الأعور بن قشير: مُشَنَّج وبَيْهَس وعاصماً وحُصَيْناً.

ومن قبائل سلمة الشَّرّ وهم لبُيَـنى: أوس، رهط الشاعر مُرَيْزِيق الغواني، ومن شعرائهم مُنقذ بن عُكيم صاحب عَوْجاء، وقيس وحُبَيْب — الحاء مضمومة — وأوس.

وذكر أن بني صُهَيْب — وهم من أهل الأفْلاج — ليسوا مِنْ قُشَيْرٍ صَلِيْبَةً، ولكن ولاءً.

هذا مجمل ما ذكره الهجريُّ عن فروع قبيلة قُشَير، والهجريُّ من أهل القرن الرابع.

أما كتب الأنساب الأخرى، فإنها لا تُمِدُّنا بتفصيلات عن هذه القبيلة أكثر من هذا مع تأخرها عن زمن الهجريّ، ذلك أنها تكاد تكون كلها تستقي من معين واحد هو مؤلفات ابن الكلبي الذي عاش قبل الهجري بقرن ونصف من الزمن ولا نجد من المؤلفات في الأنساب ما يسلسل لنا فصائل هذه العشيرة إلى عهدنا الحاضر، وذلك أن التأليف في الانساب وخاصة ما وصل إلينا، وان امتد الى عهدنا، إلا أنه بالنسبة لعرب الجزيرة انقطع منذ القرن الرابع.

وقد هاجر كثير من القبائل العربية في صدر الإسلام وبعده الى العراق والشام ومصر، وممن هاجر قسم كبير من بني قُشَير، نجدُ طرفاً من أخبارهم في القرن الأول الهجري، في خبر حروب كلب، وقيس، وفي القرن الرابع الهجري في أخبار حروب سيف الدولة الحمداني لأطراف الشام.

ونجد أنَّ أحدهم ويدعى جعبر بن مالك، وكان أعمى، استولى على قلعة على الفرات، وكانت قديماً تُسَمَّى دَوْسَرَ، فعرفت فيما بعد بقلعة جعبر، وأنه في سنة ٤٩٩ استولى عليها السلطان جلال الدين ملك شاه بن أرسلان، فنفى عنها بني قشير على ما ذكر ياقوت.

ومن المعروف أن القبائل العربية عند هجرتها لا تغادر بلادها الأصلية مرة واحدة ، ولكن يبقى لها بقية وخاصة حينما ندرك أن من أقوى بواعث الهجرات ما يصيب البلاد من قحط ، ولا شك أن بني قشير بقيت لهم بقية في بلادهم امتزجت مع القبائل الأخرى التي تجاورهم أو حلت ديارهم وهي أقوى منهم .

ومن أمثلة ذلك ، قبيلة عبيدة — بفتح العين — التي مر بنا ذكرها من أفخاذ قشير ، وانها تسكن بلاد الريب . ان هذا الاسم لا يزال يطلق على قسم كبير من سكان الرَّيب المعروف الآن باسم الرين — بالنون — تحريفاً . إلا أنه أصبح معدوداً في قحطان ، ذلك أن قبيلة قحطان اكتسحت بلاد نجد . قادمة من اليمن ومن أطراف أوديته الجنوبية ، التي تفيض في نجد ، ولهذا انضوى كثير من القبائل العدنانية الضعيفة القليلة العدد تحت سيطرة تلك القبيلة القوية .

بـلاد بني قشير :

تقع بلاد بني قشير في وسط بلاد بني كعب بن عامر ، مختلطة مع منازل هذه القبيلة ، التي من أشهر فروعها ، بنو عُقيل بن كعب ، وبنو جعدة ، وبنوقشير ، فبلاد بني عقيل تقع في الجنوب وفي الغرب ممتدة على ضفاف أودية بِيشة ورنية الى وادي الدواسر الذي كان يعرف قديماً بعقيق بني عُقيل ، وتخالطهم قشير في أطراف الوادي ، ومنازل بني جعدة في الأفلاج مخالطة لبني قشير ، وتمتد منازل قشير شمالاً من الأفلاج على أطراف جبل العارض ، الواقعة بين الأفلاج وبين وادي بِرْك ، أما من الناحية الغربية . فإنها تمتد من سفوح جبل العارض (طويق) غرباً من الأودية التي تنحدر من جبال العرض (عرض شمام) المعروف الآن ، وتنتشر هذه القبيلة في وادي الرين (الريب قديماً) ، وفي السهل الواقع بين العارض والعرض ، في المرّوت من الناحية الشمالية إلى رمل الدّبيل المعروف الآن باسم (نفود الدحي) من الناحية الجنوبية ويجاور القبيلة في المرَّوت : بنو حِمّان من تميم . كما يجاورهم في الجنوب الغربي من بلادهم : بنو عمومتهم عجلان وعقيل في جبال الحصاة (المعروفة قديماً باسم عماية) . ومن أشهر مياههم حايل : وحايل هذه في طرف المروت الجنوبي غرب نفود تبراك وليست حايل المدينة

الواقعة في شمال نجد المعروفة الآن ، ومن مياههم حلبان ، ولا يزال معروفاً ، ومن أشهر أوديتهم بِرْك والريب والفلج تشاركهم جعدة والحريش فيه ، ومن أوديتهم : الغيل .

ومن أشهر مواضعهم : المرُّوت إلا أن بني حمان من بني سعد من تميم كانت تشاركهم فيه ويروى البكري في «معجم ما استعجم» أن الحصين بن مشمت الحماني وفد على رسول الله ﷺ فبايعه ودفع إليه صدقات ماله فأقطعه الرسول ﷺ مياهاً في المروت منها أصهيب والماعزة وأهوى والثماد والسديرة ، وفي ذلك يقول زهير بن عاصم بن حصين :

إنَّ بلادي لم تكن أملاسا بهن خط القلمُ الانقاسا
من النبي حين أعطى الناسا فلم يدع لبساً ولا التباسا

وتتصل بلادهم غرباً بسواد باهلة حيث يشاركون هذه القبيلة في جبل يذبل الشهير المعروف الآن باسم صبحا ، ونجد تفصيلات وافية لمنازل هذه القبيلة في كتابي لغدة الأصفهاني والهمداني ، مما سنورده فيما بعد .

واذا أردنا تحديد منازل هذه القبيلة حسب التخطيط الجغرافي الحديث ، فإنه يمكننا القول بأن بلادها تقع بين خطي الطول ٤٥ْو٣٠َو٤٦ْوبين خطي العرض ٢١ْ و٢٤ْ ، ومعلوم أن هذه المساحة من الأرض لا تختص بهذه القبيلة ، بل يساكنها قبائل تجتمع معها في النسب من بني عامر بن صعصعة ، وقبائل أخرى تحل مواضع قليلة في نواحي هذه البلاد .

واذا نظرنا الى بلاد القبيلة ، نجدها تتمتع بجانب كبير من الخصب ، ففيها أنهار في جنوبها ومياه كثيرة ، وفيها أودية في شرقها وغربها خصبة ذات قرى ورعي للماشية ، وفي وسطها سهول ورمال إذا جادها المطر أصبحت من أصلح المراعي وأخصبها .

ان من أوضح ما ورد عن المتقدمين في تحديد بلاد بني قُشَير ، ما جاء في كتاب «بلاد العرب»[1] وملخصه : (وسوق الفلج ببطحاء وادٍ يُسمَّى وادي اكمة ، واسم الوادي كِرْز ، والسوق مدينة عظيمة ، ومنازل بني قشير في ناحية السوق ، على شاطيء

(١) نشرته «دار اليمامة» بتحقيق صاحب العرب .

الوادي ، نخيل ودور وحيطان ، ويسمى منزلهم الزرنوق ، ولبني قشير أيضاً قرية على فرسخ من الزرنوق يقال لها قَرْن ، فيها نخيل ودور ومزارع ، وفي ناحية قَرْن سَيْح اسحاق ، الذي اقتتلت فيه جعدة وقشير ، لأنه كان لقشير ، لاسحاق بن فُلان ، فاشترته جعدة ، فمنعتها قشير ، فوقعت بينهم فيه حرب ، وكانت جعدة اشترته بثلاث مئة ألف درهم وهو نَهْرٌ مخرجه من قناة ، وهو بطيحة واسعة ، وعليه من النخل ما لا يدرى مبلغه . والقاع أيضاً قرية لبني قشير حذاء قرن .

والشطبتان واديان فيهما نخيل ، وهما للحريش وقشَير .. واكمة قرية بها سوقٌ ومنبر لجعدة إلا قليلاً من أعلاها لبني قُشير . وكرز ساقيتها ، وأكمة بين جبال . والغيل في أعلاه لبني قشير أموال كثيرة .

وفي العارض ثنايا منها ثنيّة الهدّار ، وثنية أكمة ، وثنية نساح ، وثنيّة الأحيسي ، وبهذه الثنايا مياه لقُشير .

ومياههم بالدَّبيلِ شِباكٌ كثيرة ، منها الجاذبة والخضرة والصحبية ، والصبيغاء ، والقشيرة ، والرابغة ، والجناديات ، أمواه متقاربة ، والسلمية ، فهذه مياه الدَّبيل — والدَّبيل رملة بمقابلة العارض . ولهم بين الدبيل والعارض ماء يقال له أوّان ولهم المُوَير والرَّجْلاء والثادقة ، ولهم مياه كثيرة لا تُحْصى ، ولبني قُشيرٍ وغيرهم من الجبال عمايتان ، احداهما للحريش ، والأخرى لهم ولنهم من بني عبدالله بن كعب . ويذبل لبني قشير ، والينكير لبني قشير . والريم واد لبني معاوية ابن قشير . وقساس قريب من الينكير ، وهو جبل طويل ، وجبل يقال له بجاد في ناحية العَمْق لبني قشير .

. وصعق ماء لبني سلمة بن قشير ، والحاجر لهم أيضاً ، ولبني قُشير النُّقْر وهي في رملة معترضة دون جُرادٍ ، وهي شبه الوهدة ، يحيط بها كثيب ، وفيها نخيل ومياه منها الحاجر ، وواسط ، وبين النقر وقَرْقَرى مسيرة ليلتين ، وبين قَرْقَرى وحجَر ليلة ، والذي يخرج على سعاية خلطاء كعب أول ماء ينزله بعد قَرْقَرى الحاجر وواسط ، وتلك النُّقْر مقترنة بعضها ببعض ، ولهم الشبيكة من معادن اليمامة بين الحفيرة والعوسجة ، ولهم ماءة تسمى الأبترة عذبة ، عليها بنو اللُّبَين بينها وبين النقر ثلاث ليال ، ولهم شَعْبعب ،

وهي بحايل ماءة من وراء النقر بيوم ، تهبط من النقر حائلاً وإذا جاوز الحجّاج حايلا والمروت مقبلين صاروا في قرى اليمامة قال الراجز :

اذا قطعنا حائلاً والمَرُّوْت فأبعد الله السَّويقَ الملتوت

وحايل بين رملتين جراد والأطهار.

وقد أوضح الهمداني في «صفة جزيرة العرب» حصون قشير في «الأفلاج» فقال[1] : الفلج بلد أربابه جعدة وقشير والحريش بنو كعب . وأما قشير فهي بالمذارع ، وبه الحصون والنخل والزرع ، والسيح يجري تحت النخل ، والآبار أيضاً . فأول حصون بني قشير بالمذارع حصن العقيدة من بني فراس وأهله جفنة الفلج كرماء وجوه ، وحصن الفراسيين من بني فراس ، وحصن بني نبيت من بني قرّة ، بصدّاء من المذارع ، وحصن العادية بالصافية ، لبني سوادة من قشير ، وهم طوالع الأحساب ، وحصن آل شبل بالصافية أيضاً لبني هريم ، وحصن بني النجوى ، من بني هريم ، وحصن أم الجحّاف بن العنبر ، هريمي وحصن آل ضرار ، من بني هريم ، وحصون بني ثور ، وحصن بني صهيب بأكمة ، وحصن بني قُرْط من قشير — وذكر الهمداني : حصن الأحابشة من قشير ، والهيصمية لبني صهيب من بني قشير . وقال عنها : مدينة حصينة يركض على جدرها أربع من الخيل ، وجهد العالي بالسهم أن يبلغ رأسها .

وقال الهمداني أيضاً[2] : الرَّيب واد رغاب ضخم ، فيه بطون من قشير ، مريح بالكديد ، وهو أسفل وادي الريب ، وفي وسطه بنو حيدة ، وفي أعلاه العبيدات ، وطرف من بني قرَّة ، وفي أعلاه العبيدات ، وطرف من بني قرَّة ، وفي أعلاه واد يقال له عنان . والعذيب نخل وقرية ، وبينه وبين سواد باهلة ماء يقال له الغابة ، فيه نخل .

وقال الهمداني أيضاً في «صفة الجزيرة»[3] حايل هذه بقوله : (وعن يمين سواد

---

(١) ص ١٥٩ — وقد أصلحنا كلمات مصحفة في الكتاب .
(٢) «صفة جزيرة العرب» ص ٣٠٤ .
(٣) ص ٢٩٣ .

باهلة : بطن حايل ، وهو بلدٌ مثل يَدِ المُصافح ، يُرَى فيه الراكب من مسافة نصف نهار ، في وسط رُميلة يقال لها رُميلة الأطهار ، وفي أعلاه سوفتين ، ويحفّه رمل جراد ، وحدّه بين المروّت وبين جراد ، وهو أسفل رمل الشعافيق ، وفيه نُخَيل ونخلة ـــ ماءان لبني تميم ـــ وفيه ماء يقال له السحامة ، وبطرفه ماء يقال له الحفيرة ، حيث انصرم جراد ، ثم تنشأ رملة الحوامض ، تل منقطع الرمل ميلاً أو أكثر ، فبرملة الحامضة ماء ، هو الحامضة ، ملح ، يسلح الإبل ، ثم واسط ، ثم الحاجر ـــ غير حاجر المحجة ـــ وفيه ماء عذب ، وبه المِلْح ، وملح الحاجر قرارة بين أكثبة ، في وسط القرارة ، والقرارة سَبِخَةٌ ، ومِلْحٌ نحيتٌ أبيض وأحمر ، وفي وسط ذلك غديرٌ طوال قرارة الملح ، ينسل منه زَبَدٌ أبيض خفيف ، وهو أعذب الملح ، فيجفَّف فيصير ملحاً ، وبين أطراف هذه السبخة ومساقط الأكثبة نخل .

ثم أسفل من ذلك في حايل : سيح ابن مريع ، وهو سَيْحٌ كان غزيراً ثم انقطع بضعف أهله ، وبطنُ مُنيم ، وفيه مياه أملاح ، منها الجَدْعاء ، عند منجدع الرمل ، مقابلة لقف الوحي ، وفي بطن مُنيم مياه أملاح كثيرة ، منها : صوقَع ، والضُّبَيْبُ ، وقُنَيٌّ ، والهَوَّة ، وهي مياه مأجٌ ، لا مِلْحَ ولا عَذْبة ، وهي مقابلة لقُفّ ماذق ، وقُفُّ ماذق معترض بين الثنايا ، ثنايا الأودية ، حُنَيْظَلة ، ونَعام ، وبْرك ، وبين بطن حايل ، والعارض ـــ وهو قُفَيْفٌ ضعيف سَهْب الأعالي .

قشير من الناحية الاجتماعية :

يظهر للباحث عند استقراء بعض الحوادث الموجزة التي أوردها بعض المؤرخين المتقدمين ، أن بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وقشير احدى قبائل كعب ، وان كانت تجمعهم بلاد واحدة إلا أنه كثيراً ما حدث بينهم فتن من جراء التنازع على بعض المواقع ، وهذه الفتن سببت ضعف القبيلة وأوجدت خلافات بين فروعها بحيث خالطها قبائل أخرى زاحمتها في بلادها وساكنتها ، وفي آخر الأمر طغت عليها وتغلبت ثم قذفت جنوبي الجزيرة بموجات قوية من هجرات القبائل التي انتشرت في بلاد بني كعب في وقت كانت هذه القبيلة قد اخلدت الى التحضر وساعدها في ذلك خصوبة أرضها والقوة غالباً ما تكون من صفات البداوة وخاصة في جزيرة العرب ، وهذا مع انتقال

قسم كبير من عقيل وقشير وجعدة وبلعجلان من قبائل كعب إلى خارج الجزيرة ، هذا من الأسباب التي أزالت كيان قبائل كعب داخل الجزيرة ، وبقيت بطون منها ضعيفة قليلة محالفة للقبائل التي تنتمي إلى الجذم القحطاني ، كالدواسر ، وقحطان الحديثة وغيرهما ، ولهذا فمن الصعب على الباحثين فصل الأفخاذ الباقية من قبيلة كعب بما فيها قشير من هذه القبائل الحديثة ، وان كنا نجد بعض هذه الأفخاذ لا يزال محتفظاً باسمه ومقيماً في بلاده ، وان كان معدوداً من حيث النسب في قبائل قحطان الذين منهم أغلب فروع قبيلة الدواسر التي أصبحت تسيطر الآن على القسم الجنوبي من بلاد قبيلة كعب ، وفي قحطان التي حلت في عهد قريب لا يتجاوز القرنين حلت في غرب بلاد قشير .

الناحيـة الثقافيـة :

نعني بهذه الناحية ما أثر عن القبيلة من أدب منثور أو منظوم ، إذ ليس من المستطاع تجاوز هذه الناحية لخفاء معالم ما عداها .

وعلماء الأدب وان عنوا في أول الأمر بدراسة أحوال القبائل الأدبية عناية نرى آثارها فيما جمعه أمثال ابن حبيب والسكري وغيرهما من شعر القبائل كل قبيلة على حدة كشعر هُذيل مثلاً ، إلا أننا لا نجد فيما بين أيدينا الآن شيئاً خاصاً عن قبيلة قشير .

ولعل أوفى مجموعة من ذلك ما دونه لنا عالم الجزيرة في القرن الرابع الهجري أبو علي هارون بن زكريا الهجري ، فقد جمع لنا هذا العالم طائفة كبيرة ، نجد جُلَّهَا في كتابه «التعليقات والنوادر» في القطعة الباقية من هذا الكتاب المحفوظة في دار الكتب المصرية ، وليس المجال مجال توسع في دراسة ما دونه هذا العالم ، فموضوعنا ينحصر في الحديث عن الشاعر الصمة بن عبدالله أحد شعراء هذه القبيلة .

لقد اعتمد الهجري فيما دونه من شعر قشير ونثرها على علماء من نفس القبيلة من باديتها ، فنقل الكثير من ذلك عن أبي الميمون القشيري ، ونقل عن زيد بن فائد بن غالب بن بشير بن عُطَيٍّ من عَبيدة قشير ، وأورد فصلاً خاصاً عَنْوَنَهُ بـ(نوادر مكرمة بنت الكريد الفراسية ، أم سليمان من عبدالله بن سلمة بن قشير) .

ونجد فيما نقل من ذلك طائفة كبيرة من أسماء الشعراء الذين أورد لهم مقطوعات جيدة من الشعر مصرحاً بأسمائهم مما نكتفي الآن بسرد تلك الأسماء مضيفين إليها أسماء قليلة ذكرها غيره .

من شعـراء قشير :

الأبرقُ الحرّي ، من بني مالك بن سلمة . ذكره الهجري .

الأعنق ابن الباهليَّة الحبيبي اللبيني : ذكره الهجري .

الأقرع بن معاذ القشيري ، الشاعر — على ما ذكر ابن الكلبي .

بشير بن عطي العبيدي ، أحد بني ديسق ، من معاوية ، صاحب أم وهب ، أورد الهجري بعض شعره .

بطَّال بن معاوية من بني مالك بن سلمة : ذكره الهجري .

بهيج بن سرور بن عُطيٍّ — ذكره الهجري .

ابن جحفل اللبيني . ذكره الهجري .

جعفر بن الربيع ، من عبيدة . ذكره الهجري .

جفنة بن قرَّة بن هبيرة ، فارس القلادة — اسم فرسه — وكان شاعراً ، على ما ذكر ابن الكلبي .

حباب بن بكير القَرّيُّ . ذكره الهجري .

حبيب بن يزيد بن معاوية بن قشير أورد الهجري طائفة من شعره .

الحسين بن جابر المريحي ، أورد له الهجري شعراً كثيراً .

خليفة بن عاصم من معاوية بن مالك . ذكره الهجري .

سلمة بن رماح الأسدي اللبيني — ذكره الهجري .

سلمة بن رماح الأسدي اللبيني — ذكره الهجري .

سوّار بن أوفى بن سيرة ويعرَف بابن الحيا ، وهي أمه شاعر حدثت بينه وبين النابغة الجعدي الشاعر مهاجاة ، فهجاه النابغة بقصيدته التي يقال لها الفاضحة ، لأنه ذكر فيها مساوىء قشير وعقيل ، وما كانوا يسبون به ، وفخر بمآثر قومه ، من جعدة : وبما كان

لسائر بطون عامر، سوى هذين الحيّين، قشير وعقيل، وقد دخلت الشاعرة ليلى الأَخْيلِيَّةُ العُقَيْلِيَّةُ بين الشاعرين مدافعة عن قومها، فهجاها النابغة، وقد أوضح صاحب «الأغاني» خبر هذه المهاجاة[1].

وقد ذكر هذا الشاعر ابن الكلبي في «الجمهرة» وغيره.

شداد بن جفنة — ذكر ابن الكلبي أنه كان شاعراً.

الصمة بن عبدالله القشيري — صاحب طيّا — ذكره الهجري وغيره — وهو الذي نتحدث عنه.

عايذ بن نُمّي بن معاوية بن قشير، ذكره الهجري.

عبدالله بن طفيل، أبو الصمة، ذكره الهجري، وأورد له من الشعر قوله حين فارقه ابنه:

ألا مَنْ لقَلْبٍ قد أُصِيبَتْ مقاتُلهْ ... بـه غُـلَّـةٌ عـاديَّـةً مـا تُـزَايِلُـهْ
وعينٍ رماها الله بالشوق كلما ... رأتْ حيث يلقى مَصْرِمَ الْحَبْل حَايِلُهْ

ابن العفّي اللبَيْني

عمارة المعزاوي من مالك بن سلمة.

عوسجة بن نصير المريحي.

عيسى بن عمير اللبيني — ذكرهم الهجري وممن ذكر أيضاً.

الفارعة بنت معاوية بن قشير، وأورد من شعرها.

القرطي، من مالك بن قشير.

قرة بن هُبيرة، وفد على رسول الله ﷺ فأكرمه واستعمله على صدقات قومه ومن شعره:

حباها رسول الله إذا نَزَلت به ... وأمكنها من نائل غير منفدِ
فأضحت بروض الخضر وهي حثيثة ... وقد أنجحت حاجاتها من محمد

---

(1) «الأغاني» — ١٣٢/٤ —.

القشيري ، صاحب سُعْدى : ذكره الهجري ، وأورد من شعره .
قطن بن حَزنٍ — الشاعر — ذكره ابن الكلبي .
محرز بن قرَّة من معاوية من أهل الرّيب — ذكره الهجري .
محمد بن حكيم : ذكره الهجري .
المختار بن وهب من عطارد ثم من عَبيدة ، ذكره الهجري .
مدرك بن كلاب القشيري : ذكره البحتري في « الحماسة » واختار له بيتين من الشعر .
مُرَيزيق بن صالح أبو مدرك ، أورد له الهجري شعراً كثيراً .
مريزيق الغواني ، من بني أوس أورد الهجري شيئاً من شعره .
مزيد بن حارث ، من بني مالك ، ذكره الهجري .
المَسلَّم بن عسكر اللبيني من بني حُبَيْب : ذكره الهجري .
مصعب بن طفيل القشيري — أورد ياقوت من شعره :

ألا حبّذا يا خير أطلال دمنة بحيث سقى ذات السلام رقيبُها
إذ العين لم تبرح ترى من مكانها منازل قفر ناء عنها حبيبها
بناصفة العمقين ، أو برقة اللوى على النأْى والهجران شبَّ شبوبها

مصقع بن حسين المريحي — ذكره الهجري .
معروف بن قدامة القُشيري — صاحب منْيعة — أورد له الهجري شعراً .
المنتجع اللبيني : من بني الأعور ذكره الهجري .
منقذ بن عطاء الفراسي : ذكره الهجري .
منقذ بن عليم ، صاحب عوجاء ، ذكره الهجري .
المنْيخيس ، أحد بني المشنج اللبيني : ذكره الهجري .
مَيْمون بن عامر — صاحب خيرة — في « التعليقات » للهجري له شعر كثير .
ميمون بن عايذ القشيري : ذكره الهجري .
نوارُ بن الثَّغاء اللبيني ، أورد له الهجري قصائد ومقطوعات .
نهيك بن مالك بن معاوية بن سلمة ذكره ابن الكلبي وقال : انه كان جواداً شاعراً .

الورد بن علي المريحي ، ذكره الهجري .
ابن الوهل : ذكره الهجري .
يزيد بن الطثرية ـــ من أشهر الشعراء ، وستأتي ترجمته وطائفة من شعره (العرب : م ١ ـــ ص ٨١٦ وما بعدها) .

الشاعـر الصمـة :

هو ابن عبدالله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة ـــ أو عبدالله ـــ ابن عامر ابن سلمة الخير. هذا نسبه على ما في «الأغاني» أما ابن الكلبي في «الجمهرة» فيجعل بدل الطفيل ، الحارث والهجري أورد نسبهُ في موضعين كل موضع يختلف عن الآخر ، ففي أحدهما : الصمة بن عبدالله بن طفيل بن زيد بن ثور بن سوادة بن قرة بن سلمة الخير بن قشير وفي الموضع الآخر : طفيل بن قرة بن عبدالله بن سلمة .

وعندما يفرع الهجري فصائل بني سلمة يقول : هؤلاء في عامر ، ثم من عامر في نُبيْط ونبيط رهط الصمة بن عبدالله ، فكأن عامراً عنده ليس اسم جد ولكنه اسم يطلق على مجموعة عشائر بني سلمة الخير.

وليس لدينا من المصادر ما نستدل به على تحديد زمنه ، إلا أن المؤرخين يتفقون على انه شاعر أموي . ويحدد الأستاذ الزركلي في «الأعلام»[١] سنة وفاته بأنها : (نحو ٩٥ هـ ـــ ٧١٤ م) وهذا تحديد تقريبي .

ويصفه صاحب «الأغاني»[٢] بأنه شاعر اسلامي بدوي مقل من شعراء الدولة الأموية ، وان جده قرة بن هُبَيرة وفد إلى النبي (ص) ، فأثنى على عقله ، ولقرة هذا ترجمة في كتب الصحابة .

ويصف ابن الكلبي في «جمهرة النسب» الصمّة بأنه كان شريفاً شاعراً ناسكاً عابداً .

---

(١) ج٣ ص ٣٠٠ .
(٢) ج٥ ص ١٢٤ وما بعدها .

والصمة هذا من شعراء نجد ، كما سيأتي تحديد موطنه . أما قول الأستاذ الخير الزركلي بأنه كان يسكن بادية العراق ، فهذا القول جرى على طريقة مؤرخي الأدب الذين جعلوا كل شعراء نجد معدودين من أهل العراق وخاصة في العهد الأموي لكثرة وفودهم على المدن العراقية ، ولكون رواة شعرهم في الغالب من أهل هذه المدن .

أما شاعرنا فلا صلة له ببادية العراق ، بل كان يسكن مواطن قبيلته في قلب نجد ، وسبق تحقيقها حتى جرى له ما جرى ، فانتقل إلى الشام ثم إلى بلاد المشرق ، كما سنوضح فيما بعد .

ولا نجد تفصيلات وافية عن حياة الشاعر الصمة ، وأبرز ما نعرف عنه هو كونه من الشعراء العشاق الذين لم يوفقوا في عشقهم ، مما سبب له الهجرة من أهله وعشيرته مغاضباً لهم ثم قضاء حياته في لوعة وأسى فاض بهما شعره الرقيق الذي يكاد كله أن يكون محصوراً في هذه الناحية .

وقد عده صاحب «الفهرست»[1] من العشاق الذين أُلِّف في أخبارهم وسمى هذا التأليف «كتاب الصمة بن عبدالله وريَّا» .

عشقه :

يروى المتقدمون أنه هوى ابنة عمه ، ويصفه ابن الكلبي بالنسك والعبادة ، وأنه خطب عشيقته ، فأجيب الى ذلك ، إلا أنه عمه اشتط في المهر فطلب منه خمسين ناقة فاستعان بأبيه فدفع المهر ينقص ناقة واحدة قائلاً : ان عمك ما ينظرك في ناقة ، ولكن عمه قال : والله لا أقبلها إلا كلها . فلجَّ عمه ، ولجَّ أبوه فقال الصمة : والله ما رأيت الأم منكما ، وأنا ألأم منكما ان أقمت معكما ، فرحل الى الشام فلقي الخليفة فكلمه فأعجب به وفرض له ، وألحقه بالفرسان ، فكان يتشوق إلى نجد . وهذا الخبر منسوب إلى أحمد بن أبي رياش وهو أديب نجدي ، له شرحٌ على «حماسة أبي تمَّام»[2] وقريب

---

(١) ص ٣٠٦ الطبعة الأوروبية .

(٢) «خزانة الأدب» للبغدادي ج١ ص ٤٦٤ .

من هذا يروى صاحب «الأغاني» ، إلا أنه يأتي بقصة أخرى قد تكون أقرب إلى العقل ، ونجد في شعر الصمة نفسه ما يؤيدها وتتلخص في أن محبوبته زوجها أهلها رجلاً آخر أرفع منه مقاماً هو عامر بن بشر بن أبي براء بن مالك بن ملاعب الأسنة بن جعفر بن كلاب ، ومعروف أن بيت أبي براء هو بيت بني كلاب من حيث الشرف والمجد ، وان الزواج كان الدافع له الرغبة في قرابة هذا الزوج الذي يصفه صاحب «الأغاني» بأنه كان قصيراً قبيحاً ، ويورد من شعر الصمة في ذلك قوله :

فإن تنكحوها عامراً لاطلاعكم   إليه يدهدهكم برجليه عامر

ونستبعد أن يكون أبوه قد ضن عليه باكمال المهر ، ذلك اننا نجد أباه قد تأثر بسبب مغاضبته وهجرته ، فقد أورد له الهجري ، بيتين من الشعر تقدم ذكرهما .

ويروي صاحب «الأغاني» ان الصمة بعد زواج حبيبته وجد بها وجداً شديداً ، وحزن عليها ، فزوجه أهله امرأة منهم يقال له جبرة بنت وحشي ابن الطفيل بن قرة بن هبيرة ، فأقام عليها مقاماً يسيراً . ثم رحل الى الشام غضباً على قومه وترك زوجته ، وقال لها فيما قال :

كلي التمر حتى يصرم النخل واضفري   خطامك ، ما تدرين ما اليوم من أمسِ !

ولعل في هذا البيت ما يصور لنا ان هذه الزوجة كانت على درجة من السذاجة وعدم الفهم .

ويحسن ونحن نتحدث عن عشقه أن نستقريء ما لدينا من شعره علناً نعرف شيئاً عن محبوبته .

نجد في هذا الشعر خمسة أسماء تغزل الصمة بكل واحدة منها ونجد اسماً سادساً هو كنية ، وسابعاً هو نسبة ، أما الأسماء فهي : ريًّا ونجدها في المقطوعات (١ — ١٣ — ٢٤) وفي أكثر كتب الأدب نصوص على أنها عشيقته وابنة عمه .

ونجد لدى الهجري اسماً آخر هو : طيا ، فقد أورد جل ما أورده متضمناً هذا الاسم

في المقطوعات (١ — ٨ — ٢٩) ، بل نجد في المقطوعة الثامنة ، أنه كرر هذا الاسم بضعة عشر مرة ، ونجد الهجري وقد أورد اسم ريًّا يعقب عليه بقوله : الصواب طيًّا .

والهجري تلقي شعر الصمة وأخباره عن أحد أحفاده ويسميه مضاء بن مضرحي بن الثويب بن الصمة .

والهجري يعرف كثيراً عن هذا الشاعر وعن قبيلته ، وهذا مما يحمل على الاعتقاد بأن اسم صاحبة الصمة هو طيًّا وان ريّا ما هو إلاَّ تحريف ، دفع إليه شهرة اسم ريا وغرابة اسم طيّا ، والهجري عندما يذكر الصمة يقول عنه : صاحب طيا .

أما الأسماء الأخرى فهي : سلمى (المقطوعة ١٥) وظمياء في (المقطوعة ١٢) ونرى هذا محرفاً عن طيا .

ونجد اسم ليلى (في المقطوعة ٢٦) ، ولا نستبعد ان تكون هذه المقطوعة ليست من شعره .

أما النسبة (العامرية) فنرى أنه نسب ابنة عمه إلى قومه وهم يعرفون ببني عامر كما تقدم .

ولعلَّ اللقب الوارد (في المقطوعة ١٥) في شعره ، يطلق على عشيقته .

موطنــه :

الصمة كما قلنا ، يعيش مع قومه بني قشير ، وسبق تحديد بلادهم . ويرى ياقوت في «المعجم»[1] أَنَّ شعبعب ماء للصمة بن عبدالله بحائل من وراء النقر بيوم ، تهبط من النقر حائلاً ، ولكننا نجد الهمداني وهو أقدم من ياقوت يعد شعبعب قرية وهو لا يتنافى مع قول ياقوت ، فقد يطلق اسم الماء على القرية .

وشعبعب هذه قد درست الآن وجهلت ، وهي في حايل ، وحايل هذه سبق تحديد

---

(١) ج٣ ص ٢٩٦ الطبعة الأوروبية .

الهمداني لها ، تقع بين المروت من الناحية الشمالية ، وسفوح جبال العرض من أسفله ، بحيث تفيض أوديته مشرقة ، ومن الناحية الشرقية نفود تبراك ويعرف قديماً بجبل تبراك كما ورد في شعر الصمة وتبراك منهل لا يزال معروفاً أما من ناحية الجنوب فيحدها رمل الدبيل المعروف الآن باسم نفود الدّحى الذي في من مناهله المعروفة الآن قُنَيٌّ والهُوَّة ، وكانا معروفين منذ القدم ، وورد الأول في شعر الصمة .

وإذا رجعنا إلى شعر الصمة لكي ندرس بلاده على ضوئه نجد فيه أسماء هذه المواضع :

الأخـربان : (المقطوعة ٦)

وأقرب ما نراه أكثر انطباقاً على هذا الموضع هو ما ذكره المتقدمون من أن الأخارب — بصيغة الجمع — قرون حمر بين سجا والثعل ، وهذان منهلان في عالية نجد ، لا يزالان معروفين ، ولكنهما بعيدان عن بلاد قشير ، ولعله ذكر الأخربين في أثناء سفره إلى مكة ، بل انه فعل ذلك ، فهما يقعان بطريق مكة ، وهو ذكرهما في قصيدته التي وصف بهما طريقه ،

ولا نستبعد أن يكون الصواب الأخرجين ، وهما من جبال المردمة التي لا تزال معروفة ، وطريق المسافر إلى مكة من جنوب بلاد قشير يمر بقربهما .

الأعـراف (المقطوعـة ٢٤) :

هذه الأعراف تعرف بأعراف لُبْنَى ، وتقع في هضب يعرف قديماً بهضب لُبْنَى ، ويعرف الآن باسم الهضب غير مضاف ، وقد يقال فيه هضب آل زايد لوقوعه بطرف بلاد آل زايد الدواسر من الناحية الشمالية الغربية .

البشر (المقطوعتان ١٤ — ٢٤)

نجد هذا الاسم في كثير من كتب الأدب ، بل نجد ياقوتاً في «المعجم» أورده مستشهداً بشعر الصمة ، والبشر سلسلة الجبال المعروفة الآن في جهة الفرات ، ولكننا نستبعد أن يذكره الصمة في شعره لعدم صلته به ، ونرى أن الصواب في هذا الاسم هو

النّير (بالنون المكسورة بعدها ياء ثم راء مهملة) وهي سلسلة جبال عظيمة تقع في عالية نجد في طرف بلاد بني قشير وليس منها بل في الناحية الغربية عنها . والذي يحملنا على هذا هو أن الهجري أورد ما أورده ياقوت من شعر الصمة وفيه النير ، ويضاف الى هذا أن الصمة أورد اسم جبل سُواج بعد ذكر النِّير ، وهو يقصد جبلاً لا يزال معروفاً بقرب النير وقرب المردمة ، وهو المعروف بسواج المردمة وليس سواج الحِمَى أو سواج الخيل المعروف الآن في شرق حمى ضرية .

بصـرى (المقطوعة ٢٨) :

معروف أن بصرى من بلاد الشام التي ارتحل إليها الشاعر .

تـبراك (المقطوعتان ٦ — ٣٢) .

هذا منهل لا يزال معروفاً في طرف النفود المعروف باسمه وباسم نفود قُنَيْفِذة ، وهو في القديم من بلاد بني قشير .

جبل الأوشال (المقطوعتان ٨ — ١٠) :

قد يكون هذا الاسم ليس علماً ، وإنما هو جبل تكثر فيه أوشال الماء ، هذا إذا لم يكن الاسم محرفاً .

جفـاف (المقطوعة ٢٩) :

وهو ماء لبني جعفر بن كلاب ، وبلادهم تقع في الجنوب الغربي من بلاد بني قشير ، وليست متصلة بها .

حايل (المقطوعتان ٢٨ — ٣٢) :

هذه من بلاد قشير ، أرض واسعة ، تقدم تحديدها .

حصن الباهلي (المقطوعة ٦) :

ذكره الشاعر في قصيدته التي وصف بها مناهل رحلته إلى مكة ، ويقع هذا بقرب بلدة القويعية ، ويعرف قديماً بحصن ابن عصام الباهلي حاجب النعمان بن المنذر ، وهو

في بلاد باهلة المجاورة لبلاد قشير من الناحية الغربية .

الحمى (المقطوعات ٨ — ١٤ — ١٥ — ١٨ — ٢٤ — ٣٤) :

أكثر الشاعر التشوق إلى الحمى ، ونرى أنه يعني حمى النير ، وهو حمى كليب وائل في القديم ، ويقع غرب بلاد قشير وجنوبها .

خزازى (المقطوعة ١٠) :

ويسمى خزاز بدون ألف ، وهو جبل لا يزال معروفاً يشاهد من بلدة دُخنة الواقعة في عالية نجد رأي العين .

دابق (المقطوعة ٤) :

قرية قرب حلب بينهما أربعة فراسخ ، وذكرها الشاعر حينما كان في الشام .

ذات الرمث (المقطوعة ٢٨) :

لعل الشاعر لم يقصد أرضاً بعينها وإنما قصد أرضاً تنبت الرمث .

ذروة (المقطوعة ١١) :

لا نجد فيما بين أيدينا من النصوص ما نستطيع به معرفة مكان بهذا الاسم لنستطيع أن نرجح أن الشاعر أراده ، فهناك ماء في بلاد غطفان بهذا الاسم ، ونستبعد أن يكون الشاعر قصده . ولعل هذه المقطوعة مما نسب إلى الشاعر وليست له .

الرقاشان مثنى رقاش (المقطوعة ٢٤) :

هما عمودان طويلان من الهضب ، والهضب ذكره الشاعر وتقدمت الإشارة إليه .

سُعْد (المقطوعة ١٣) :

هذه قرية من قرى قرقرى ، وقرقرى متصلة ببلاد قشير من الناحية الشرقية الشمالية ، وتعرف الآن باسم الحمادة ، وهي السهل الممتد في سفح جبل طويق عارض اليمامة من الغرب ، وفيها قرى كثيرة من أشهرها : ضرما . وهذه القرية ليست معروفة الآن .

السليل (١٢/١٦) :

لا أعرف موضعاً بهذا الاسم إلا الذي في بلاد بني أسد غرب القصيم ، وهو بعيد عن بلاد الشاعر ، ولا يستبعد أن يكون هناك اسم موضع آخر أراده الشاعر أن صح نسبة هذا الشعر له .

سنام الحمى (١٨) :

وقد يقصد الشاعر أعالي الحمى ، وهناك منهل بقرب جَبَلِ سَنَامٍ غَرْبَ ماوان في حمى الربذة وهو بعيد عن بلاد الشاعر .

ذو سَلَم (٢٤) :

يطلق هذا الاسم على مواضع عديدة ولعل الشاعر أراد موضعاً ينبت السَلَم ولم يقصد موضعاً بعينه إذ المواضع المعروفة بعيدة عن مواطن الشاعر .

سُواج (١٤) :

يقصد الشاعر الجبل الواقع جنوب النير ، وهو لا يزال معروفاً باسمه ، ولا يقصد الجبل الآخر الذي تقدم ذكره .

الشر (١٤) :

هذا من أفظع التصحيف في اسم النير ، وقد جاء هذا في الشعر الذي أورده الآمدي[1] وغيره . وهو في «معجم البلدان» البشر ـــ تصحيف أيضاً ، تقدم ذكره .

شعب مراهق (٣) :

من المواضع التي لم أهتد إلى معرفتها .

شعبعب (٢ ـــ ٣٢) :

تقدم الكلام على هذا الموضع مفصلاً .

---

(١) «المؤتلف والمختلف» ص ٢١٤ تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج .

الصمد (١٢) :

ورد هذا الاسم في مقطوعة في التغزل بظمياء ، ورد فيها اسم السليل وعاقل ، ووصفت ظمياء هذه بالحارثية ، ونرى أن المقطوعة ليست للصمة ، إذ عاقل والسليل في شمال نجد بعيدان عن بلاد قشير ، ثم إننا لم نر الصمة يذكر ظمياء الحارثية ، والتي نرى أنها من حارثة بني أسد بقرينة ذكر عاقل والسليل ، والصمد ليس بعيداً عن منازل أسد وكذا السليل .

الضمار (٢٢) :

يحدده ياقوت بأنه بين نجد واليمامة ، وهذا تحديد غريب ، ويفهم من البيت الوارد فيه أنه بقرب المُنيفَة ، وهي على ما ذكر ياقوت بئر لبني تميم ، في فلج . وفلج يعرف الآن بالباطن ، واد عظيم يخترق أسفل نجد من الغرب إلى الشرق من الدهناء حتى قرب البحر ، ويقع بطريق المتجه إلى العراق ، فهل اتخذ الشاعر طريقه إلى الشام الطريق المار بالعراق ؟ هذا ما لا نستطيع الجزم به ، لعدم الأدلة .

عارمة (١٤) :

يطلق هذا الاسم على موضع في بلاد بني قشير وعلى جبل في بلاد بني عامر ونراه المقصود هنا إذ الشاعر ذكر أنه هضْب ، وقرنه بالنير وسُواج .

عاقل (١٢) :

عاقل هذا واد يعرف الآن باسم العاقلي فيه مزارع لأهل مدينة الرس ، وكان من منازل بني أسد ، ويروون أن الملك الحارث جدّ امرىء القيس الشاعر ، لما كان ملكاً لبني أسد كان يحله ، والوادي طويل يشترك فيه في القديم مع بني أسد غَنيّ وتميم ، ولكنه كما قلنا بعيد منازل بني قشير ، وسبقت الإشارة إلى ذلك .

العثعثان (٤) :

ورد هذا الاسم في مقطوعة قالها الشاعر وهو في الشام ، يتشوق إلى هذا الموضع ،

وإلى واسط . والأخير من بلاد بني قشير ، أما العثعث فهو الكثيب السهل ، وقد يقصد الشاعر موضعاً بعينه ، وقد يقصد كثيبين من أكثبة بلاد قشير التي تحيط بها الكثبان من جوانبها الثلاثة ، قال القطعة وهو في دابق وهي بلاد جبلية .

غمار شعبعب (٢) :

أضاف الغمار إلى شعبعب ، وشعبعب موضع تقدم ذكره ، والغمار من الناحية اللغوية هو الماء الكثير ، ولكن نرى أن الشاعر قصد موضعاً بعينه قريباً من شعبعب التي هي قريته على ما ذكر الهمداني ، قال «صفة الجزيرة»[1] : (البيضة قف أبيض فيه مياه ، ونخل ومزارع ، من مياهه عُشيرة والكفافة والغاضرية والخلائق وعن يسارها شعبعب وهي قرية كانت لبني طفيل بن قرة ، هي وحاجر الملح) .

الغور (٢/٢٤) :

ورد هذا الاسم عرضاً حينما ذكر الشاعر جراد الغور طالباً منه حمل تحيته لمحبيه ، وحينما وصف جملاً علوياً طوحت به المقادير ليعيش في الغور . والغور عندما يطلق يقصد به الأرض المنخفضة الممتدة على ساحل البحر ، ويشملها اسم تهامة أيضاً .

قرقرى (٦) :

ورد ذكرها في قصيدته التي ذكر فيها طريقه إلى مكة وقرقرى هي من أسفل بلاد بني قشير ، وتقدم تعريفها في (سُعْد) .

قرن نخلة (٦) :

ورد ذكرها أيضاً في وصف رحلة الشاعر إلى مكة ، وهو يقصد وادي قرن ، قرن المنازل المعروفة الآن باسم السيل ومنه يحرم حجاج عالية نجد ، بل أكثر أهل نجد ، وأضافه إلى نخلة ، إذ هو أعلى وادي نخلة ، وهما نخلتان الشامية واليمانية ، ويلتقيان

---

(١) ص ١٤٨ .

فيكونان وادياً يدعى مر الظهران قديماً ، ووادي فاطمة حديثاً ، ثم ينحدر إلى البحر فيصب فيه جنوب مدينة جدة .

قنـيّ (٢٤) :

ورد هذا الاسم مصحفاً في الأغاني وغيرها من كتب الأدب إلى قُنين ، وقُنيّ من بلاد الشاعر ، ولا يزال معروفاً ، وفيه من الشعر القديم :

لكن أهل قنيّ حين يجمعهم عيش رخيّ وفضفاض معاسير

القُبَيْبَـة (٢٤) :

ورد هذا الاسم في أول القصيدة العينية من كتاب «المنازل والديار» لأسامة بن منقذ ، وهو بيت يدل ضعفه على أنه مصنوع ليس من شعر الشاعر ، وأن أحدهم رأى القصيدة ناقصة من أولها ، فأوجد لها هذا البيت الركيك اللفظ الضعيف المعنى ، ليكون مطلعاً لها .

قُنيْـن (٢٤) :

هذا الاسم ورد بدل قُنيّ ، وهو غير صحيح كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

مُـراهق (٣) :

تقدم ذكره .

المطالي (٣٤) :

المطـالي واحدها مطلى ، وهي أمكنة في بلاد بني أبي بكر بن كلاب ، وبلادهم تقع غرب بلاد بني قشير ، وليست متصلة بها ، ولكنها قريبة من حمى النير ، الذي ذكره الشاعر كثيراً وقرنه بهذا الموضع .

مطلوب (٦) :

ورد في قصيدة الرحلة إلى مكة ، والمقصود به ماء من مياه نَمَلَى بقرب جبال

المردمة ، وتقع على طريق المتجه إلى مكة من وسط بلاد بني قشير.

المُنيَفة (٢٢) :

تقدم ذكرها في الضِّمار.

نجد (٢٤/٢٢/١٣/١١/١٠/٨/٦) :

ويسميه الشاعر النجد أيضاً بالتعريف ، وهو البلاد الواسعة العريضة في جزيرة العرب الذي أطال الشاعر وهو في غربته حنينه إليه . وشهرته تغني عن تحديده .

النِّيْر (٣٠/١٤/٨) :

هو جبل عظيم بل سلسلة جبال في عالية نجد غرب بلاد بني قشير ، لا يزال معروفاً يدعه طريق السيارات إلى الحجاز على اليمين ويشاهد منه من بُعد رأي العين بعد أن يقطع المسافر السلسلة الجبلية الواقعة غرب بلدة الدوادمي متجهاً غرباً .

وقد كثر تصحيف هذا الإسم في الكتب القديمة ، ومن أغرب أنواع التصحيف فيه ، ما أورده البكري في «شرح الأمالي» حيناً أورد هذا البيت :

وشِمْتُ البارقات فقلت : جيْدَتْ
جبال النِّيْر ، أو مُطر القَليب

فقد ورد الاسم في مطبوعةِ «الأمالي» مصحفاً عدة تصحيفات وحاول البكري تصحيحه ، فقال : الثبر فأغرب وأعجب .

وادي الشرى (٢٤) :

هذا كما يفهم من القصيدة في الغور وليس في نجد ، والشاعر ذكره عرضاً .

واسط (٤) :

تشوق الشاعر إلى هذا الموضع ، وهو في الشام ، وهو يقصد موضعاً في بلاد بني قشير

لا يزال معروفاً ، فيه قرية صغيرة ويزرع وقت الشتاء ، يقع في الجنوب الشرقي من بلدة الدوادمي ، وهو معدود من توابعها .

ودَّان (٢٠) :

ودَّان كما هو معروف ، يقع بقرب ساحل البحر الأحمر بين رابغ وينبع وهو إلى الأولى أقرب ، وهو بلد الشاعر نُصَيْب ، ومن المستبعد أن يذكره الصمة لعدم صلته به ، ونرى أن المقطوعة ، ليست للصمة .

الودكاء (١٠) :

ذكرها الشاعر مضيفاً إليها سنداً ، أي جانباً من الرمل ، وذكر معها الهضب ، والودكاء هذه ماءة في أعلى وادي خنثل المعروف الآن ، وهو قريب من جبال الهضب .

الهَضْب (١٠/١٥) :

يقصد الشاعر الهضب الواقع في عالية نجد بقرب المردمة في جنوب النير بميل نحو الغرب ، ولا يزال معروفاً .

هذه هي المواضع الواردة في شعر الصمة أو جلها إن لم يكن كلها ، رأينا الحديث عنها مما لا تكمل دراسة شعر الشاعر بدونه ، ونضيف إلى ما تقدم أن دراسة الأمكنة التي يوردها الشاعر في شعره مما يعين على فهم ذلك الشعر ، بل على تمييز الصحيح منه من غيره متى عرفنا المواطن التي للشاعر صلة بها .

شعر الصمة :

حاولنا أن نجمع ما استطعنا جمعه من شعر هذا الشاعر من مصادر مختلفة ذكرناها بعد إيراد كل مقطوعة .

ومع عناية المتقدمين بجمع الشعر العربي القديم فإننا لم نجد شعر الصمة مجموعاً ، مع

أن صاحب «الفهرست»[1] نص على أن المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي الكوفي وهو من تلاميذ ابن الأعرابي وابن السكيت ومن أهل القرن الثالث الهجري، نص على أن هذا جمع شعره إلا أن مما يؤسف أننا لم نطلع على ما جمع ولم نر له ذكراً فيما اطلعنا عليه من فهارس المكتبات العامة.

أما قيمة شعر الصمة فقد يدركها الباحث عند استقرائه له، ومن عيون شعره قصيدته العينية التي نشرها أستاذنا العلامة عبدالعزيز الميمني في مجموعته «الطرائف الأدبية» وأوردناها وهي قصيدة من عيون الشعر العربي. وقد نقل الأصفهاني في «الأغاني»: لو حلف حالف أن أحسن أبيات قيلت في الجاهلية والإسلام في الغزل قول الصمة القشيري ما حنث:

حننت إلى ريا ونفسك باعدت
مزارك من ريا وشعباكما معاً
فما حسن أن تأتي الأمر طائعاً
وتجزع أن داعي الصبابة أوجعا

وها هو ما استطعنا جمعه من شعره:

ما ريا بذات أمانة:

لَعَمْرُكَ ما رَيَّا[2] بِذَاتِ أمانةٍ
ولا عند ريَّا للمُحِبِّ جزاءُ
ولا حَبْل طيَّا يَوْمَ قاطعْتُ أُسْرَتي
بباق، ولا طيَّا بذاتِ وَفاءِ
خِليليَّ لا أَزْدادُ إلَّا مَوَدَّةً
لِطيَّا، وإنْ عَدَّتنيَ العُدَواءُ

---

(١) ص ١٥٩ — الطبعة الأوروبية.

(٢) في الهامش: يروي: طيا، وهو الصواب.

ومن[1] قولها : إن القُوى قدْ تجذَّمتْ
وما لِلْقُوى ، ألَّا تُجَذَّ بقَاءُ[3]

غمار شعبعب :

ألا يا جَرَادَ الغَور هل أنتَ مُبلغٌ
سَلاماً ، ولا تبخَلْ ، غِمارَ شعبعبا
دَفيءَ المحاني بالشِّتاءِ ، وإن تَصِفْ
تَرى فيه رَوضاً مُستكفّاً ، قد أعشَبا
(الهجري : م : ٨٦)

آخر العهد من قلبي :

فواحَسرتيْ ، لمْ أقضِ منكِ لُبانةً
ولمْ أتمتعْ بالجِوارِ وبالقُربِ
يقولون : هذا آخِرُ العَهْدِ منكمُ ! !
فقلتُ : وهذا آخرُ العهدِ من قلبيْ ! !
ألا يا حَمَامَ الشِّعْبِ ، شِعْبِ مراهقٍ
سُقيتَ الغَواديْ ، من حَمامٍ ومن شِعبِ[3]

ما طابت الريح بدابق :

(وله وهو بالشام) :

علقت بدار الصيد ، ما كُفَّةُ الغَضَا
ولا دابِقٌ منْ واسِطٍ بقريبِ

---

(١) كلمة (ومن) غير واضحة في الأصل .
(٢) الهجري : (م : ١٤٥) .
(٣) «الأغاني» — ٣٠/٧ .

فما طـابَت الـريحُ الجنوب بـدابقٍ
ولـكـنَّـهـا بـالـعَـشْـعَـثَين تَـطـيبُ
جنوبٌ يُداويْ هَـيجُها بارحَ الْهَوَى
لها بَـعـدَ نوم السـامِـرِيـنَ دَبـيبُ[1]

أكنـاف الشباب :

سَـقَى اللهُ أيّـامـاً لـنـا ولـيـالـياً
لـهُنَّ بـأَكـنـافِ الشَّـبـابِ مَلاعِبُ
إذِ الـعَـيشُ غَضٌّ ، والـزَّمـانُ بِغبطةٍ
وَشـاهِـدُ آفـاتِ الـمُـحِـبِّـينَ غـائبُ[2]

يا أهل نجد لا شقيتم :

قال الهجري :

وأنشدني العداء بن مضاء ، من والد الثويب بن الصمة بن عبدالله بن طفيل بن زيد بن ثور بن سوادة بن قرة بن عبدالله بن سلمة الخير بن قشير :

إلى الله أَشـكـو نِـيَّـةً يَومَ (قـرقـرى)
مُـفـرَّقـةَ الأهـواءِ ، شـتَّى شـعوبُـهـا
ويـومـاً بـ(حِصْنِ الـبـاهـليّ) ظَـلَلْتُهُ
أُكَـفـكِفُ عَـبْـراتٍ تـفـيضُ غُـروبُـهـا
ويـومـاً على (تِبراك) أيـقـنْـتُ بـالـذي
تُـحـاذِرُهُ نـفـسٌ ، فشبَّ شـبـوبُـهـا
ويـومـاً بِـقـاعِ (الأخْـرَبَـينِ) جرى لـنا
بـنـحسٍ ظِـبـاءُ (الأخْـرَبَـينِ) وذِيْبُـهـا

(١) الهجري : (م : ٢٩) .
(٢) «الحماسة البصرية» — ١٣٧/٢ .

ويومـاً بـ(مَـطـلوبٍ) وجـدتُ جِوارَه
طـويلاً بـأهـواءِ الـفـؤادِ نُشوبُـهـا

ويومـاً على مـاء المحَـلِّق طَـيْـرَهُ
أُحَـدِّثُ نَـفْسـاً صَـبَّـةً مـا يَـكـيبُـهـا

ويومـاً بـ(قـرنٍ ، قـرْنِ نخلةَ) راجَعَتْ
بـنفسِكَ زفـراتٍ ، بـنـجـدٍ طـبيبُـهـا

ويومـاً لـدى (البيتِ الحرامِ) تجلدَتْ
لك النفسُ ، إكراهاً على ما يَريبُها

فـيـا أهـل نجدٍ لا شَقيتُم ، ولُقِّيتُمْ
ركـابُـكُـم رُشـداً ، وحُـلَّتْ ذُنوبُـهـا

فـمِـنّي عـلـيـكـمْ فـاقـرَؤنَّ تـحِـيَّـةً
يُـخَصُّ بها شُـبّانُ قـومي ، وشِـيبُـهـا

تحـيَّـةَ مُشْـتَـاقٍ إلى أن يَـراهُـم
ورجْـعُ أمـاثـيـلٍ يُـفَـدَّى عَـريـبُـهـا[1]

أتتنا بِرَيّاكم .. !

إذا ما أتتْنا الرِّيحُ من نحْوِ أرْضِكمْ
أتـتْـنـا بـريّـاكـمْ فـطَـابَ هَـبُـوبَـهـا

أَتَـتْـنَـا بـطـيْـبِ المسْك خـالـطَ عَـنْـبَـراً
وَريْـحُ الـخُزَامـى ، بـاكَـرتْـهـا جَـنُـوبُها[2]

ألا مَنْ لِعَيْن ! !

أَلا مَـنْ لِعَـيْـنٍ لا تـرى قُـلَل الحِمَى
ولا جـبـل الأوشـال إلَّا استهـلَّتِ

---

(١) الهجري : (م : ١١٥) .
(٢) «الأغاني» — ١٢٥/٥ .

ولا النِّيرَ إلَّا أسبلتْ وكأنَّما
على ربدٍ باتَتْ عليه وظلَّت[1]

أنشدني (الشَّهْراني)[2] لمضاء بنُ مضرجيّ بن الثُّويب بن الصمة بن عبدالله بن طفيل بن قرَّة بن عبدالله بن سلمة بن قشير:

ألا مَنْ لعين لا ترى قُلل الحِمَى
ولا جبل الأوشال إلا استهلت
ولا النِّيرَ إلَّا أسبلتْ وكأنَّها
على ربدٍ باتَتْ عليه وظلَّت
لجوجٍ إذا لجَّتْ، بكيّ إذا بَكتْ
بكتْ فأدقَّتْ في البكا وأجلت
كما هتنتْ طَرْفاءُ ناشتْ غصُونَها
جنوبٌ وقدْ كانت من الليل طُلَّتِ[3]
ألا قاتل الله الحمى من محَلَّةٍ
وقاتل دنيانا بها كيفَ وَلَّت[4]
غنِينا زماناً بالحمى ثم أصْبَحَتْ
عِراصُ الحِمَى من أهلها قد تخلت
ونادى المنادى بالفراق فقوضوا
بيوتاً ترى أطنابها حيث شدَّت
شَدَدْتُ بِثَوْبي حشوة ضَبثَتْ بهَا
يَدُ الشوق، يوم البَيْن حين احْزألَّتْ

(١) الهجري (م٢٩)، وهذا النص: (زيادة للصمة بن عبدالله، أولها: ألا .. الخ البيتين).
(٢) خ (م ١١٥) أنشدني عداء بن مضاء من ولد الثويب بن الصمة بن طفيل بن زيد بن ثور بن سوادة بن قرة بن سلمة الخير بن قشير.
(٣) بفتح الطاء معناه نديت، والضم لحن (هامش).
(٤) «اللآلي شرح الأمالي» — حاشية ٧٣٩ — «والأغاني» ١٢٤/١٥.

وقلتُ لأصحابي غداةَ فِراقِها :ـــ

وَدِدتْ البُحُورَ العامَ بالنَّاسَ طَمَّت

فتَنقطِعُ الدنيا التي أصبحت بهم

كمثل مُصاباتٍ على الناس عَمَّت

ولكنَّا الدُّنيا كَفَيْءِ غمَامَة

أظلَّتْ بغَيمٍ ساعةً ، واضْمَحَلَّتِ

أقول لعُثمانَ بنِ وهْبٍ وقد رأى

سُحوقيْ جَرت فيها دموعي فبَلَّتِ

ألِكْني إلى طَيَّا ، أَلِكنيْ لحاجةٍ

من الحاجِ ، قد هَمَّتْ بنفسي وهَمَّت

بآيَةِ ما سارتْ فلما تمكَّنتْ

حبائِلُها من شُعْبة القلبِ حَلَّتِ

وقالتْ : حَلَلْنَا وادياً ذا طَريفَةٍ

وكانتْ مطايانا من السَّيْرِ كَلَّتِ

فحلَّتْ محلّاً لم يكنْ حُلَّ قبلهَا

وهانَتْ مراقيهِ لَطَيَّا ، وذَلَّتِ

خليليَّ في طَيَّا ، أقِلَّا ملامَتي

فقدْ بخِلَتْ طيَّا علينا وضَنَّتِ

لَعَمْري لئن أَحْبَبْتُ طيّا وآثرتْ

عليَّ العِدَى ما سُنَّةَ العَدْلِ سَنَّتِ

أظَلُّ أُمنِّيها الفؤادَ سَفَاهَةً

إذا ما انطوتْ نفسي على اليأسِ مَلَّتِ

فوَجْدي بِطَيَّا وَجْدُ أشْمَطَ راعَهُ

بواحِدِهِ ، داعي المنايا أَلَمَّتِ

ووجدي بِطَيَّا وَجْدُ بكْرٍ غَريرَةً

على والدَيها فارقاها فجُنَّتِ

ووجْـدِي بِـطَيًّـا وَجْدُ هَـيْـماءَ حُلِّيَتْ
عن الماء ، كانت منذ خِمْسِينِ ضَلَّت[1]
إذا سافَتِ الأعْطانَ أو شَمَّتِ الثَّرى
رمـاهـا وَليُّ الماءِ عـنـه ، فوَلت
وإن أشرفت من آكُمِ الماءِ مَـيْـفعاً
لَوتْ رِجْلَها اليُسْرى بالأخرى فَحَنَّتِ
فَحنَّتْ حنيناً يُطربُ الصَّبَّ ذا الهوى
وقـدْ نَـهلَتْ مِنْهُ بيأسٍ وعَلَّتِ
ولا وَجْـدُ بِـكْـرٍ حُـرَّةٍ أرْحَـبيَّـة
تـرُودُ حَوالَيْ طِـفْـلِـهـا قـدْ أتـمَّتِ
أتِـيـحَ لها فِيما تـروحُ وتـغْـتَـدِي
خُشارِمُ مـنـهُ رُعـبْـهـا فـاشـمَـعَلَّتِ
وجـاءَتْ مُـفـجّاةً ترَى فرْثَ طِفلِها
بسِـرْحـانِـهِ أظـفـارُهـا قـدْ تَـدَمَّتِ
تَـهُزُّ منَ الـوَجْدِ الخَصِيلَ ، وراءَها
صُوَيتٌ خفِيٌّ خَـلْـفَـهـا فـاقشَـعَرَّتِ
فما وَجَـدَتْ مِنْ طِـفْـلِها غيْرَ شلوهِ
شماطِيط لمْ تقْنَعْ بها حَيْثُ شمَّتِ
فـظَـلَّتْ تُراعي شِـلوَهـا مُسْـتَـحِـنَّةً
إذا سَلِيَتْ رَجْعَ الحَنِين اسْتَهَلَّتِ[1]
ولا أُمّ أحْوَى شـادنٍ ، عـطـفْتَ لـهُ
قُبَيْـل طلوع الشمس ، أوْ حينَ ذَرَّتِ

---

(١) بالطاء أيضاً (هامش) .

(٢) روى الزهيري : ازلخمت ، والمزلخم : المبرطم من الغضب (هامش) .

فلما سَقَته الدَّرَّ أَحْجمَ قائماً
إليها قليلاً، ثم وَلَّى وَوَلَّتِ
إلى مَرتعٍ قد عَوَّدتهُ ومَهْمَلٍ
سَليلٍ، فظلَّتْ يومَها حينَ ظلَّتِ
فلمّا دَنا الإظلامُ أدركَ سَمْعُها
صُويتاً خَفيّاً، راعهَا فَاحْزَأَلَّتِ
تمارَتْ على جَرْسٍ، فنصَّتْ بجيدها
وكانتْ على طُول الحلاء أدلَّتِ
ودارتْ بأدنى عَهْدِهِ ثمَّ راجَعَت
أماقِيَّ ثَكْلى ما تَجِدْ ما أضَلَّتِ
ولا وَجْدُ أَعْرابيَّةٍ قذفَتْ بها
صُرُوفُ النَّوى مِنَ حيثُ لم تكُ ظَنَّتِ
يَشُدُّ عليْها البابَ أحمرُ لازم
عَليها زُقاقَيْ قريَةٍ قد أَبَنَّتِ
تمنَّت أحالِيبَ اللقّاحِ وَضَيْعَةً
بنجدٍ، فلم يُقْدَرْ لها ما تَمَنَّتِ
إذا ذَكرتْ ماءَ العِظاهِ وطِيْبَهُ
وبرْدَ الحصا مِنْ أرْضِ نجْدٍ أرَنَّتِ
بأكبَرَ من وجْدٍ بطَيَّا وَجَدتهُ
غَداةَ ارْتَحَلْنا غُدْوَةً واطمَأنتِ
لها فَخِذا بُخْتِيَّةٍ بخْتَريَّةٍ
وساقٌ إذا قامتْ عليها اتمَهَلَّتِ
وخَصْرَانِ، دَقَّا في اعْتِدالٍ ومتَنَة
كَمَتْنَةِ مصْقول من الهنْدِ سُلَّت
وعَيْنَا أحَمِّ المِدْرَيَيْنِ ومَضْحَكٌ
إذا ما جَرَتْ فيهِ المَساويكُ زَلَّتِ

وَدَاجٍ على الـلّـبـاتِ وَحْفٌ كـأَنَّـهُ
عـنـاقِـيـدُ جُونٌ من كـرومٍ تَـدَلَّت
فـإنْ يَكُ هـذا عَـهْـدُ طَـيّا وأَهْلِها
فـهـذا الـذي كُـنَّـا ظـنـنَّـا وظـنَّتِ
وكـانتْ رِيَـاحُ تُـخـبِـرُ الحاجَ بَـيْـنَنا
فـقـدْ عـمِـيَتْ أرواحُ طَـيَّـا وصَـمَّتِ
خَـلِـيـلَيَّ في طَـيَّـا أعِـيْـنـا أخـاكُما
فـقـدْ بـخِـلتْ طَـيَّـا عَـلَينا وضَـنَّتِ
قـطَعْتُ بطَـيَّا الـهَـمَّ والـفَـقْـرَ والـغِـنَى
وطـيَّا مُـنَى نفسي إذا ما تَـمنتِ !!
وطَـيَّا أُرُوجُ الـجَـيْبِ ، مَـهْضُـومَةُ الحَشَا
كـمُـزْنَـةِ صَـيْـفٍ هَـجَّـرتْ فاسْتَـهَـلَّت
إذا جَـلَـسَتْ بَين الـغـواني عَشِـيَّـةً
على أيِّ حـالٍ عـاطلاً[1] ، أو تَـحَـلَّت
سَـمَتْ نَـحْـوَهـا الأبـصَـار أوْلَ وهْـلَـةٍ
بَـدِيّـاً ، وعـادتْ نحوَهـا ، فـتـثـنَّـت[1]

داء الشجا :

كـداء الشّـجـا ، بين الـوريـدين كـلّما
ذكـرتك ، لم تـقـدر عـلـيه الـقـحاقح[1]

فما من قلبيّ للنّجد أصبحت ها هنا

خـلـيـليّ إن قـابـلتما الهضب أو بـدا
لـكـم سـنـد الـودكـاء أن تـبـكـيا جهدا

(١) الهجري : (هـ ٤٥ إلى ٥٠) .
(٢) «الأغاني» .

سلا عبد الاعلى حيث أوفى عشيةً
خزازى ، ومدّ الطّرف هل آنس النّجدا
فما من قلى للنجد أصبحت ها هنا
إلى جبل الأوشال مستخبيا بردا
ولكنّ حاجات الفتى قذف به
إذا لم يجد من أن يطالبها بدّا
دعوني من نجد فإن سنينه
لعبن بنا شيبا ، وشيّبننا مردا
لحى الله نجدا كيف تترك ذا النّدى
بخيلاً ، وحرّ القوم تحسبه عبدا
على أنّ نجدا قد كساني حلّةً
إذا ما رآني جاهل ظنّني عبدا
سوادا ، وأخلاقا من الصّوف بعدما
أراني بنجد ناعما لابسا بُرْدَا
ونجدا إذا جادت به رهم الحيا
رأيت به المكنان والنّفل الجعدا
سقى الله نجدا من ربيع وصيّف
وماذا ترجّى من ربيع سقى نجدا
بلى إنه قد كان للعيش[2] قرّة
وللبيض والفتيان منزلة حمدا[3]

هل تؤنسان لنا نجدا ؟

خليليّ قوما أشرفا القصر فانظرا
بأعيانكم هل تؤنسان لنا نجدا

---

(١) لعله : للعين قرة .

(٢) الهجري : (م : ٨٦) .

وإني لأخشى إن علونا علوّة
ونشرف أن تزداد — ويحكما — بعدا
نظرت وأصحابي بذروة نظرة
فلو لم تفض عيناي أبصرتما نجدا
إذا مرّ ركب مصعدين فليتني
مع الرائحين المصعدين لهم عبدا[1]

أسقيت الغوادي :

ألا أيّها الصّمد التي كنت مرّة
تحلّك ، أسقيت الغوادي من صمد
ومنزلتي ظمياء من بطن عاقل
وذات السّليل ، كيف حالكما بعدي ؟
تتابع أنواء الرّبيع عليكما
لما لكما بالحارثيّة من عهد[2]

ألا ليت شعري :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة
بسعد ، ولما تخل من أهلها سُعْدُ
وهل أقبلنّ النّجد أعناق أنيق
وقد سال مسيا ثم صبّحها النّجد
وهل أخبطنّ القوم والرّيح طلّة
فروع ألاء ، حفّه عقد جعد

(١) «معجم البلدان» — ذروة — .
(٢) «الأشباه والنظائر» ج٢ ص ١١١ .

وكنت أرى نجدا وريّا من الهوى
فما من هواي اليوم ريّا ولا نجد
فدعني من ريّا ونجد كليهما
ولكنّني غاد إذا ما غدا الجند[١]

قفا فَانْظُرَا نحو الحمى :

أقول لعيّاش صحبنا وجابر
وقد حال دوني هضب عارمة الفرد
قفا فانظرا نحو الحمى اليوم نظرة
فإن غداة اليوم من عهده العهد
فلمّا رأينا قلّة النّير أعرضت
لنا وجبال الحزن غيّبها البعد
وأعرض ركن من سواج كأنّه
لعينيك في آل الضّحى فرس ورد
أصاب جهول القوم تتيم ما به
فحنّ ولم يملكه ذو القوّة الجلد[٢]

ألا من لنفس !

ألا من لنفس مُسْتَخِفٌّ جليدها
وسلمى مبين بخلها وصدودها
أحقّاً عباد الله ان لست ناظرا
إلى الهضب ، إلا عاود النّفس عيدها

---

(١) «معجم البلدان» — سعد — .
(٢) «معجم البلدان» : عارمة ونسب الثلاثة الأخيرة في البشر لعبدالله بن الصمة ، و«المؤتلف والمختلف» للآمدي — ص ٢١٤ — تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج . و«البشر» في «معجم البلدان» و«الشر» في «المؤتلف» تصحيف .

وإلا استهـلّت عبرة بـعـد زفـرة
يصـدّع قـلبي أن يـلـمّ صـعـودهـا
وإن كنت قد علّقت من ساكن الحمى
مـكـذّبـة وعـدي ، صـدوقـاً وعيـدهـا
ولـو طلبت منِّي على ذاك في الهوى
زيـادة حبّ ، لم أجـد مـا أزيـدهـا
ألا قـاتـل الله الهوى بـعـد نـظـرة
أفـادكـهـا يوم الـلّـقـاء مـفـيـدهـا
فأخفيت من أصحابِيَ الشوق بعدما
جـرى من جـفـون المقـلـتين فـريدهـا
وكـان بكـاء العين من قبـل ما يرى
على أمّ عـمـر ، عـادة تستـعـيـدهـا
لـيـالي يـدعوني الهوى فـأجـيـبـه
ودنـيـاي لم يخلق عـلـيّ جـديـدهـا
فأصبحت قد حلأت عن منهل الصّبا
صوادي من قـلبي ، ظـمـاء أذودهـا[1]

منازل جيرة شحطت نواهم :

عـرفت الـيـوم ، بـالاسـنـاد دارا
فـدمـع الـعين ينهـمـر انهمارا
مـنـازل جيرة شـحـطت نـواهـم
وأعـقـبت السّوافي ، والـقـطـارا

وفيها :

---

(١) «الأشباه والنظائر» — ١٤٠/٢ .

رمتني بالسّليل غداة بانوا
على حذر، وما رمت اغترارا
بأدهم فاحم، وبذي غروب
كأنّ على أشانبه عقارا
صهيباء الشّراب، خبي حول
حولاً، أُوْقِرَتْ مدرا وقارا
فلمّا طاب مشربها تداعى
لها الغاوون، وابتدروا التّجارا
برجم الظّنّ، غير يقين علم
كما شيم الحيا، حين استطارا
بأعين مجدبين أتوا إليه
كما ألقى إلى طيّا نوارا[1]

هل تجزيني العامرية؟

وهل تجزينّي العامريّة موقفي
على نسوةٍ بين الحمى وغضا الجمر؟
مررن بأسباب الصّبا فذكرتها
فأومأت، إذ ما من جواب ولا نكر[1]

تعز بصبر!!

(ما زال يردد هذين البيتين، حتى فاضت روحه):

تعزّ بصبر، لا وجدّك لا ترى
سنام الحمى أخرى الليالي الغوابر

---

(١) الهجري: (م: ١٤٨).
(٢) «الأغاني» — ١٢٥/٥.

كـــأن فـؤادي مـن تـــذكّـــره الحمى
وأهـل الحـمى ، يهفو به ريش طائر[1]

إذا نأت لم تفارقني :

إذا نـــأت لم تـــفـــارقني علاقتهـــا
وإن دنت فصـــدود الـعـــاتب الـزّاري
فـحـال عـيـنيّ من يومـيك واحـدة
تـبـكـي لفرط صدود ، أو نوى دار[2]

هل يستخبر الأثل ؟!

خـلـيـليّ هـل يستخبر الأثـل والغضا
ونبت الـرّبـا مـن بـطن ودّان والسّدر؟
وهل يتّقي — لا بعد ما قد تصافيا —
خـلـيلان ، بـانـا ، لـيس بينهما وتـر؟
نـــأت بهما دار الهوى وتـــراقـــبـــا
ذرى الضّـغـن ، حتى لـجّ بينهما الشّر
إذا بنت ، إلا ما عدا النّأي بيننا
وبـيـنك ، لم يـلـزمك ما فعل الدّهر[3]

يدهدهكم برجليه :

(يهجو عامر بن بشر زوج محبوبته ، وكان قصيراً قبيحاً) .

فـإن تـنـكـحـوهـا عـامـرا لاطّلاعـكـم
إلـيـه ، يـدهـدهـكـم بـرجـلـيه عـامر[4]

---

(١) «الأغاني» — ١٢٥/٥ .
(٢) «الأغاني» — ١٢٦/٥ .
(٣) «الأشباه والنظائر» — ٢٥٤/١ .
(٤) «الأغاني» — ١٢٥/٥ .

تمتع من شيم عرار نجد ! !

أقول — لصاحبي — والعيس تهوى
بنا بين المنيفة والضّمار -:
تمتّع من شميم عرار نجد
فما بعد العشيّة من عرار
ألا يا حبّذا نفحات نجد
وريّا روضه بعد القطار
وأهلك ، إذ يحلّ الحيّ نجدا
وأنت على زمانك غير زار
شهور ينقضين وما علمنا
بأنصاف لهنّ ولا سرار
تقاصر ليلهنّ ، فخير ليل
وأطيب ما يكون من النّهار(١)

كلي التمر ! :

(في زوجته جبرة بنت وحشي بن قرة) .

كلي التمر ، حتى يصرم النّخل واضفري
خطامك ، ما تدرين ما اليوم من أمس(٢)

قفا ودعا نجدا :

خليليّ : عوجا منكما اليوم أودعا
نحيّ رسوما بالقبيبة ، أودعا(٣)

---

(١) اللسان : عرار — البيتان — ١ — ٢ — والتاج : الأربعة الأولى — عرار — وفي (ضمر) : قال الصاغاني : هكذا أنشده له المرزوقي ، والصحيح أنه لجعدة بن معاوية بن حزن العقيلي و«معاهد التنصيص» ٨٥/٢ .

(٢) «الأغاني» — ١٢٥/٥ .

(٣) هذا البيت أورده مؤلف «المنازل والديار» ثم أورد ثلاثة أبيات تقدمت . وأرى أن هذا ليس من شعر=

أربّت بها الأرواح حتى تنسّفت
معارفها إلا الصفيح الموضّعا
وغير ثلاث في الديار كأنها
ثلاث حمامات، تقابلن وقّعا
أمن أجل دار بالرّقاشين أعصفت
عليها رياح الصيف، بدءا ورجّعا؟
بكت عينك اليسرى، فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
ولم أر مثل العامرية قبلها
ولا بعدها يوم ارتحلنا مودّعا
تريك غداة البين مقلة شادن
وجيد غزال في القلائد، أتلعا
وما أمّ أحوى الجدّتين خلالها
أراك من الأعراف، أجنى وأينعا
غدت من عليه تنفض الطلّ بعدما
رأت حاجب الشمس استوى وترفّعا
بأحسن من أمّ المحيّا فجاءة
إذا جيدها من كفّة الستر أطلعا
ولما تناهبنا سقاط حديثها
غشاشا، ولان الطرف منها فأطمعا
فرشّت بقول كاد يشفي من الجوى
تلمّ به أكبادنا أن تصدّعا

= الصمة وإنما وضعه أحد النقلة، ويدل على هذا ذكر (القبيبة) فليس من المواضع التي يذكرها الصمة في شعره مع ضعف تركيب البيت.

(*) ج ٣١٦/١.

كما رشفَّ الصادي وقائع مزنة
رشاش تولى صوبها حين أقلعا
شكوت إليها ضبثة الحب بالحشا
وخشية شعب الحيّ أن يتوزَّعا
فما كلّمتني غير رجع ، وإنما
ترقرقت العينان منها لتدمعا
كأنك بدع لم تر البين قبلها
ولم تك بالألّاف قبل مفجّعا
فليت جمال الحيّ يوم ترحلوا
بذي سلم أمست مزاحيف ظلّعا
فيصبحن لا يحسن مشيا براكب
ولا السّير في نَجْدٍ وإن كان مهيعا
أتجزع ، والحيّان لم يتفرّقا
فكيف إذا داعي التفرّق أسمعا ؟!
فرحت ولو أسمعت ما بي من الجوى
رذيّ قطار حنّ شوقاً ورجّعا
ألا يا غرابيْ بينها لا ترفّعا
وطيرا جميعاً بالهوى وقعا معا
أتبكي على ريّا ونفسك باعدت
مزارك من ريّا وشعباكما معا
فما حسن أن تأتي الأمر طائعا
وتجزع أن داعي الصّبابة أسمعا
كأنك لم تشهد وداع مفارق
ولم تر شعبي صاحبين تقطّعا
تحمّل أهلي من قُنَيٍّ وغادروا
به أهل ليلى ، حين جيد ، وأمرعا

ألا يـا خـليـليّ الـلـذيـن تـواصـيـا
بـلـومي إلا أن أطـيـع وأضرعـا
فـإني وجـدت اللّـوم لا يـذهب الهوى
ولـكـن وجـدت الـيأس أجـدى وأنـفـعـا
قـفـا : إنـه لا بـدّ مـن رجـع نـظـرة
مصـعـدّة شـتّى بهـا الـقـوم، أو مـعـا
لمغـتـصب قـد عـزّه الـقـوم أمـره
يسـرّ حـيـاء عبرة إن تـطـلـعـا
تهيج لـه الأحـزان والـذكـر كـلـما
تـرنّـم أو أوفى مـن الأرض مـيـفـعـا
قـفـا ودّعـا نجـدا ومـن حـلّ بـالحمي
وقـلّ لـنـجـد عـنـدنـا أن يـودّعـا
بـنـفـسي تـلـك الأرض مـا أطـيـب الـرّبـا
ومـا أحـسـن المـصـطـاف والمتربّـعـا !!
وأذكـر أيّـام الحمى ثم أنـثـني
على كـبـدي مـن خشـيـة أَن تصـدعـا
فـلـيـست عشـيّـات الحمى بـرواجـع
علـيك، ولـكـن خـلّ عـيـنـيك تـدمـعـا
مـعي كـلّ غـرقـدّ عصى عـاذلاتـه
بـوصـل الـغـواني مـذ لـدن أن تـرعـرعـا
إذا راح يمشي في الـرّداءين أسرعت
إلـيـه الـعـيـون الـنـاظـرات الـتّطـلّعـا
وسرب بـدت لي فـيـه بـيـض نـواهـد
إذا سمتهنّ الـوصـل أمسين قـطّـعـا
مشين اطّـراد الـسّـيـل هـونـا كـأنما
تـراهـنّ بـالأقـدام إذ مسـن ظـلّـعـا

فقلت: سقى الله الحمي ديم الحيا
فقلن: سقاك الله بالسمّ منقعا
وقلت: عليكنّ السلام فلا أرى
لنفسي من دون الحمى اليوم مقنعا
فقلن: أراك الله إن كنت كاذبا
بنانك من يمنى ذراعيك أقطعا
ولّما رأيت النّير أعرض دوننا
وجالت بنات الشوق يحنن نزّعا
تلفّت نحو الحيّ، حتى وجدتني
وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا
فإن كنتم ترجون أن يذهب الهوى
يقينا، ونروي بالشّراب فننقعا
فردّوا هبوب الرّيح او غيّرو الجوى
إذا حل ألواذ الحشا فتمنّعا
فما وجد عُلْوِيٍّ الهوى حن واجتوى
بوادي الشّرى والغور ماء ومرتّعا
تَشّوق لما عضّه القيد واجتوى
مراتعه من بين قفّ وأجرعا
ورام بعينيه جبالا منيفة
وما لا يرى فيه أخو القيد مطمعا
إذا رام منها مطلعا ردّ شأوه
أمين القوى عضّ اليدين فأوجعا
بأكبر من وجد بريّا وجدته
غداة داعا داعي الفراق فأسمعا
ولا بكرة بكر رأت من حوارها
مجرّا حديثاً مستبينا ومصرعا

إذا رجعت في آخر الليل حنّة
لذكر حديث أبكت البزل أجمعا
لقد خفت أن لا تقنع النفس بعده
بشيء من الدنيا ، وإن كان مقنعا
وأعذل فيه النّفس إذ حيل دونه
وتأبى إليه النّفس إلا تطلّعا
سلام على الدّنيا فما هي راحة
إذا لم يكن شَمْلِيْ وشملكم معا
ولا مرحبا بالرّبع لستم حلوله
ولو كان مخضل الجوانب ممرعا
فماء بلا مرعى ، ومرعى بغير ما
وحيث أرى ماء ومرعى فمسبعا
لعمري لقد نادى منادى فراقنا
بتشتيتنا في كلّ واد فأسمعا
كأنّا خلقنا للنّوى وكأنما
حرام على الأيّام أن نتجمّعا[1]

لو تذكريني ..!

أما وجلال الله لو تذكرينني
كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا

(١) نشرها أستاذنا العلامة الشيخ عبد العزيز الميمني في كتاب « الطرائف الأدبية » ص ٧٦ إلى ٨٠ بعد أن جمعها من مصادر كثيرة ، فألف بين أبياتها ، فأوردناها كما أوردها بعد — ١ — إضافة البيت الأول من كتاب « المنازل والديار » وان كنا نراه وبعض أبيات القصيدة مصنوعاً ، — ٢ — أخرنا بيتين مما أورده الأستاذ ، هما المقطوعة التالية ، لأننا لن نجد ارتباطاً بينهما وبين القصيدة .

فقالت بلى والله ، ذكر لو أنّه
يصبّ على صم الصّفا لتصدّعا[1]

أأكرم من ليلى عليّ ؟!

ونبّئت ليلى أرسلت بشفاعة
إليّ فهلا نفس ليلى شفيعها
أأكرم من ليلى عليّ فتبتغي
به الجاه ، أم كنت امرءا لا أطيعها[2] ؟

زفرات الحبّ :

لعمري لئن كنتم على النّأي والقلى
بكم مثل ما بِيْ ، إنّكم لصديق
إذا زفرات الحب صعَّدن في الحشا
رددن ، ولم ينهج لهنّ طريق[3]

لأبصر نارا .. !

نظرت وطرف العين يتّبع الهوى
بشرقيّ بصرى نظرة المتطّاول
لأبصر نارا أوقدت بعد هجعة
لريّا بذات الرّمث من بطن حايل[4]

---

(١) «الأغاني» — ١٢٦/٥ .
(٢) «خزانة الأدب» — ٤٦٣/١ ، وفي الحماسة غير منسوبين ، ونسبهما ابن جني في «إعراب الحماسة» للصمة .
(٣) «الأغاني» : ١٢٥/٥ .
(٤) «معجم البلدان» — بصري — .

وكفكفت دمعي :

(في خروجه إلى الثّغر) .

فـلـلّـه درّي ، أيّ نـظـرة ذي هـوى
نـظـرت ضَحـا ، والشمس يستـنّ آلها

إلى رأس طود من جـفـاف كـأنّـه
قـرا فـرس ، تـنصـيبها واحـزلالها

وكـبّـرت لما أن بـدت لي بـلـدة
بها سـكـنت طـيّـا ، وطـال احـتلالها

وكـفـكـفت دمعي ساعـة وزجـرتـه
بـأجـفـان عـيني ، ثـمّ خلّاه جـالها

كما هملت بـالماء أعـراض شـنّـة
هـزيم الـكلا ، لما تـدانى ابـتلالها

فـقـدتك عـيـنـا ، ربّما هـجت عبرة
سريـعـاً على جـيب الـقـميص انهمالها

ألا إنما طـيّـا — فصبرا — بـلـيّـة
ضـجـعت بـأرض فـاعتراني خـيـالها

فـقـمت إلى عيرانـة عـيـدهـيّـة
مـلـيح بـأجواز الـفلاة اهـتـبـالها

فـلما رأيت الجد منهـا وأنّـهـا
تجاهـل ، لـمّـا حـلّ عنها عـقـالها

ثـنـيت يميني في الـزّمـام ، فما ثـنى
لها الشّـأو ، حـتّى عـاونتها شمالها

وحـتى ثـنى عـرنـينها حـلـق البرى
ونـاطـح أعلى حـنـو رحلي قـذالها

على مثلها ، فاستحمل الله ، يا فتى
وغاول بها الحاجات ، ينفع غوالها[1]

إني واقف فمسلم :

خللي إني واقف فمسلّم
على النّير، فارتاحا قليلا فسلّما
فإني أحبّ النّير، والبرق التي
بها النّير، حبّا خالط اللّحم والدّما
ولو كلّمت صمّ الجبال بموطن
صديقا ، لحيّانا ، إذن ، وتكلّما[2]

دعوت زماما للهوى :

(كان زمام بن خطام بن النضاح الكلبي أجود الناس غناء بدوياً ، وفيه يقول الصمة) .

دعوت زماما للهوى فأجابني
وأيّ فتيّ للهّو بعد زمام[3]

أحبب بهن :

يا صاحبيّ أطال الله رشدكما
عوجا عليّ صدور الأبغل السّنن
ثم ارفعا الطّرف هل تبدو لنا ظعن
بحائل ، يا عناء النّفس من ظعن

(١) الهجري (م : ١٤٦) .
(٢) «الاشباه والنظائر» ١٣٨/٢ .
(٣) «الشعر والشعراء «لابن قتيبة — ٢٤٤ .

أحـبب بهن ، لـو أنّ الـدّار جـامـعة
وبـــالـــبلاد التي يســـكـن مـن وطـن
طوالـــع الحبــل مـن تبراك مصـعـدة
كما تـــتـــابـع قـــيـدام من السّــفـن
يـــا لـيت شعـري والأقـدار غـالـبـة
والــعين تــذرف أحــيــانــاً مـن الحزن
هــل أجـعـلـن يـدي لـلـخـد مرفقة
على شَـعَـبْعَبَ بين الحوض والعطن[٣]

سورة مـن الجهـل :

رأتني الــغـواني قــد تــرديت شـمـلـة
وأزّرت أخـــرى ، فـــازدرتني عـــيـونها
وفي شملتي — لو كنّ يدرين — سورة
مـن الجهـــل ، مجنون بهنّ جـــنـونها[٤]

سقى الله الحمـى :

ألا تســــــــألان الله أن يسقي الحمـى
بلى ، فســقـى الله الحمى والمطـالـيـا
وأسـأل من لاقيت هل مطر الحمى ؟
فهل يسألن عنّي الحمى كيف حاليا[١] ؟!

(١) «معجم البلدان» — شعبعب ، والأخيران في «معجم ما استعجم» (شعبعب) له ولغيره .
(٢) «الأشباه والنظائر» — ٢٤٤/١ .
(٣) «الأغاني» — ١٢٥/٥ .

جَحْدَرُ العُكْليُّ : خَبَرُهُ وشِعْرُهُ(*)

منذ سنوات قرأت في مجلة « العربي »[1] مقالاً يتعلق بجحدر جاء فيه : كان بأرض اليمامة رجل من ربيعة يقال له جحدر بن مالك العجلي وكان شاعراً فحْلاً ، قد (أُمِّر) على أهل حجر . ثم أورد قصة له مع الحجاج حين ألقاه للأسد ، فصرع الأسد . وكاتب المقال هو أخونا الأستاذ عبد الستار أحمد فَرّاج ومع أنني أدركت أن كلمة (أُمِّر) هي تحريف كلمة (أَبَرَّ) وأَبَرَّ كما في كتب اللغة قهر ويقال أبرّ عليهم شراً . فالشاعر المذكور كان قد أَبَرَّ على أهل حجر بكثرة ما يحدث منه من فَساد في سرقة أموالهم[2] .

لقد أدركت ذلك التحريف ولكنني لم أرَ التنبيه على هذا لأن كثيراً من القرَّاء — وخاصة في بلادنا — يدرك أن جحدراً لم يكن من أمراء حَجْرٍ ، إلا أنني قرأت لجحدر هذا مقطوعات من الشعر تجعله جديراً بأن يوصف بالفحولة فيه ، وأن يجمع شعره ، وان تدرس حياته ، هو ومالك بن الريب المازني وعبيد ابن أيوب العنبري ، وغيرهم من شعراء بلادنا الذين لا يزالون مغمورين .

أما الشاعر الذي حدثت له القصة مع الحجاج فقد وقع الاختلاف فيه فبعضهم يسميه جحدر بن مالك الحنفي كما في كتاب « المحاسن والمساوىء » للجاحظ وغيره .

وفي « معجم البلدان » أنه رجل من بني جشم بن بكر وأورد القصة ، ودعاه صاحب كتاب « أدباء السجون » جحدراً العكلي وقال : إنه كان لصاً يقطع الطريق ، وينهب الأموال ما بين حجر واليمامة[3] ، فبلغ ذلك الحجاج فبعث إلى عامله على اليمامة إبراهيم بن عربي يوبخه على تلاعب جحدر فاحتال إبراهيم حت قبض عليه وأودعه سجن

(*) مجلة « العرب » — المجلد الحادي عشر — ص ٧٣ — .

(١) ص ٦٧ صفر ١٣٩٣ (نيسان ١٩٧٢) .

(٣) وفي « الأمالي » ٢٨١/١ : (وكان لصا مبرا ، قال أبو علي : المبر : الغالب) .

(٣) كذا قال وحجر قاعدة اليمامة .

دوَّار ، وقد التقفته الأحوال المرهقة التي اتّسم بها هذا السجن ، ثم أورد وصفه وخبره مع الحجاج حين أدخل على الأَسَدِ ، وذكر توبته وأورد ما تخلل ذلك من أشعار له .

ولكنه أعني صاحب كتاب « أدباء السجون » أورد اسم شاعر آخر دعاه جحدراً المحرزي وفرق بينه وبين جحدر العكلي ، فقال عن جحدر المحرزي : هو أحد اللصوص الفتاكين ، ومن شعراء الدولة الأموية وله شعر رائع يعبر عن حياته السادرة ، ومخاطراته الجريئة ، في عالم اللصوصية وقد كان قُبض عليه ، وزُجَّ في سجن المخيّس وهو السجن المعروف ببيضاء البصرة . ثم أورد الأبيات التي ذكرها ياقوت في « معجم البلدان » وستأتي ومما يؤخذ على صاحب كتاب « أدباء السجون » أنه لم يذكر مصدره عمن ظنهما اثنين ، وما هما في الحقيقة سوى شخص واحد والظاهر أن مصدره عنهما هو كتاب « المحاسن » للجاحظ وكتاب « معجم البلدان » إذ كل ما أورد عنهما لا يخرج عما في هذين الكتابين ، والاختلاف في نسب جحدر ورد في كثير من المؤلفات القديمة ، ولعل أصح ما ورد فيه ما جاء في كتاب « منتهى الطلب » من أنه جحدر بن معاوية بن جَعْدَة العكلي من بني محرز فهو محرزي عكلي ، أما نسبته لبني حنيفة فلعل منشأ ذلك صلته بأهل حجر ، وكلمة (العجلي) تصحيف (العكلي) كما صحف في « التكملة » و« تاج العروس »[1] بـ« الكلبي » و« أغرب ياقوت »[2] حين عده من بني جشم بن بكر[3] ولعل الذي دعاه إلى ذلك ما جاء في الشعر المنسوب إليه :

فيا أخويّ من جشم بن بكر   أقلاّ اللوم إن لا تنفعاني

ولكن هذا البيت ورد برواية أخرى :

فيا أخوي من كعب بن عمرو — كما في « الأمالي » للقالي . وفي « المؤتلف والمختلف » للآمدي . هذا البيت والذي بعده منسوبان لرجل من بني جشم بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ، وسماه ، ورواه :

---

(١) ففيها (الكلبي) مادة دوار .

(٢) معجم البلدان : مادة حجر .

(٣) أنظر كتاب أسماء خيل العرب للأسود الغندجاني فقد نسب ستة منها لأنيف الذئب الغطفاني صاحب الصهال اسم فرسه .

فيا أخويّ من جشم بن سعد .

ومهما كانت الرواية فالأُخُوَّةَ في البيت قد لا تعني أُخُوَّةَ النسب ، فقد يقصد رفيقيه في السجن ، من أي قبيلة كانا ، على أن القصيدة التي منها هذا البيت نسبت إلى غير جحدر ، ومنها أبيات نسبت لرجل من غطفان[1] ، وياقوت — رحمه الله — قد أخطأ حينما ذكر أن جحدراً من أهل اليمن ونص كلامه (كان رجل من بني جشم بن بكر يقال له جحدر يخيف السبل بأرض اليمن وبلغ خبره الحجاج فأرسل الى عامله باليمن يشدد عليه في طلبه فلم يزل يجد في أمره حتى ظفر به وحمله إلى الحجاج بواسط فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : كَلَبُ الزمان وجراءة الجنان ، فأمر بحبسه فحبس فَحَنَّ إلى بلاده وقال :

لقد صدع الفؤاد وقد شجاني بكاء حمامتين تجاوبان

ثم أورد ستة عشر بيتاً وستأتي وقال : فبلغ شعره هذا الحجاج فأحضره بين يديه ، وقال له : أيُّما أحب اليك أن أقتلك بالسيف أو ألقيك لِلسِّباعِ ؟ فقال له : أعطني سيفاً وألقني للسباع . فأعطاه سيفاً وألقاه إلى سبع ضارٍ مُجَوَّع فزأر السبع وجاءه فتلقاه ففلق هامته) .

وقد أورد ياقوت مقطوعات لجحدر فسماه جحدر بن معاوية المحرزي في (بزاخة) و(بيضاء البصرة) وسماه جحدراً اللص في عشرة مواضع منها : (تناصيف) و(ثهلان) و(الجو) و(الدخول) و(دوار) و(ديماس) و(الشيحة) .

ولا أشك أن كل ما ذكر ينطبق على جحدر المحرزي العكلي اللص ، ولا أشكُّ أن كلمة (اليمن) في (معجم البلدان» تصحيف (اليمامة) إذ اليمامة هي التي كانت تابعة لولاية الحجاج في العراق بخلاف اليمن . وأخبار جحدر وأشعاره مفرقة في «المحاسن» للجاحظ ، و«الموفقيات»[1] و«الأمالي»[2] و«منتهى الطلب» و«تاريخ دمشق»

---

(١) «معجم البلدان» في ١٢ موضعاً .

(٢) ص ١٧٠ ، ١٧٥ .

(٣) ص ١٥٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ .

لابن عساكر[1] و«ألف باء» للبلوي[2] و«خزانة الأدب» للبغدادي[3] وغيرها من الكتب .

وجحدر المحرزي شاعر يتصف شعره بصدق العاطفة ، ووضوح التعبير ، وعدم التكلف كما أنه يصور حالة السجون في عهده كسجن ابراهيم بن عربي في حجر وهو دوار ، وسجن البيضاء وسجن ديماس من سجون العراق ولكن شعره لم يصل إلينا كاملاً فقد نقل صاحب «الخزانة» أن السكري (أورد له أشعاراً كثيرة جيدة) .

ولعل في النتف التي جمعتها من شعر هذا الشاعر ما يوضح للقارىء منزلته بين الشعراء مما آمل أن يكون حافزاً لجمع شعره ، ودراسته دراسة وافية .

نسب الشاعر : قدمنا أن صاحب «منتهى الطلب» ذكر أنه من بني محرز ، من عُكْل — بضم العين المهملة وإسكان الكاف وآخره لام — وعكل هاؤلاء هم — كما في كتب النسب — : بنو عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ، حضنت أباهم حاضنة تسمى بهذا الاسم فغلب على اسمهم ، وهم معدودون من بني تميم بن مر بن أد ، انتسبوا إلى عمِّ أبيهم ، والعرب تفعل ذلك حينما يكون نسب العمّ أوضح وأشهر . ولهذا نجد الخطيم المحرزي العكلي لما سجن كان يستنجد ببطون تميم قال[4] :

أبت لي سعد أن أضام ومالك وحيّ الرباب والقبائل من عمرو
وإن أدع في القيسية التيم تأتني قروم تسامى كلّهم باذخ القدر

وجحدر من بني مُحْرِز — بضم الميم وإسكان الحاء المهملة بعدها زاي — وهاؤلاء بطن من عكل ، وفيهم يقول الخطيم — من قصيدته التي تقدم مطلعها[5] :

بني محرز هل فيكم ابن حميّة يقوم ولو كان القيام على الجمر

---

(1) ج٤ ص ٦٤ (التهذيب) .
(2) ٢ ، ٥٠١ .
(3) ٤ ، ٤٨٣ .
(4) «منتهى الطلب» ١/١٢٢ مخطوطة لاله لي .
(5) منتهى الطلب ج١ الورقة ١٢٢ مخطوطة (لاله لي) في اصطنبول رقم ١٩٤١ .

بني محرز من تجعلون خليفتي إذا نابكم يوماً جسيم من الأمر
بني محرز إن تكنس الوحش بينكم وبيني ويبعد من قبوركم قبري
فقد كنت أنفي عنكم كل ظالم وأدفع عنكم باليدين وبالنحر
مُعَنًّى إذا خصم أدلّ عليكم بني محرز يوماً شددت له أزري
بجدّ سنان يستقد بمثله ورقم لسان لا عييّ ولا هذر

ومن عكل ثم من بني محرز هاؤلاء شاعر يشارك صاحبنا في مهنته — أي من اللصوص — وكثيراً ما اختلط شعر الشاعرين هو الخطيم المحرزي ، وله في «منتهى الطلب» ثلاث قصائد جياد ، منها قصيدة يستعطف بها قومه ، حينما حبس في نجران ، مطلعها :

أبت لي سعدٍ أن أضام ومالك وحيّ الرباب والقبائل من عمرو

— في أكثر من ستين بيتاً — وأخرى في مدح الخليفة سليمان بن عبد الملك وقد استجار به ، مطلعها :

وقائلة يوماً وقد جئت زائراً رأيت الخطيم بعدنا قد تخدّدا

— في ستين بيتاً — وله مقطوعات وقصائد مفرقة في بعض الكتب «الحماسة البصرية»[1] وغيرها .

ومن عكل — أيضاً — السمهري العكلي وهو من الشعراء اللصوص ، وشعره مفرق في الكتب ، ومنه قصيدة أوردها صاحب «منتهى الطلب» ١٩ بيتاً ، مطلعها :

ألا حيّ ليلى قد ألمّ منامها وكيف مع القوم الأعادي كلامها ؟

ومنها أبيات في «معجم البلدان» .

ومن مشاهير شعراء عكل النمر بن تولب ، وهو من فحول الشعراء .

موطنه : تقدم قول ياقوت أن جحدراً من أهل اليمن ، مع إيضاح خطأ هذا القول .

---

(١) ٢/٣٥٩ .

وقال في «معجم البلدان» أيضاً : الشِّيحة ـــ بلفظ واحدة الذي قبله[1] ـــ قال أبو عبيد السكوني : شرقي فَيْد ، بينهما مسيرة يوم وليلة ، ماءة معروفة ، تناوح القيصومة ، وهي أول الرمل . وقال نصر : الشيحة موضع بالحزن من ديار بني يربوع . وقيل : هي شرقي فيد ، بينهما يوم وليلة ، وبينها وبين النباج أربع . وقيل : الشيحة ببطن الرُّمة ـــ إلى أن قال ـــ : وقال السكري : كان جحدر اللص ينزل الشيحة من أرض عمان . انتهى . وقول السكري ـــ إن كان صحيحاً فهو غريب فأخبار جحدر التي وصلت إلينا تتصل ببلاد نجد ، ولا صلة له بعُمَان ، وقومه بنو عكل من أهل نجد ، ولهذا فإن كلمة (عمان) في عبارة السكري غير صحيحة ، وقد يكون في بلاد عمان موضع يسمى الشيحة ، إذ الاسم قد يطلق على مواضع كثيرة ، وقد يكون اسم الشيحة أطلق في الأصل على المواضع أو المياه التي ينبت الشيح فيها أو بقربها ، وهو ينبت في كثير من المواضع . ولكن الذي يغلب على الظن أن الموضع الذي كان يسكنه جحدر هو الشيحة الواقعة بقرب القيصومة ، في الرمل شرقي فيد ، وكانت من منازل بني يربوع من تميم فجحدر عكليٌّ ، وتقدمت الإشارة إلى صلة عكل ببني تميم . وجحدر لصٌّ واللصوص كانوا يختارون الأماكن البعيدة عن متناول أيدي الولاة والحكام ، فمالك ابن الريب المازني كان ينزل ماوية ، شرق الدهناء ، وعبيد بن أيوب كان ينزل بقرب ذلك الموضع حيث ديار قومه بني العنبر ، ولا شك أن جحدراً لا يقيم إلا في مكان بعيد عن سطوة الولاة ، والشيحة المذكورة بهذا الصفة ، فهي متوسطة في شرق الدهناء ، بعيدة عن القرى ، ولكنها من الأمكنة المفضلة لرعي الإبل التي اعتاد الشاعر نَهْبها ، ومما يقوي هذا أن الفتية الذين ألقوا القبض على جحدر من بني يربوع ، ويستبعد أن يتمكنوا من ذلك لو كان خارج بلادهم . وتقع الشيحة التي أرى أنها الواردة في كلام السكري على طريق الحج العراقي الكوفي ، درب زبيدة شرق القيصومة ـــ قيصومة فيحان بين بركتي أم العصافير شمالاً والحمراء جنوباً بقرب خط الطول ٣٠َ / ٤٣ْ وخط العرض ٧َ / ٢٩ْ وهي في أرض الحزن التي هي من أحسن مراتع الإبل ولهذا يقال : من تربع الحزن وشتّى الدهناء فقد أصاب المرعى .

---

(١) يعني الشيح .

وتعرف الشيحة الآن باسم (الشيحيات) توسع فيه فأطلق على الماءة القديمة وعلى ماء آخر يعرف قديماً باسم (الشقوق) والموضع وادٍ يُنْبِت الشيح ، فيه آبار وبِرَك أكثرها دارس .

ومما يؤيد كون جحدرٍ ليس من أهل اليمن ولا أهل عمان أن المواضع التي ذكرها في شعره — وسنعرض لذكرها — كلها في نجد باستثناء سجني البيضاء والديماس اللذين في العراق ، بل لا يكاد يُداخل المرء شك حينما يقرأ خبره مع إبراهيم بن عربي ومع الحجاج في أنه من أهل نجد ، من البادية فهو يذكر كثيراً من مواضعها المتباعدة ، حينما يصف المراتع الطيبة ، أو المواضع التي يمرّ بها في رحلاته ، أو السجون التي أُلقي فيها ، ومما ذكر من المواضع .

١ — بزاخة — بضم الباء وفتح الزاي بعدها ألف فخاء معجمة فهاء ، موضع لا يزال معروفاً على مقربة من مدينة حايل جنوبها بنحو خمسين كيلاً .

٢ — البيضاء سجن في البصرة ، ويدعى المخيَّس — كما في «معجم البلدان» .

٣ — تناصف — قرنه الشاعر بالسرِّ — مما يدل على تقارب الموضعين (أنظر السر) .

٤ — ثهلان : الجبل الذي لا يزال معروفاً يكتنف بلدة الشعراء في عالية بنجد ، وتبدل العامة الثاء ذالاً (ذهلان) .

٥ — جَوًّ — بفتح الجيم ثم واو مشددة — هو جوّ اليمامة عند الإطلاق ، جوّ الخضارم ، في الخرج ، وقد حدده الهمداني في «صفة الجزيرة» .

٦ — حَجْر — بفتح الحاء المهملة وإسكان الجيم وآخره راء — المدينة التي كانت قاعدة اليمامة وقد قامت على أنقاضها مدينة الرياض[1] .

٧ — الدخول — بضم الدال والخاء المعجمة بعدها واو فلام — هضاب في جنوب نجد لا تزال معروفة .

(١) أنظر كتاب «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

٨ — دوَّار — بفتح الدال المهملة والواو مشددة بعدها ألف فراء — سجن أنشأه ابراهيم بن عربي في حجر ، و(استضاف) فيه عدداً من الشعراء في صدر العهد الأموي فسوَّدوا صحيفة ابن عربي بوصف ذلك السجن ، ومنهم جحدر صاحبنا .

٩ — الدِّيْمَاس : بكسر الدال المهملة بعدها مثناة تحتية ساكنة ، فميم مفتوحة فألف فسين مهملة — وهو سجن الحجاج في واسط في العراق ، سجن فيه الشاعر .

١٠ — الرِّجَامُ — بكسر الراء وفتح الجيم بعدها ألف فميم — من جبال حمى ضريّة ، يقع شرقها غير بعيد[١] .

١١ — السِّرُّ — بكسر السين المهملة وتشديد الراء — هو الإقليم المعروف في نجد ، الواقع غرب الوشم وجنوب القصيم .

١٢ — سلع : — بإسكان اللام وآخره عين مهملة — ورد هذا الاسم في القصيدة النونية بعد أن ذكر الشاعر أنه رآى بذي المجازة ضوء نار ، قال :

وكيف ودونها هَضَبَاتُ سلع   وأعلام الأبارق تعلمان

ولعل هذا البيت منحول ، إذ مفهومه أن جبل سلع يحجب عنه ضوء النار التي أوقدت بذي المجازة ، والقصيدة المذكورة قالها وهو في سجن الحجاج في العراق ، والمجازة في شرقي نجد في طرف الدهناء ، وجبل سلع عند الإطلاق يُقصد به الجبل الواقع بقرب المدينة ، وهذا لا يقع بين المكان الذي قال فيه الشاعر القصيدة وبين المجازة إلا أن يقال : لعله يعني سلْعاً آخر .

١٣ — غُبَيْر — بضم الغين وفتح الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية ساكنة فراء — قرنه الشاعر ببزاخة وأضاف إليه لوى (لِوَى غبير) مما يفهم منه تقارب الموضعين .

١٤ — غَوْل : بفتح الغين وإسكان الواو وآخره لام . وقد يبدل أبناء البادية الواو هنا ألفاً فيقولون (غال) كما يقولون (ثار) في (ثور) و(سلامان) في سليمان و(فاصل)

---

(١) أنظر تحديده في كلامنا على شعر لبيد في مجلة «العرب» .

في (فيصل) وغول جبل فيه واد أصبح مأهولاً ، وأحدثت فيه قرية بهذا الاسم ، شرق ضرية ، وهو داخل حماها القديم .

١٥ ـــ قُراقِرُ ـــ بضم القاف وفتح الراء بعدها ألف فقاف مكسورة فراء ـــ يطلق الإسم على مواضع أشهرها موضعان شمال نجد ، أحدهما وادي السرحان ، والثاني في أسفل وادي حايل ، ونرى الشاعر عنى الأخير ، فهو الذي بقربه تقع ألوية الرمل وهو قال (جاد اللِّوى من قَرَاقر) .

كُوْفانُ : الكوفة ، أنظر حرف الراء من شعره .

١٦ ـــ اللُّبَيْنان ـــ مثني لُبَيْن بضم اللام وفتح الباء الموحدة بعدها ياء مثناة تحتية وآخره نون ـــ ذكر ياقوت أنه في بلاد بني العنبر ، وبلاد هاؤلاء غير بعيدة من الشيحة التي رجّحنا أن الشاعر كان يسكنها ، تقع في الجنوب الشرقي منها بقرب الحفر ـــ حفر الباطن .

١٧ ـــ المَجَازة : وهي مجازة الطريق ، تقع بطريق المتجه من حجر إلى العراق ، وقد حددناها في أحد أجزاء مجلة «العرب» وانظر «المعجم الجغرافي» قسم المنطقة الشرقية .

١٨ ـــ مَنْعِجُ ـــ بفتح الميم وإسكان النون وكسر العين المهملة وآخره جيم ـــ هو وادي هجرة دُخنة ، يجتمع في وادي الرمة ، شرق الرّس ، ويناوح وادي عاقل من غربه .

١٩ ـــ نضاد : ـــ بفتح النون والضاد المعجمة بعدها ألف فدال مهملة ـــ جبل من جبال النِّير ، لا يزال معروفاً ، وهناك منهل يدعى النضادية .

٢٠ ـــ النِّيْرُ ـــ بكسر النون وإسكان المثناة التحتية بعدها راء ـــ الجبل المعروف في عالية نجد .

٢١ ـــ اليَمَامَة ـــ الاقليم المعروف .

هذه أشهر المواضع الواردة في الشعر المنسوب إلى جحدر . وليس من بينها ما يدل على أنه عاش في غير بلاد نجد .

عصر الشاعر جحدر : ليس من المستطاع — من خلال المصادر التي بين يدينا الآن — تحديد زمن ذلك الشاعر تحديداً تاماً بتبيين زمن ولادته وتاريخ وفاته ، ولكن الأخبار التي نسبت إليه ، تدل على أنه عاش في صدر الدولة الأموية ، حينما كان إبراهيم بن عربي والياً لليمامة من قبل الحجاج والي العراق ، وإبراهيم تولى اليمامة في عهد عبد الملك بن مروان ، وولاية الحجاج للعراق امتدت قرابة عشرين سنة من سنة ٧٥هـ إلى سنة ٩٥هـ وقد ولي قبل ذلك (أي في سنة ٧٣) .

ولهذا فإن قصة جحدر — مع الحجاج إن صحت — قد وقعت في خلال تلك الفترة ، بل إن جحدراً عاش خلالها كما تدل أشعاره في السجون المعروفة في ذلك العهد (دوار) و(البيضاء) و(ديماس) وفي شعر جحدر ما يدل على أنه سجن في دوار في عهد أَبِي الوليد :

وقد دعوت — وما آلوا لأسمعه أبا الوليد ، ودوني سجن دوّار

وأبو الوليد كنية الخليفة عبد الملك بن مروان الذي استقل بالخلافة من سنة ٧٣هـ الى سنة ٨٦هـ وهو الذي ولى ابراهيم بن عربي اليمامة[1] فبنى سجن دوّار . بعد سنة ٧٣هـ . وعلى ما تقدم يمكن تحديد زمن جحدر .

حياة الشاعر : لم يُعْنَ المتقدمون من المؤرخين ممن وصلت إلينا مؤلفاتهم بإبراز جوانب حياة جحدر ، ولهذا فإن كل ما نعرف عنها يكاد ينحصر في ثلاثة :

١ — أنه كان من اللصوص .
٢ — وكان شجاعاً كما تصوره قصته مع الأسد .
٣ — وكان شاعراً . كما يتضح مما وصل إلينا من شعره .

ويحسن الوقوف عند الجانب الأول من حياة ذلك الشاعر . قد تقسو الحياة على المرء فتلجئه إلى ارتكاب أكره الأمور وأبغضها إلى نفسه ، ولكن ينبغي ادراك تطور مدلول الألفاظ بتغير الزمان وبتغير نظرة الناس إلى الأشياء ، وتفاوت تلك النظرة .

---

(١) كنت ألفت عن هذا الوالي كتاباً دعوته «ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد» وقد نهب فيما نهب من كتبي في بيروت .

فما قد يُرى في زمان من الأزمنة غير مكروه من الأفعال قد يصبح يوماً من الأيام في نظر الناس من أكرهها وأبغضها إلى النفوس . لا أقول هذا بمعرض تحسين ما هو قبيح — أو العكس — أو لكي أُحَبِّذ فِعْلاً لا يجوز شرعاً ولا عقلاً ، ولكن لأوضِّح اننا نحكم شططاً إذا قسنا كل الأمور بمقاييس عصرنا ، وأغفلنا ما للزمان وما للمكان من تأثير في مختلف أحوال الناس .

ولا تبلغ قسوة الحياة في كثير من بقاع الأرض ما كانت تبلغه في جزيرة العرب ، حيث كانت الحياة فيها تقوم على ماتنتجه الأنعام — من إبل وغيرها — وهذه الأنعام تعيش على ما تنبته صحاري تلك الجزيرة حين يجود الغيث ، ويهطل المطر ، وما أكثر ما يعمُّ الجدب ، وينقطع هطول الامطار أزماناً حتى تجف أرض تلك الصحارى وتغبر ، ولا يبقى فيها عود أخضر ، فتهلك الأنعام من الهزال والجوع ، وبهلاكها يضطر أهلها إلى مصارعة الحياة ، وكثيراً ما تصرعهم ، وحينئذ تنعدم مقاييس الأخلاق بينهم — إلا من رحم ربك .

ومن ألوان مصارعة الحياة ما حفلت به كتب الأدب من أخبار اللصوص من أهل البادية ، وهاؤلاء — كما وصفهم أحد الكتاب[١] : (فئة خيل إليها أنها تحل مشكلة الغنى والفقر ، فثاروا على مجتمعهم ثورة فردية ، فقتل بعض ، وسجن بعض ، وهرب بعض إلى القفار والبسابس ، يعاشر الضباع والذئاب ، وبقي بعض طول حياته فقيراً) .

وحياة البادية في عهودها القديمة على غاية البساطة والسهولة ، فالقبيلة تعيش على نمط فريد من التشارك والتعاون وما يناله أحد افرادها من رزق بأية وسيلة فإن لقومه فيه حقهم فهم في تلك الحياة يعيشون على حد قول الشاعر[٢] :

وإني امرؤ عافي إنائي شركة ... وأنت امرؤ عافي إناؤك واحد
أتهزأ مني ان سمنت وان ترى ... بوجهي شحوب الحق والحق جاهد

---

(١) عبد المعين الملوحي : (أشعار اللصوص وأخبارهم) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد الـ ٤٩ ص ٣٦٢ .
(٢) هو عروة بن الورد العبسي كما في ديوانه .

أقسمّ لحمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

وأهل البادية الذين نشأ بينهم أولئك اللصوص من أبعد خلق الله عن التأثر بأساليب الثقافة والعلم ، لبعدهم عن المدن التي هي مراكز الإشعاع الفكري ، ولهذا فليس غريباً أن يتخيل أحد أولئك اللصوص بأن كل ما يوجد في تلك الصحراء من الأنعام مال الله ، على حد قوله :

وإني لأستحيي من الله أن أرى أجرر حبلاً ليس فيه بعير
وان أسأل المثرين من فضل مالهم وبعران رَبِّيْ في البلاد كثير

أو كلاماً نحو هذا . ولكن من أطلقنا عليه تلك الصفة السيئة من هؤلاء حينما يجد ما يدفع به ضرر الحاجة ويقوم بأوده سرعان ما يترك ما ألفه من تلك الحياة الممقوتة كما حدث لمالك بن الريب ولجحدر صاحبنا ، الذي لا نتبيّن مدى ما نسب إليه في مجال التلصص ، إلا أن مجتمعه الذي عاش فيه حكم عليه بذلك ، فأذاقه مرارة السجن مرات في سجون مختلفة ، ولا نعرف عدد تلك المرّات ، ولو أخذنا بقوله لقلنا مع القائلين : (كم أُدخل السجن من مظلوم) فهو يقول عن إدخاله سجن دوَّار في حجر (الرياض) :

لو يتبع الحق فيما قد منيت به أو يتبع العدل ، ما عمّرت (دوّارا)

وهو يسمى السجن (مأوي الفتوَّة) .

ولكن قلَّ من يعترف بخطئه طائعاً مختاراً ، ومن ينظر إلى فعله نظرة صحَيحة .

ويروي الجاحظ في كتاب «الحيوان»[1] عن جحدر هذا ما يدل على حذقه في تلك (المهنة) إن صح . قال : (كان جحدر إذا نزلت رفقة قريبة منه أخذ شنَّة ، فجعل فيما قِرْدَاناً ، ثم نثرها بقرب الإبل ، فإذا وجدت الإبل مَسّها نهضت ، وشَدَّ الشنّة في ذنب بعض الإبل ، فإذا سمعت صوت الشنَّة وعملت فيها القردان نفِرتْ ، ثم كان يثب في ذروة ما نَدَّ منها ويقول : أرحَمُ الغارة الضِّعافُ — يعني القردان — قال أبو برزة : ولم

(١) ج ٥/٤٣٣ .

تكن هِمّتُهُ تجاوز بعيراً) . انتهى .

ولا ندري على مَ اعتمد الأستاذ عبد السلام هارون ــ محقق كتاب «الحيوان» حين نسب الخبر إلى جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة قائلاً : (وجحدر هذا غير جحدر بن معاوية العكلي أحد لصوص العرب الشعراء) انتهى .

شجاعة جحدر : ووصف المتقدمون جحدراً بالشجاعة كما وصف نفسه بأنه جريء الجنان . ويظهر ــ من مجمل خبره ــ أنه يُقدم على أمره متى كان الإقدام مفيداً ، ويحجم حيث لا يفيد الإقدام ، ولهذا لم يستطع والي اليمامة إمساكه ، مع كثرة إيذائه لأهل حجر ، حتى احتال عليه بأناس قريبين منه نسباً وداراً ، فخدعوه حتى أمسكوه .

ولعله قال الأشعار في وصف السجون الثلاثة في حادثة واحدة ، إذ من المستبعد أن يفلت من العقوبة ، ثم يعود إلى ما عرف عنه من الفساد .

ولو ساغ الحكم على أحوال الشاعر بما نسب إليه من شعر لجاز القول بأن جحدراً تجاوز بشجاعته الحدَّ الممدوح ، فاتخذها وسيلة إضْرارٍ وتمرُّدٍ في مجتمعه :

ألم ترني خلقت فتى حروب ... إذا لم أجن كنت مجنّ جاني

والمتقدمون الذين وصلت إلينا مؤلفاتهم لم يذكروا لنا من أخبار شجاعته سوى قصته مع الأسد ، وقد لاحظ صاحب «خزانة الأدب»[1] أن السكري مؤلف كتاب «اللصوص» لم يورد تلك القصة مع أنه استوعب أحوال اللصوص وأشعارهم وأورد لجحدر أشعاراً .

كما أن الرجز الذي أوله :

لــيث ولـيث في مجال ضـنك ... كلاهمـــــــا ذو أنف ومحك

نقل صاحب «الخزانة» أنه لواثلة بن الأسقع الصحابي أورده الكلاعي في «السيرة النبوية» في وقعة مرج الروم ، وكان واثلة في جيش خالد ابن الوليد فخرج بطريق من

---

(١) ج٣ ص ٣٤٣ .

كبار بطارقة الروم فبرز له واثلة وهو يقول ذلك الرجز ، ثم حمل على البطريق فقتله . وكان ذلك بعد سنة خمس عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب ويعقب صاحب « الخزانة » قائلاً : فلا شك أن واثلة أقدم من جحدر ، فيكون جحدر قد أخذ الشعر من واثلة وزاده . انتهى . وورود الخبر منسوباً إلى جحدر في كثير من الكتب[1] يدل على أن له أصلاً ، وإن كان التزيُّد في الأخبار الغريبة أمراً شائعاً ، ونصُّهُ : كان باليمامة رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك ، وكان لَسِناً فاتكاً شاعراً ، وكان قد أفحش على أهل حجر وناحيتها ، فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف ، فكتب إلى عامل اليمامة يوبخه في تلاعب جحدر به ، ثم يأمره بالتجرد في طلبه حتى يظفر به .

فبعث العامل إلى فتية من بني يربوع بن حنظلة فجعل لهم جُعْلاً عظيماً إن هم قتلوا جحدر أو أتوا به أسيراً ، ووعدهم أن يوفدهم إلى الحجاج ويسني فرائضهم ، فخرج الفتية في طلبه حتى إذا كانوا قريباً منه بعثوا إليه رجلاً منهم يريه أنهم يريدون الانقطاع إليه ، فوثق بهم ، واطمأن إليهم ، فبيناهم على ذلك إذ شدوه وثاقاً ، وقدموا به إلى العامل ، فبعث به معهم الى الحجاج . فلما قدموا به على الحجاج قال له : أنت جحدر ؟ ! قال نعم ! قال : ما حملك على ما بلغني عنك ؟! قال له : جرأة الجنان ، وجفوة السلطان ، وكلب الزمان ! ! قال : وما الذي بلغ من أمرك فيجترىء جنانك ، ويصلك سلطانك ، ولا يكلب عليك زمانك ! قال : لو بلاني[2] الأمير لوجدني من صالحي الاعوان ، وبُهَمِ[3] الفرسان ، ومَنْ أوفَى على أهل هذا الزمان . قال الحجاج : أنا قاذفك في قبة فيها أسد فإن قتلك كفانا مؤونتك ، وإن قتلته خليناك ووصلناك . قال : قد أعطيت — أصلحك الله — المُنْيَة ، وعظمت المنّة ، وقربت المحنة ، فأمر به فاستوثق منه بالحديد ، وأُلقي في السجن ، وكتب إلى عامله في

---

(١) أوردها ابن كثير في « البداية والنهاية » : ١٢٥/٩ . أنظر « خزانة الأدب » ٣/ ٣٤١ — ٣٤٣ فقد نقلها عن الجاحظ في كتاب « المحاسن والمساوىء » قال : أورد ابن الشجري في (أماليه) هذه الحكاية مختصرة واالسيوطي في « شرح شواهد المغني » وابن عساكر في « تاريخ دمشق » عن ابن الأعرابي وعن الزبير بن بكار في « الموفقيات » .

(٢) بلاني : اختبرني .

(٣) جمع بهمة — بضم الباء وفتح الهاء والميم — الشجاع الذي ينبهم أمره بشجاعته فلا يعرف من أين يؤتى .

(كسكر)[1] يأمره أن يصيد له أسداً ضارياً. فلم يلبث العامل أن بعث له بأسدٍ ضارية، قد أبّرت على أهل تلك الناحية، ومنعت عامّة مراعيهم ومسارح دوابهم، فجعل واحداً منها في تابوت يجرُّ على عجلة، فلما قدموا به أمر فأُلقي في حيز، وأُجيعَ ثلاثاً، ثم بعث إلى جحدر فأُخرج، واعطي سيفاً، ودني منه، فمشى اليه الأسد، فأنشأ يقول:

ليث وليث في مجال ضنك كلاهما ذو أنف ومحك[2]

حتى إذا كان منه على قدر رمح تمطّى الأسد وزأر وحمل عليه، فتلقّاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها، وسقط الأسد كأنه خيمة قوضتها الريح، ولم يلبث جحدر لشدة حملة الأسد عليه ـــ مع كونه مكبّلاً ـــ أن وقع على ظهره متلطخاً بالدّم، وعلت أصوات الجماعة بالتكبير. وقال له الحجاج ـــ لمّا رآى منه ما هاله: ـــ يا جحدر إن أحببت أن أُلحقك ببلادك، وأحسن جائزتك فعلت ذلك بك، وإن أحببت أن تقيم عندنا أقمت فأسنينا فريضتك. فقال: أختار صحبة الامير، ففرض له، وللجماعة أهل بيته.

شعر جحدر: أما شعر جَحْدَرٍ فإن القدر اليسير الذي ورد فيما اطلعت عليه من المصادر ـــ مع ما فيه من منحول ومختلف في نسبه ـــ يرفع جحدراً إلى مصاف مجيدي الشعراء، وخاصَّة ما يتعلق بوصف السجون، وما يقاسيه اهلها من العذاب داخلها. وما ذلك إلا لأنه يعبِّر في ذلك الشعر عن إحساس صادق، ويصف أموراً قد عاناها، وهو حينما يصف السير في القفار في ركب قد أنهكهم طوله في مواصلة السُّرَى حتى غلبهم النعاس، يبلغ في وصفه حدَّ الروعة:

وركب تعادوا بالنعاس كأنما تساقوا عقاراً خالطت كلّ مفصل

وسيجد القارىء في النتف التي جمعتها من شعره ـــ على قِلّتها ـــ ما يعرف به منزلته في الشعر، ويغنيه عن الاسترسال في الحديث عنه من هذا الجانب.

---

(١) كسكر: منطقة متوسطة بين الكوفة والبصرة والأهواز، قاعدتها واسط.

(٢) الأنف: الاستنكاف، والمحك: اللجاج.

ولا تفوت الإشارة إلى أن كثيراً من الشعر المنسوب إليه قد نسب إلى غيره من الشعراء — وخاصة القصيدة النونية التي سترد آخر الشعر ، فمنها أبيات نسبها الآمدي إلى رجل من بني جشم بن سعد ابن زيد مناة بن تميم ، وأبيات في «الحيوان» للجاحظ و«عيون الأخبار» لابن قتيبة و«المعاني الكبير» له ، منسوبة لغير جحدر.

وقد أوردت القصيدة كما وردت في «الأمالي» وغيره من أمهات كتب الأدب ، وتركت أمر التحقق من صحة نسبة مختلف أبياتها لمن يحاول التوسع في دراسة شعر هذا الشاعر ، وما علي إلا أنني قرَّبت — ما استطعت — له طرفاً من ذلك يقع في نحو ١٣٠ بيتاً ، وما هي بقليلة من شعر شاعر مغمور.

ب — وقال جحدر بن معاوية المرزي اللص :

يا دار بين (بزاخة) فكثيبها فلوى (غبير) سهلها أو لوبها
سقت الصّبا أطلال ربعك مغدقاً ينهل عارضها بلبس جيوبها[1]
أيام أرعى العين في زهر الصبا وثمار جنات النساء وطيبها[2]

ج — وقال جحدر بن معاوية بن جعدة العكلي[3] :

يا جمل إنك لو شهدت كريهتي في يوم هول مسدف وعجاج
وتقدمي لليث أرسف موثقاً كيما أكابره على الأحراج
جهم كأن جبينه طبق الرحا لما بدا متعجر الأثباج
شثن براثنه كأن نيوبه زرق المعاول أو شباه زجاج
وكأنما خيطت عليه عباءة برقاء أو خلق من الديباج
يسمو بناظرتين تحسب فيهما لما أجالهما شعاع سراج
وله إذا وطيء المهاد تنقض ولثني طفطفه نقيق دجاج

---

(١) كذا ولعله : (بلبس جنوبها).

(٢) «معجم البلدان» — بزاخة.

(٣) «الحماسة البصرية» : ٣٣٧/٢ وقال محققها الخبر والأبيات في المحاسن والأضداد ١٠٢ ، والأبيات في ابن عساكر والخزانة ٣٤٢/٣ وبعضها في الدميري ٣٤٨/٢.

أقبلت أرسف في الحديد مكبلاً ... للموت نفسي عند ذاك أناجي
والناس منهم شامت وعصابة ... عبراتهم بِي في الحلوق شواجي
قرنان محتضران قد محضتهما ... أم المنية غير ذات نتاج
لما نزلت بحصن أزبر مهصر ... للقرن أرواح العدى مجاج
نازلته إن النزال سجيتي ... إني لمن سلفي على منهاج
وعلمت أني لو أبيت نزاله ... أنّي من الحجاج لست بناج
ففلقت هامته فخر كأنه ... أطم هَوَى، متَقَوِّضَ الْأَبْرَاجِ
ثم انثنيت وفي قميصي شاهد ... مما جرى من شاخب الأوداج
ولبأسك ابن أبِي عقيل فوقه ... وفضلته بخلائق أزواج
ولئن قذفت بِي المنية عامدا ... إني لخيرك بعد ذاك لراجي
علم النساء بأنني ذو صولة ... في ساعة الإلجام والإسراج

د ــ في «معجم البلدان» : ديماس ــ بكسر أوله وآخره سين مهملة ــ : سجن كان للحجاج بواسط . قال جحدر اللص ــ وقد حبس فيه ــ :

إن الليالي نجت بِي فهي محسنة ... لا شكّ فيه من الديماس والأسد
وأطلقَتْنِي من الأصفاد مخرجة ... من هول سجن شديد البأس ذي رصد
كأنّ ساكنه حيّا حشاشته ... ميت تردّد منه السمّ في الجسد[1]

وأورد له ياقوت في «معجم البلدان»[2] :

تربّعن غولاً فالرجام فمنعجا ... فعرفته فالميث ميث نضاد
ر ــ وقال :

يا صاحبي ــ وباب السجن دونكما ــ ... هل تؤنسان بصحراء اللّوى نارا

---

(١) «معجم البلدان» ــ الديماس ــ .
(٢) رسم (عرفة منعج) .

لوى الدخول إلى الجرعاء موقدها والنار تبدي لذي الحاجات أذكارا
لو بتبع الحقّ فيما قد منيت به أو يتبع العدل ما عمّرت دوّارا
إذا تحرّك باب السّجن قام له قوم يمدّون اعناقا وأبصارا[1]

وقال جحدر :

ذكرت هندا وما يغني تذكّرها والقوم قد جاوزوا ثهلان والنّيّرا
على قلائص قد أفنى عرائكها تكليفناها عريضات الفلا ، زورا[2]

وقال جحدر أيضاً في ابراهيم بن عربي والي اليمامة[3] :

إني أرقت لبرق شاقني سارى كأنّ في العين منه مس عوّار
أو حرّ فلفلة كانت بها قذيت لما برى قشرها عن حرها الباري
إن الهموم إذا عادتك واردة إن لم يُعَرِّجْ لها ورد بإصدار
كانت عليك سقاما تستكين له وأنصتتك لحاجات وإذكار
فصرت في السجن والحرّاس تحرسني بعد التلصص في برّ وأمصار
وسير حرف تجوب الليل جافلة عوم السفينة في ذي اللجة الجاري
يا نفس لا تجزعي إني إلى أمد وكل نفس إلى يوم ومقدار
وما يقرب يومي من مدى أملي فاقني حياءك ترحالي وتسياري
إني إلى أجل إن كنت عالمة إليه ما منتهى علمي وآثاري
لله أنت فإن يعصمك فاعتصمي وإن كذبت فحسبي الله من جار
أدعيه سرًّا وناديه علانية والله يعلم إعلاني وإسراري
وما السعادة في الدنيا لذي أمد إن السعيد الذي ينجو من النار

* * *

(١) «معجم البلدان» — الدخول —
(٢) «معجم البلدان » — ثهلان — .
(٣) «منتهى الطلب» .

سقيا لسجنك من سجن وساكنه بديمة من ذهاب الماء مدرار
بكل جون رواياه مطبقة واهي العزالي من الجوزاء جرّار
وقد دعوت وما آلو، لأسمعه أبا الوليد ودوني سجن (دوّار)
في جوف ذي شرفات سدّ مخرجه بباب ساج أمين القفل صرار
أدعوه دعوة مظلوم لينصرني ثم استغثت بذي نعمى وأخطار
أشكو إلى الخير ابراهيم مظلمتي في غير جرم وإخراجي من الدار
الدهر أرسف في كبل أعالجه وحلقة قاربوا فيها بمسمار
أدور فيه نهاري ثم منقلبي بالليل أدهم مزرور بأزرار
كأنه بين إستارين قدهما سراة أورق مطليّ من القار
يا أقرب الناس من حمد ومكرمة وأبعد الناس من ذمّ ومن عار
وأعظم الناس عفوا عند مقدرة وليث غاب على اعدائه ضاري
ورد هزير تميت القرن صولته وضمّه بين أنياب وأظفار
أنعم عليّ بنعمي منك سابغة من سيب أروع نفّاع وضرار
أوفى اليمامة من يعلق بذمته تأخذ يداه بحبل غير خوار

وقال جحدر في البيضاء المحرزي وهو حبس بها :

أقول للصحب في (البيضاء) دونكم محلة سودت بيضاء أقطاري
مأوى الفتوة، للأنذال مذ خلقت عند الكرام محلّ الذّل والعار
كأن ساكنها من قعرها أبدا لدى الخروج كمتاش من النار[1]

وأورد البكري في «معجم ما استعجم» — الكوفة — لجحدر وهو مسجون :

يا ربّ أبغض بيت أنت خالقه بيت بكوفان منه استعجلت سقر

وقال جحدر لعياش الضبي[2] :

---

(١) «معجم البلدان» — البيضاء —

(٢) كتاب «البرصان والعرجان» للجاحظ ص ٢٤١ . وفي «معجم الشعراء» ص ٢٧٩ أن الأبيات لابن الطيلسان وقد دخل على عياش الضبي فوجده قد قطعت يده ورجله في الحبس .

أعيّاش إذ وطنت نفسك فاصطبر غـدا للمـمّـات سـبـا وسـعير[1]
وأنت قطيع الرجل تمشي على العصا وكفّك من عظم اليمين جذير[2]
وأحـموقة وطنت نـفسك خـاليا بها وحماقــات الــرجــال كــثير
فإن وطّن الضبـيّ نفسا لئيمة على الذل ما نفسي لها بصبور[3]

وأورد ياقوت في «معجم البلدان» (دوّار) : قال أبو أحمد العسكري : قال جحدر — وكان إبراهيم بن عربي قد حبسه بدوّار :

إنّي دعوتك — يا إله محمد — دعـوى ، فـأوّلها لي استـغـفـار
لِتُجِيْرَني من شرّ ما أنا خائف ربّ البريّة ، ليس مثلك جار !
تـقضي ولا يـقضى عـليك وإنّما ربّـي — بعلمك تنزل الأقدار
كـانت مـنـازلـنا التي كـنّا بها شتّى ، فـألّف بيننا (دوّار)[4]
سـجـن يلاقي أهـلـه من خـوفه أزلا ، ويمنـــع منهـــم الــزّوار
يغشـون مـقـطرة كـأنّ عـمودهـا عـنق يـعـرّق لحـمـهـا الجزّار[5]

وقال جحدر[6] :

تـعـلّمـن يـا ذود اللُّبَيَّيْن سيرة بـنـا لم تـكـن أذوادكـنّ تسيرهـا

ع — وقال :

---

(١) في «معجم الشعراء» : فحظك من بعد الممات سعير .
(٢) جذير : مقطوع .
(٣) في «المعجم» : ما نفسي له بوقور . وفي البيت إقواء .
(٤) في «التكلة» للصغاني و«تاج العروس» هذا البيت قال جحدر بن معاوية الكلبي وأرى (الكلبي) تصحيف العكلي .
(٥) المقطرة : خشبة فيها خروق ، على قدر سعة الساق تدخل فيها أرجل المحبوسين مشتق من قطار الإبل ، لأن المحبوسين على قطار واحد مضموم بعضهم إلى بعض ، أرجلهم في خروق خشبة مفلوقة على قدر سعة سوقهم ، وتسمى الفلق بفتح اللام وهي الفلقة .
(٦) «معجم البلدان» — اللبيين — قال : اللبيين تثنية لبي ماءان لبني العنبر . انتهى . وبلاد بني العنبر شرق الجزيرة بقرب الحفر .

نظرت وأصحابي تعالى ركابهم وبـ(السّر) واد من (تناصف) أجمعا
بعين سقاها الشوق كحل صبابة مضيضا ترى إنسانها فيه منقعا
إلى بارق جاد اللوى من قراقر هنيئاً له إن كان جدّ وأمرعا
إلى الثَّمَدِ العذب الذي عن شماله وأجرعه، سقيا لذلك أجرعا[1]

ف — وقال:

وإنّ امرأ يعدو و(حجر) وراءه و(جوّ) ولا يغزوهما لضعيف
إذا حلّة أبليتها ابتعت حلّة كسانيها طوع القياد عليف
سعى العبد إثري ساعة ثم ردّه تذكّر تنّور له، ورغيف[2]

ك — وقال جحدر في مبارزته للأسد[2]:

ليث وليث في مجال ضنك كلاهما ذو أنف ومحك
وبطشة وصوله وفتك إن يكشف الله قناع الشك
بظفر في حاجتي ودرك فهو أحق منزل بترك
الذئب يعوي، والغراب يبكي

ل — وقال جحدر العكلي[3]:

وركب تعادوا بالنعاس كأنما تساقوا عقارا خالطت كل مفصل
سريت بهم حتى مضى الليل كله ولاحت هوادي الصبح للمتأمل
وقالوا وقد مالت طلاهم من الكرى: أنخ إنها نعمى علينا وأفضل
فطاوعتهم حتى أناخوا كلاكلا مهارى لهوا عنها ولما تعقل
وقالوا على أعطافها وتوسدوا إلى الركب اليسرى سواعد أشمل

(١) «معجم البلدان» — تناصف —.
(٢) «معجم البلدان» — الجو—.
(٣) «الحماسة البصرية»: ٢/٣٣٨ «المحاسن والأضداد» و«خزانة الأدب» مع اختلاف في بعض الأبيات.
(٤) الحماسة البصرية: ج٢/٣٥٨.

ولاثوا بأيديهم فضول أزمة تصور البري أزرارها لم تحلل
غشاشا غرار العين ثم تنبهوا سراعا إلى أكوار سدس وبزّل

م ــ وقال جحدر أيضاً :

يا ربّ (دوّار) أنقذ أهله عجلا وانقض مرائره من بعد إبرام
ربّ ارمه بخراب وارم بانيه بصولة من أبي شبلين ضرغام[1]

ن ــ وقال جحدر، وهو في سجن الحجاج :

رأيت بـ(ذي المجازة) ضوء نار تلألأ وهي نازحة المكان
فشبّه صاحباي بها سهيلا فقلت: نبيّنا ما تنظران
أنارا أوقدت لتنوراها بدت لكما أم البرق اليماني
وكيف ودونها هضبات سلع وأعلام الأبارق، تعلمان
كأنّ الريح ترفع من سناها بنائق حلّة من أرجوان[2]
تأوبني فبت لها كنيعا هموم ما تفارقني حواني
هي العوّاد لا عواد قومي أطلن عيادتي في ذا المكان
إذا ما قلت: قد أجلين عني ثَنَى ريعانهن علي ثاني
وكان مقرّ منزلهن قلبي فقد انفهنه والهمّ آني
أليس الله يعلم أن قلبي يحبّك أيها البرق اليماني
وأهوى أن أرد اليك طرفي على عدواء من شغلي وشأني
نظرتـ وناقتاي على تعاد مطاوعة الأزمة ترحلان
إلى ناريهما وهما بعيد تشوقان المحب وتوقدان

---

(١) «معجم البلدان» ــ دوار ــ.
(٢) الأبيات الخمسة في «الحماسة البصرية» ٩٧/٢ منسوبة لجحدر العكلي وأشار محقق الحماسة إلى بعض مصادر القصيدة وإلى نسبة بعض أبياتها لغير جحدر، وأوفى مصدر لها «الأمالي» للقالي ٢٨١/١ و«بغية الطلب» ــ مخطوط ــ ج١ الورقتان ١٢٥ و١٢٦ نسخة مكتبة (لا له لي) في اصطنبول و«معجم البلدان» ــ جحر ــ.

وممَّا هاجني فازددت شوقاً ... بكاء حمامتين تجاوبان[1]
تجاوبتا بلحن أعجمي ... على غصنين من غرب وبان[2]
فقلت لصاحبي وكنت أحزو ... ببعض القول ماذا تحزران ؟
فقالا : الدار جامعة قريباً ... فقلت : وأنتما متمنّيان
فكان البان أن بانت سليمى ... وفي الغرب اغتراب غير داني

* * *

أليس الله يجمع أمّ عمرو[3] ... وإيّانا ، فذاك لنا تداني
نعم وترى الهلال كما أراه ... ويعلوها النهار كما علاني
فما بين التفرق غير سبع ... بقين من المحرم أو ثمان

* * *

فيا أخوي من كعب بن عمرو ... أقلاّ اللوم إن لم تنفعاني
إذا جاوزتما شعفات حجر ... وأودية اليمامة فانعياني
وقولا جحدر أمسى رهينا ... يحاذر وقع مصقول يماني
إلى قوم إذا سمعوا بقتلي ... بكى شبانهم ، وبكى الغواني[4]
ألم ترني غذيت أخا حروب ... إذا لم أجن كنت مجنّ جاني
فإن أهلك فربّ فتى سيبكي ... عليّ مهذب رخص البنان
ولم أك قد قضيت حقوق قومي ... ولا حقّ المهنّد والسنان
كذا المغرور في الدنيا سيردى ... وتهلكه المطامع والأماني

---

(١) جعله ياقوت «معجم البلدان» — حجر — أول القصيدة وأورده هكذا :
لقد صدع الفؤاد شجاني ... بكاء حمامتين الخ .....
(٢) وأورد ياقوت بعده :
فأسبلت الدموع بلا احتشام ... ولم أك بالـلئيم ولا الجبان
(٣) في «المعجم» : من جشم بن بكر . وفي «المؤتلف» : من جشم بن سعد .
(٤) في «المعجم» : بعد هذا :
ستبكي كل غانية عليه ... وكل مهذب رخص البنان
وكل فتى له أدب وحلم ... معدي كريم غير واني



الشاعر يزيد بن الطثرية

اخباره وشعره (*)

من أبرز شعراء نجد في آخر العهد الأمويّ يزيد بن الطثرية ، وهو من الشعراء الغزليين الرقيقي الشعر ، الذي يكاد ينحصر شعرهم في تلك الناحية[1] .

ولا تمدنا المصادر التي بين أيدينا بتفصيلات وافية عن حياة هذا الشاعر ، مع كثرة ما تورد كتب الأدب من مقطوعات شعره .

وكل ما نعرف عنه هو انه يزيد بن سلمة بن سمرة من بني سلمة الخير ، بن قشير بن كعب ، من عامر من هوازن من قيس عيلان بن مُضَر .

واسرته من البوادر ، نسبوا الى أمهم بادرة من سليم .

وقد تكون هناك صلة بين البوادر ، وهو الاسم الذي يشمل أكثر أبناء قشير وبين قبيلة البدارين المعدودين من الدواسر . ان لم تكن الكلمة مصحفة عن (البوارد) .

ومن المعروف أن الدواسر قبيلة قحطانية حلت في مواطنها المعروفة الآن بعد ظهور الاسلام بزمن .

وينسب يزيد الى امه وهي من بني طثر وهم من عنز بن وائل ، وبلاد عنز كما هو معروف تقع في الأودية الجنوبية الغربية فيما بين وادي الدواسر وبلاد عسير .

ويقال : إن طثرا هؤلاء حالفوا بني عقيل بن كعب بن عامر أبناء عم قشير وخالطوهم .

(*) مجلة العرب — ص ٨١٦ — ج : (٩ ، ١٠) السنة الأولى .

(١) نقل ابن خلكان في وصفه له عن الطوسي قوله (كان شاعراً مطبوعاً عاقلاً ، فصيحاً ، كامل الأدب ، وافر المروءة ، لا يعاب ، ولا يطعن عليه ، وكان سخياً شجاعاً ، له أصل ومحل في قومه ، وكان من شعراء بني أمية ، مقدّماً عندهم) .

ويحدد الأصفهاني منزل يزيد هذا بأنه كان بناحية صدّاء[1] .

وصدّاء هذه على ما حدثني الشيخ سعود بن رشود قاضي الرياض رحمه الله قد درست ، وبقي آثار عمرانها بارزاً في عهدنا الحاضر ، وتقع أسفل قرية الْبُدَيِّع الواقعة جنوب وادي الأحمر «المعروف قديماً بوادي (اكمة) ويبعد موقع صداء عن البديع مسيرة يوم تقريباً للإبل .

ونعرف عن يزيد مما ذكره صاحب الأغاني انه في أول حياته عاش عيشة اللهو والترف ، وقد وهب جمالاً وطلاوة حديث ، ورقة شعر مما حببه إلى فتيات الحيّ .

وانه كان جواداً ، إلا أنه كان قليل المال ، وله أخ أكبر منه ، يدعى ثور كثير المال والنخل والرقيق ، وكان متنسكاً كثير الحج والعبادة ، ولهذا لم تعجبه حياة أخيه .

وقد وقع يزيد في غرام فتاة من جرم من قضاعة تدعى وحشيّة ، وله فيها مقطوعات تعد من عيون شعره .

وقد سبّبت صلته بها له بعض ما يكره ، فقد شكاه الجرميون فعاقبه أمير العقيق المعروف الآن بوادي الدواسر ، وكان تابعاً لأمير اليمامة في ذلك العهد المهاجر بن عبدالله الكلابي ، فحبس في حجر وحلقت لمّته ، وكان الفتيان في ذلك العهد يتخذون من اللمّة مظهر للجمال ، ويرون في حلقها بالغ الأذى .

وسيمر بنا من شعره وصف لهذا .

ويظهر أن كرم هذا الشاعر سبب له مضايقات أخرى فقد استدان حتى ارهقه الدين ، وشكي الى عامل حجر فحبسه أيضاً .

ولا نستطيع تحديد الزمن الذي انتهت فيه حياة هذا الشاعر ، إلا أننا نعتقد أنه قتل بعد سنة ١٢٦ هـ وان كان الذهبي[2] وغيره يحددون قتله في هذه السنة .

---

(١) الأغاني ١٣١/٧ .

(٢) «تاريخ الإسلام ج ٥ » حوادث ١٢٦ .

ونرى أنه بعد هذه السنة بزمن يسير ، ذلك أن في منتصف هذا العام وبعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد وانتشار الضعف في الخلافة الأموية ، اغتنم بنو حنيفة ذلك الضعف ، فثار في حجر (اليمامة) المهير بن سلميٍّ الحنفي ، فأخرج العامل الأموي .

واستولى على اليمامة وامتدت ولايته إلى الأفلاج ووادي الدواسر ، وكان بين بني حنيفة وبين سكان تلك الجهات ثارات قديمة وضغائن ، ارّثها قسوة عمال الحنفيين ، فقد روى صاحب الأغاني وغيره ، ان العامل الحنفي أرسل الى العقيق رجلاً يدعى المندلث بن ادريس الحنفي لجباية الزكاة ، ولكنه أساء السيرة في بني عقيل وجرم وقشير ، فاجتمعت هذه القبائل لقتاله برئاسة أبي لطيفة العقيلي ، وكانت راية قشير في يد ابن الطثرية ، فثاروا على العامل وقومه ، فقتلوه وبعض أصحابه وهزموهم ، وكان يزيد هذا يلبس جبة خز وكان يسحبها أثناء المعركة .

فنشبت في خشبة من شجر العشر فعثر فابتدر الحنفيون عثرته فهجم عليه أحدهم فقتله .

ولأخته أو لمحبوبته وحشيّة مرثاة فيه تعد من عيون المراثي أوردها صاحب «الحماسة» وغيره .

وسنحاول ان نورد فيما يلي ما استطعنا العثور عليه من شعره الذي وان كان ابن خلكان اطلع عليه مجموعاً في ديوانين ، جمع أحدهما صاحب «الأغاني» وجمع الآخر أبو الحسن علي بن عبدالله الطوسي ، إلا أننا لا نعرف له الآن شعراً مجموعاً .

شعره :

ليالي تعشار :

ألا لا أرى وصل الْمُسَفَّهِ راجعا
ولا لليالينا بتعشار مطلبا

ويوم فـــراض الوشم أذريت عبرة
كما صبغ السلك الفريد المثقبا[1]

تعزّيت عنها :

وقولا إذا عـدّت ذنوبـاً كـثيرة
علينا تجناها : ذَرِيْ ما تغيّبا
هبيني امرءا اما بَرِيْئًا ظلمته
وإمّا مسيئاً تاب بعد وأعتبا
فلما أبت لا تقبل العذر وارتمى
بها كذب الواشين، شأوا مغرّبا
تعزيت عنها بالسّلو ولم أكن
لمن ضنّ عني بالمودّة، أقربا
وكنت كذي داء، تبغى لدائه
طبيباً فلما لم يجده، تطبّبا[2]

قل للبوادر :

(عندما أرادت بنو قشير ان تنضم الى بني عقيل ، فتكون لعقيل الرئاسة عليهم ، والبوادر بنو بادرة بنت حارثة بن عبس بن رفاعة من سليم ، وهي أم عبدالله وعامر وقرط وجوز ومعاوية بنو سلمة بن قشير) .

قل للبوادر، والأحلاف مالكم
أمر، اذا كان شوْرَى أمركم شعبا
لا تنشبوا في جناح القوم ريشكم
فيجعلوكم ذنابَى، تنبت الزّغبا

---

(١) معجم البلدان . (تعشار) ، وقال : تروى قوافي هذين البيتين على لغتين ، الأولى : مطمعاً ـــ والثانية : موضعا . وهي قصيدة .
(٢) ابن خلكان .

لا عـيب فيّ لـكـم إلا مـعـاتـبتي
إذا تـعـتّبت من أخلاقـكـم عـتـبـا

أقـول لثـور وهـو يحلـق لُمَّتي :

(حينما حلق أخوه ثور لمته تأديبا له)

أقول لـــــــــــثور، وهو يحلق لمتي
بججـنـــاء ، مـردود عـليهـا نصـابها
تـرفق بها ، يـا ثور، لـيس ثوابها
بهذا ، ولـــكـن غير هـــذا ثوابها
إلا ربّما — يا ثور — قد غلّ وسطها
أنـامـل رخصـات ، حـديث خضابها
وتسـلك بمـدرى الـعـاج في مـدلّهـمـة
إذا لم تـفـرّج ، مات غـمّا ، صوابها
فـــراح بها ثور، تـــرفّ كـــأنها
سلاســل درع ، خـبؤهـا وانسـكـابها
مـنـعّـمـة ، كـالشّريـة الفرد، جادهـا
نجاء الـثّـريّـا ، هـطـلـهـا ، وذهـابها
فـأصـبح رأسي كـالصّـخيرة ، أشرفت
عـليهـا عـقـاب ، ثم طـار عـقـابها[1]

وابيض ماضي الهمّ :—

قال الهجريّ : وانشدني أبو ثعلب ، ليزيد بن الطثرية :

(١) «أسماء المغتالين — في نوادر المخطوطات — ٢٤٧» .
(٢) الأغاني (١١٥/٧) والحماسة البصرية (٣٨٢/٢) .
(٣) الأغاني (١١١/٧) «والحماسة البصرية» ٣٨٢/٢) .

يـقـول خـليلي بِـاللِّوَى من حـفـارة[1]
وقـد قـفّ تـارات من الخوف جانـبه
حـذار الـرّدى ، والـقـلـب يـعـلـم أنـه
أخـو ثـقـة ان عـايـن (... ...)
ألـيس حامي لا محالـة أنـه
إذا جـاء ساقـتـي إلـيـه جوالـبـه ؟!
وأبيض ، ماضي الهمّ ، منقبض الحشا
كريم النشا ، يغنى به من يصاحبه
أخو ثـقـة ، لم يـعـط ثَـدْيُ ولـيـدة
كـنصـل اليماني ، لم تـفـلّـل مضـاربه
كـأنّ على أعـطـافـه لـون مـذّهـب
إذا خـلـق (الـ ...) أودت ذعـالـبـه
(طردت) الكرى عنه بذكريك بعدما
أطـال سرى لـيـل ، وذلت ركـائـبـه
فـقـام كـسـكـران بـه عـقـب سـكـرة
وبـرده مجرور من الـنّوم جـانـبـه
إلى سـلس رسـل ، سـفـيـه زمـامـه
أنـاف لأعلى موضـع الـرّحـل غـاريـة
وقـت إلى أعـواد حـرف كـأنّما
تـرى بـأقـاصي الـبـيـد غما تـنـاهـبه
(...) تَـأَبَـى أن يمرّ انـزهـاقـهـا
عـلـيـه ، فـيـأبـى أن يـفـرّط ثـائـبـه

(*) مجلة العرب — ص ١٠٤٦ ج : (١١ م : (١) .
(١) حفارة : ماء دون العقيق (من الأصل) .

(... ... ...) لــــــبــــــلــــــدة
ومـــرّت تضـــاغي بـالـعشيّ ثـعـالـبـه

لـــنـدرك وصلا ، بـان مـنك لـنـيّـة
ولا خير في وَصْـــلٍ يماديـه طـالـبـه

فـأشـهـد عـنـد الله أن قـد سبيتني
بـــأبـــيض (... ... ب) أشــانـبـه

كـــأن سلاف الخمـــر بين خلالـــه[1]
(...) ولـــمّـــا يمزج الخمـر شـاربـه

واسود مـــيّــاد ، على جـيـد عوهج
جـعـاد الـنواحي ، غير زعـر ذوائـبـه

ورخص بـه الحنّـاء لم يـعـد أن جلا
أكـمّـتـه بـعـد الـتـثـبّت خـاضبـه[2]

حـين رابنـي :

(في عصام ، غلام له حين قتله)

جـــعـلت عصـــامـــاً عبرة ، حين رابني
أنـــاسي من أهلي ، مـــراض قـلوبها[3]

ردّي فـؤادي :

(في صويحبته ذات السبعة)

ألا بِأبِـي ، من قـد برى الجسم حبُّهُ
ومن هـو مـوموق اليّ حـــــبـــــيـب

تنبيه : مكان النقط كلمات غير واضحة في الأصل لقدم الخط ، وانطماس كثير من كلماته .

(١) بفتح الخاء (الأصل) .

(٢) كتاب التعليقات والنوادر (القطعة الهندية ص ١٦٦/١٦٨) .

(٣) «الأغاني : ١١١/٧» .

ومن هو لا يزداد إلاّ تشوقاً
وليس يرى إلاّ عليه رقيب
واني، وان أحموا عليّ كلامها
وحالت أعاد دونها — وحروب
لمثن على ليلى، ثناء يزيدها
قواف بأفواه الروّاة. تطيب
أليلى: احذرى نقض القوى، لا يزل لنا
على النّأى، والهجران، منك نصيب
وكوني على الواشين، لدّاء، شغبة
كما أَنَا للواشي، ألدّ شغوب
فإن خفت ألا تحكمي مرة القوى
فردي فؤادي، والمزار قريب[1]

أحبّك :

(كتب الى وحشية) :

أحبّك — أطراف النهار — بشاشة
وبالليل، يدعوني الهوى، فأجيب
لئن أصبحت ريح المودّة بيننا
شمالاً، لَقِدْماً كنت وهي جنوب

فأجابته :

أحبّك، حب اليأس، إن نفع الحيا
وان لم يكن لي من هواك طبيب

---

(١) الأغاني (١١٤/٧) وطبقات فحول الشعراء لابن سلام (٥٨٩) وابن خلكان (ترجمة يزيد).

فإن شئت يا ميّاد :

(يتوعّد ميّاداً الجرميّ)

فـإن شـئت يـا مـيـاد زرنـا وزرتم
ولم تـنـفس الـدنيا على من يصيبها
أيــذهب مــيّــاد بــألــبــاب نسوتي
ونسوة مــيّــاد، صَــحِـيْحٌ قـلوبها[2]

أتبكـي :

يقول — بصحراء (الضّبيب) — ابن بوزل
وللعين — من فرط الصبابة — نازح :
أتــبـكي على من لا تـدانـيك داره
ومن شـعبه عنك العشيّة نـازح[3] ؟

فلمـا قضينا من مِنَى :

فـلما قضـيـنـا من مـنى كل حاجة
ومسح بــالأركــان من هو مــاسح
أخـذنـا بـأطـراف الأحـاديث بـيـنـنـا
وسـالت بـأعـنـاق المطى الأبـاطح[4]
وشــدت على حــدب المطـايـا رحـالها
ولم يـنـظـر الـغـادي الـذي هـو رائح

---

(١) الأغاني : (٧/٧١٠).
(٢) الأغاني : (١٠٦/٧)،
(٣) معجم البلدان : (الضبيب).
(٤) معاهد التنصيص : ٢ و١٣٤ (قيل الأبيات لابن الطثرية).

فقلت لصاحبي :

فـــقـــلـت لصـــاحبي لا تحبســـنّـــا
بـــنـــزع أصـولـه ، واجـتـز شـيـحـاً[٢]

قائله هو يزيد بن الطثرية ـــ كذا قاله الجوهري ـــ وقال ابن بري هو لمضرس بن ربعي الأسدي ، وقبله :

وفـــتـــيـــان شويت لهم شواء
سريـع الشّيّ كـنـت بـه نجيـحـاً
فـطـــرت بمنصلي ، في يـــعـــملات
دوامي الأيـــد ، يخبـطـن السّــريحا[٢]

تغنت حمامــة :

أما وصف الحمام من الشعراء المتقدمين والمحدثين فكثير جداً إلا أن هذا المعنى الذي ذكرناه قليل فيه ، ونحن نختار منه شيئاً ، فمن ذلك قول بن الطثرية[٣] :

تـذكـرت لـيلى ان تـغـنـت حمامـة
وأنّى بـلـيلى والـفـؤاد قـريح
يمانـيـة أمست بـنـجـران دارهـا
وأنت عـــراقيّ هواك نـــزوح
ومن دون لـــيلى سَـبْسَب متماحـــل
يجيب صـداه الْبُـوْمُ حين يصـيح
يـظـلّ بـه سرب الـقـطـا مـتـحـيّـراً
إذا مـاج بَـحْـرُ الآل وهو يـلـوح

---

(٢) المقاصد النحوية (٤ و ٥٩١) من شواهد الشافية على هامش الخزانة .
(٣) كتاب الأشباه والنظائر للخالديين ج٣ ص ٣١٦ .

تجوب من البيداء كدراء جونة
سماويّة عجلى النّجاء طموح
تبادر جونا تنسج الريح متنه
له حبب في جانبيه يسيح
عليه دفاق في الغُديّات وارد
وآخر في برد العشيّ يروح
فعبّت وعبّ السرب حتى إذا ارتوت
ذكرن فراخا دونهن طروح
ملأن أداوى لم يشنهنّ خارز
بسير ولا يلفى بهنّ جروح
فطرن يبادرن الضياء تقدّمت
عليهنّ مغلاة النجاء طموح
الى ابن ثلاث بالفلاة كأنما
بجنبيه من لفح السّموم جروح
فظلّت تسقّيّه نطاف اداوة
له غبقة من فضلها وصبوح[1]

صبا نجد :

الا يا صبا نجد ، لقد هجت من نجد
فهيّج لي مسراك وجدا على وجدي
أَأَأهل من البين المفرّق من بدّ
وهل لليال قد تسلّفن من ردّ
وهل مثل أيامي بنعف سويقة
رواجع أيّام كما كنّ بالسّعد

(١) «كتاب الأشباه والنظائر ٣١٦/٢ .

وهـل أخـواي الـيـوم ان قلت عـرّجـا

على الأثـل ، مـن ودّان والمشرب الورد

مـقيمان ، حـتـى يـقضيـا لي لـبـانـة

فـيسـتـوجـبـا أجري ، ويستكملا حـمـدي

والا فــروحــا ، والسلام عــلــيكـمـا

فما لكـمــا غــيـيّ ومــالكـمـا رشــدي

ومـا بيـديّ اليوم من حَبْلِي الذي

انــازع من ارخـائـه ، لا ولا شـدّي

ولـكن بـكـفّي أمّ عـمرو، فـليتها

إذا ولـيـت رهـنـا تلي الرّهن بالـقصد

ويا لـيت شعري ما الذي تحدثنّ لي

نوى غـربـة ، بـعـد المشـقّة والبـعـد

نوى أمّ عـمرو ، حيث تغترب النّوى

بها ، ثم يخلو الكاشحون بها بعدي

أتصرم لِلأَئِـي الـذين هـم الـعـدا

لتشمتهم بـي ، أم تـدوم على الـودّ؟

وظني بها — والله — ان لن يضيرني

وشـــاة لـــديها ، لا يضيرونها عــنــدي

وقـــد زعـــموا أن المحب اذا دنـــا

يملّ ، وان الـنـأي يشفي من الوجـد

بـكـلّ تـداوينـا ، فلم يشف ما بنـا

على أن قـرب الـدار خير من البعـد

هـواي بهذا الــغـور غور تهامـــة

ولـيس بهذا الجلس من مستوى نجد

فـوالله ربّ الــعــرش ، لا تجديـــني

تـطـلـبت قـطـع الحبل ، منك على عمد

ولا أشتري أمراً يكون قطيعة
لما بيننا، حتى أغيّب في لحدي
فمن حبّها أحببت من ليس عنده
يد، بيد تجزى، ولا منّة عندي
ألا رُبّمَا أَهْدَى لي الشّوق والجوى
على النأى منها، ذكرة قلما تجدي[1]

وزاد صاحب الأغاني :

بكيت — كما يبكي الحزين — صبابة
وذبت من الحزن المبرّح والجهد
أأن هتفت ورقاء في رونق الضّحى
على غصن غضّ النّبات من الرنّد
وقد زعموا أنّ المحبّ اذا نأى
يملّ، وأنّ النّأْي يشفي من الوجد
بكلّ تداوينا، فلم يشف ما بنا
على أنّ قرب الدّار خير من البعد[2]

يجيب بـ(لبيّه) !

وأبيض، مثل السّيف، خادم رفقة
أشمّ، ترى سرباله قد تقدّدا

---

(١) الأمالي ذيل الأمالي والنوادر (١٠٣) وقال : وفي هذه القصيدة بيتان ذكر الرباشي أنهما لجميل بن معمر وأنكر البكري في «التنبيه (٦٠) أن يكون ليزيد، وقال : إنما هو للعباس بن قطن الهلالي . ولم يقع هذا الشعر في ديوان ابن الطثرية، وقد جمعت منه كل رواية، رواية أبي حاتم عن الأصمعي ورواية الطوسي عن بن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني) .

(٢) الأغاني : (٣٦/٥) .

كـــريم على غـــرّاتـــه ، لـو تسـبّــه
لــفــدّاك ، رسلا لا تـــراه مــربّــدا
تـــعـــجــل لـــلـــقوم الشّواء ، يجره
بـأقصى عصـاه ، مـنضجاً أو مرمّدا
حلوف : لقد انضجت ، وهو ملهوج
بـنصـفين ، لو حـرّكـتـه لـتـفصـدا
يجيب بـ(لـبـيّـه) اذا مـا دعوتـه
ويحسب ما يدعى له — الدّهر — أرشدا[1]

أمـر هـوى يقـود نـدامـة :

... أحسـبني مـطـيـقـاً صرمـهـا
جـلـدا ، فـكـلـفني الـبـعـادصـعودا
... بـــعـــد بـــعـــادة بـــاعـــدتها
لا آخـــذا نصـــفـــاً ولا محمودا
رب المعـــارج ان قضـيت فـراقـهـا
فـاجـعـل يـزيـد على الفراق جليدا
فـلـربّ أمـر هوى يـقـود نـدامـة
وطـريق مـكـرهـة يـعـود رشـيـدا[2]

أمسى الشباب مـودعـا :

أمسى الشـــبـــاب مودّعـــا محمودا
والشـيـب مؤتــلـف المحلّ جـــديـــدا
وتــغـيّـر الـبـيض الـكـواعب بـعـدمـا
حـــمّـــلتهن مواثـــقـــا وعـــهـــودا

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة .
(٢) أمالي اليزيدي (١٤٦) وأول البيتين مطموس في الأصل .

يـرعين عـهـدك في الـرّضـا، ويصـنّه
فـــإذا غضبن حســبتهنّ حـــديـــدا
يـــاذا المعـــارج ان قضـيت فـراقــهـا
فـاجـعـل يـزيـد على الفراق جليدا
عـهـدي بها زمن الجمـيـع بـ(رامـة)
شـــنـبـاء، طـيّـبـة الـلـثـام، بـرودا
يشفي الضَّـجيع من الصّداع نسيمـهـا
وهـــنـا، اذا لحف الـوسـاد خـدودا[1]

يـا عقب..!

(لعقبة بن شريك أمير العقيق وهو صاحب ابن الكميت، وقد أبرأه من الدين، بعد أن هرب من حبسه).

يا عقب، قد شذب اللّحاء عن العصا
عــــنّي، وكـــــنت مؤزرا محمودا
صـــل لي جـــنــاحي، واتخذني عــدّة
تـــرمي بِـي المتـعـاشي الصّـنـديـدا

وأوّلهـا:

أمسى الشباب مودّعا محمودا

ومنها:

ومـدلـةّ، عـنـد الـتـبـذّل يـفترى
منهـــا الوشـــاح مخصّــرا أمـــلـودا
نـــازعتهـــا غنم الصّــبـا، ان الصّــبـا
قـــد كـــان مني لـــلـكـواعب عـيـدا

---

(١) حماسة ابن الشجرى (١٥٩).

يا للرّجال! وانما يشكو الفتى
مرّ الحوادث، أو يكون جليدا
بكرت نوار، تَجُذُّ باقية القوى
يوم الفراق، وتخلف الموعودا
ولربّ أمر هوّى يكون ندامة
وسبيل مكرهة، يكون رشيدا

ثم قال يفتخر:

لا أتقي حسك الظغائن بالرقَى
فعل الذّليل، وان بقيت وحيدا
لكن أجرّد للظغائن مثلها
حتّى تموت، وللحقود حقودا[1]
واذا الظلام تعرّضت أهواله
وكسا العجاج يلامقا وبرودا
كلّفته قلصا ترى بدفوفها
ماء الهواجر، ذائبا معقودا
يرفلن فيه، كأنما اعناقها
بيض سلبن حمائلا وغمودا[2]

يَوْمَ صَحْرَاء مِذْوَدٍ:

ألا هل أتى ليلى — على نأى دارها —
بأن لم أقاتل يوم صحراء (مذودا)؟
وأنّي أسلمت الرّكاب، فعقرت
وقد كنت مقداما بسيفي مفردا

(١) الأغاني (١١١/٧).
(٢) حماسة ابن الشجرى (١٩٩).

أسرت ، فلم أسطع قتالا ، ولا ترى
أخا شيعة يوما ، كآخر أوحدا
فهل تصرمنّ الغانيات مودّتي
إذا قيل : قد هاب المنون ، فعرّدا[1]

قضيت الغواني .. !

سقى دمنتين ليس لي بهما عهد
بحيث التقى الدّارات والجرع الكبد
فيا ربوة الربّعين حييّت ربوة
على النّأي منا ، واستهل بك الرّعد
قضيت الغواني ، غير أنّ مودّة
لذلفاء ما قضّيت آخرها بعد
فرى نائبات الدّهر بيني وبينها
وصرف الليالي مثل ما فُرِيَ البرد
فإن تدعي نجداً ندعه ومن به
وان تسكني نجدا فيا حبذا نجد
وان كان يوم الوعد أدنى لقائنا
فلا تعذليني أن أقول : متى العهد ؟
اذا ورد المسواك ريّان بالضحى
عوارض منها ظلّ يخصره البرد
وألين — من مس الرّحى — بات يلتقي
بمارنه الجاديّ والعنبر الورد[2]

---

(١) الأغاني (١١١/٧) .
(٢) كتاب الأشباه والنظائر للخالديين ج٢ ص ١٨٥ .

ألا قاتـل الله الهـوى !

ألا قـــاتـــل الله الهوى مـــا أشـــده
وأصرعـــه لِـــلْـــمَـــرْءِ وهـو جـلـــيـد
فـــقـــل لـــلـــهوى لا يـألوني جـهـده
فـلـيس على مـا قـد وجـدت مزيد
دعـــاني الهوى من نحوهـــا فـــأجـبـتـه
فـأصــبح بـي يسـتـنّ حيث يـريـد[1]

يـوم كظـل الرمـح :

ويوم كـــظـــلّ الـــرمّح ، قصر طـولـــه
دم الزّقّ ، عـنّـا ، واصـطـفـاق المزاهر[2]

أدمت لـك الهـوى

ألهف أبـي ، لما أدمت لك الهوى
وأصـــفـيـتـك الْوُدَّ الـذي هـو ظـاهـر
وجاهرت فيك الناس ، حتى أضرّ بي
مجاهـــرتي الـــقـوم الـــذين أُجـــاهـــر
وانت كـفـيء الـغـصـن بـيـنـا يـظلّني
ويـــعـــجـبني ، اذ زعـزعـتـه الأعـاصِـرُ
فصـــار لـــغيري ظـــلّـــه ، وهـواؤه ،
ودارت بجـسـمي بـعـد ذاك الهواجر[3]

---

(١) كتاب الأشباه والنظائر للخالديين ج٢ ص ١٦٨ .

(٢) قال في الحماسة البصرية (٢/٤٨٤) : نسبة الجاحظ إلى يزيد بن الطثرية . (الحيوان ١٧٩/٦ — وثمار القلوب ٥٠٢) .

(٣) الحماسة البصرية (١٨١/٢) .

عذبوا بالنار .. !

(في وحشية)

يا سخنة العين للجرميّ، اذ جمعت
بيني وبين نوار وحشة الدار[1]
خبّرتهم، عذّبوا بالنّار جارتهم
ومن يُعَذِّبُ — غير الله — بالنار؟

على قطريّ :

(في صديقة قطريّ بن بوزل)

على قطريّ نعمة إن جزى بها
يزيد، والا يجزه الله لي أجرا
دنوت به، حتّى رأى الوحش بعدما
رأى قطريّ من أوائلها نفرا[2]

ورواهما الهجريُّ في النوادر قائلاً :

يقول لابن عمه، وكان الملاح يشردن عنه لسماجته، ويألفن يزيد :

على قطريّ نعمة ان جزى بها يزيد، وإلا خطّها الله لي أجرا
ثنيت عليه شردّ الوحش بعدما رأى قطريّ من جوانبها ذعرا

وقال : وأنشدني أبو الميمون القشيري، ليزيد بن الطثرية :

فلما رأيت المالكيين كلهم إليّ يراعي طرفه، ويحاذره
تجنّبت أتي المالكين وانطوى إلي جناحي الذي أنا ناشره

---

(١) الأغاني (١١٢/٧).
ورواية (الفاخر) للمفضل بن سلمة (ص ٦ الطبعة الأوربية) :
يا سخنة العين للجرمي، أنّ جمعت بيني وبين هوى وحشيّة الدار
(٢) الأغاني (١١٣/٧).

ان تجرموني وتغضبوا :

(في اخواله بني طثر)

ألا بئسما ان تجرموني ، وتغضبوا
عليّ اذا عاتبتكم ، يا بني طثر[1]

من عيور القهر :

(يهجو فديكا الجرميّ)

أنعت عيرا من عيور (القهر)
أقمر ، من شر حمير قمر
صبّح أبيات فديك يجري
منزلة اللؤم ، ودار الغدر[2]
فلقيته عند باب العقر(؟)
ينشطها ، والدرع عند الصّدر
نشطك بالدّلو ، قراح الحفر

البيت الذي أنا هاجره :

ألا حبّذا البيت الذي أنا هاجره
وانّي بتلماح من الطرف ناظره
لهنّك من بيت اليّ لمونق
وآنق في عيني من البيت عامره
أصدّ حياءً أن يلجّ بي الهوى
وأنت المنى ، لولا عدو أحاذره
وفيك حبيب النفس لو نستطيعه
لمات الهوى ، والشوق حين نجاوره

---

(١) الأغاني (١٠٥/٧) .
(٢) الأغاني (١١٢/٧) .

فـإن يـكـن الاعـداء أحـمـوا كلامـه
علـيـنـا ، فـلـمّـا تحم عنّا مـنـاظـره
أتهجـر بـيـتـا في الحجـاز تـلـعّـبـت
بـه الحرب والأعـداء ، أم أنْت زائـره
فـإن آتـه لا أنج إلا بـظـنّـة
وان يـأتـه غيري تـنـط بِـي جـرائـره
ومسـتـخبر عنهـا ، لـيـعـلـم مـا الـذي
لها في فؤادي ، ودّ أني أحـاوره
تـركت على عـمـيـاء ظنّ ولم أكن
إذا ما وشى الـواشي بـلـيلى أناظره[1]
بـنـفسي من لا بـدّ أنّيَ هـاجـره
ومـن أنـا في الميسور ، والعسر ذاكره
ومن قـد رَمـاهُ الـنـاس بـي فاتقاهم
بـبـغضيَ ، الاّ مـا تجنّ ضمائـره[2]

لا بـأس بالهجـر :

ولا بـأس بـالهجـر الذي ليس عن قلى
اذا شـجـرت عـنـد الحـبـيب شـواجـره
ولـكـنّ مـثـل الموت هـجران ذي الهوى
حـذار الأعـادي والحـبـيب مجاوره[3]

دين البريـري :

(وهو في سجن العقيق)

---

(١) المنازل والديار لأسامة بن منقذ ٢/٢٤٠ (طبعة دمشق) .
(٢) الأغاني : (١١٧/٧) .
(٣) كتاب الأشباه والنظائر للخالديين ج٢ ص ٢٦٩ .

قضى غرمائي حب أسماء بعدما
تجرّدت من مطلّ لهم وغرور
(ويروى : تخوّفني ظلم لهم وفجور)

فلو قلّ دين البربري قضيته
ولكنّ دين البربري كثير

وكنت اذا حلّت عليّ ديونهم
أضمّ جناحي منهم فأطير

عليّ لهم في كل شهر أديّة
ثمانون ، واف نقدها ، وجزور

نحنّ الى ثور ، ففيم رحيلنا
وثور علينا في الحياة صبور

أشدّ على ثور ، وثور إذا رآى
بنا خلّة ، جزل العطاء ، غفور

فذلك دَأْبِي ، ما بقيت وما مشى
لِثَوْرٍ على ظهر البلاد ، بعير[1]

نغير على ثور ، وثور يسرنا
وثور علينا في الحياة صبور

وذلك دأبي ، ما حييت وما مشى
لثور ، على عفر التّراب ، بعير[2]

هَبْهُنَّ ضيفا .. !

(في أخيه ثور)

---

(١) الأغاني (٧/١١٠) .
(٢) الأغاني (٧/١١٥) .

يا ثور، لا تشتمن عرضي فداك أبي
فإنّما الشّتم للقوم العواوير
ما عقر ناب، لأمثال الدّمى، خرد
عين، كرام، وأبكار معاصير
عطفن حولي، يسألن القرى أصلا
وليس يرضين مني بالمعاذير
هبهنّ ضيفاً عراكم بعد هجعتكم
في قطقط، من سواد الليل منشور
وليس قربكم شاء، ولا لبنا
أيرحل الضّيف عنكم غير مجبور
ما خير واردة للماء، صادرة
لا تنجلي عن عقير الرجل منحور

إذا أرسلوني :

إذا أرسلوني عند تعذير حاجة
أمارس فيها، كنت نعم الممارس[1]

ألا رب راج حاجة :

ألا ربّ راج حاجة لا ينالها.
وآخر، قد تقضى له، وهو جالس
يروح لها هذا، وتقضى لغيره
فتأتي الذي تقضى له وهو آيس[2]

---

(١) الأغاني (١١٤/٧). (٣٤/٤) المقاصد النحوية على هامش الخزانة.
(٢) معجم الأدباء (٢٠ و ٤٩).

في وصف الثريّا :

اذا ما الثريا في السماء كأنها
جمان وهي من سلكه فتسرّعا[1]

دار بالرّقاشين :

أمن أجل دار بالرقاشين أعصفت
عليها رياح الصيف ، بدءا ورجّعا[2]

أجد جفون العين ، في بطن دمنة
بذي (العطف) همّت أن تجمّ فتدمعا

قفا ودّعا (نجدا) ومن حلّ بالحمى
وقلّ لنجد عندنا ان تودّعا

سأثني على (نجد) بما هو أهله
فيا راكبي (نجد) إذا قلت : اسمعا[3]

قفا ودّعا نجدا :

وأورد ابن خلكان من شعره قصيدة مطلعها — عنده :

حننت الى ريّا ، ونفسك باعدت
مزارك من ريّا ، وشعبا كما معا

وقال : ان أبا تمام نسبها في « الحماسة » للصمة بن عبدالله القشيري ، والله أعلم بالصواب . اهـ والقصيدة مشهورة ، وقد نشرها العلامة الميمني كاملة في « الطرائف » منسوبة الى الصّمة ، وهي التي يقول فيها :

---

(١) رواها صاحب الخزانة : وهي من سلكه فتبدّدا (٤١٧/٤) . وهوكذلك في حماسة ابن الشجري (٢١٤) ، وفي المصون لأبي أحمد العسكري (٢٧) ، وديوان المعاني (٤٣٠/١) ، ومحاضرات الراغب (٤٢/٢) ، الأزمنة والأمكنة (٣٤/٢) ، الأغاني (١٥٩/١٥) ، معاهد التنصيص (٢٨/٢) ، والرواية في الأخيرين : فتسرّعا .

(٢) معجم ما استعجم : (الرقاشين) وانظر حرف الباء (مطلبا) .

(٣) معجم البلدان : (العطف) .

قفا ودّعا نجدا، ومن حلّ بالحمى
وقلّ لنجد عندنا أن تودّعا
بنفسي تلك الأرض، ما أطيّب الربّا!
وما أحسن المصطاف، والمتّربعا!

وتقدمت في شعر الصِّمَّةِ القُشَيْرِيِّ

ان لم يحفظ الله!

بنفسي من لا يستقل بنفسه
ومن هو، إن لم يحفظ الله ضائع[1]

استحيي من الله!

واني لأستحيي من الله أن أرى
رديفاً لوصل، أو علي رديف
وان أرد الماء الموطَّأَ حسيه
واتبع وصلا منك وهو ضعيف

ويروى:

وانيّ للماء المخالط للقذى
وان كثرت ورّاده لعيوف[2]

ستبرأ: —

(في وحشية، عشيقة يزيد الجرميّة).

قال فديك الجرمي:

---

(١) كتاب النوادر (١١٦٣) للقالي.

(٢) ابن خلكان.

شفى النَّفْسَ من وحشيّة اليوم انها
تهادى ، وقد كانت سريعاً عنيقها
فَإلاّ تدع خبط الموارد في الدّجى
تكن قمنا من غشية لا تفيقها
دواء طبيب ، كان يعلم أنّه
يداوي المجانين ، المخلّى طريقها

فأجابه يزيد : —

ستبرأ من بعد الزّمانة رجلها
وتأتي الذي تهوى ، مخلّى طريقها
عليّ هدايا البدن ، ان لم ألاقها
وان لم يكن الا فديك يسوقها
يحصّنها منّي فديك ، سفاهة
وقد ذهبت فيها الكباس وحوقها
تذيقونها شيئاً من النّار كلّما
رأت من بني كعب غلاماً يروقها[1]

خلا الفيض :

خلا (الفيض)مِمَّنْ حلّه ، (فالخمائل)
فـ(دحلة) ذي الأرطى فـ(قرن الهوامل)
وقد كان محتلاً ، وفي العيش غرّة
لأسماء مفضى ذي (سليل) و(عاقل)
فأصبح منها ذاك قفرا ، وسامحت
لك النفس ، فانظر ما الذي أنت فاعل

وزاد البكري : — قبل الأخير : —

(١) الأغاني : ١١٢/٧ .

وأنّى اهتدت أسماء، والنّعف دونها
لركب بأعلى ذي (سلامان) نازل[1]
خليليّ بين المنحنى من (مخمرّ)
وبين الحمى من (عرفجاء) المقابل
قفا بين اعناق الهوى لِمُرَيَّةٍ
جنوب، تداوى غلّ سوق مماطل
لكيما أرى أسماء، أو لتمسّني
رياح بريّاها، لذاذ الشمائل
لقد جادلت أسماء، دونك باللوى
خصوم العدى، سقيا لها من مجادل
ودسّت رسولاً: أن حولي عصابة
هم الحوب، فاستبطن سلاح المقاتل
عشيّة مالي من نصير بأرضها
سوى السّيف، ضمّته اليّ حمائلي
فيا أيها الواشون بالغش بيننا
فرادى ومثنى، من عدوّ وعاذل
دعوهن يتبعن الهوى، وتبادلوا
بنا، ليس بأس بيننا بالتبادل
تروا — حين نَأْتِيْهنَّ نحن وأنتم —
لمن، وعلى من، وطأة المتثاقل
ومن عرّيت للهوّ، قدما ركابه
وشاعت قوافي شعره في القبائل
تبرز وجوه السابقين، وتختلط
على المقرف الكابي غبار القنابل

---

(١) معجم البلدان: (دحلة) وفي البكري الشطر الأول: (الفيض) والبيت الثاني (سلامان وسليل) وبعده:
وأني أهدت اسماء والنعف دونها لركب بأعلى ذي سلامان نازل

فلن تمنعوا أسماء، أويك نفعها
لكم، أو تدبّوا بيننا بالغوائل

فإن تمنعوني، أن أعلل صحبتي
على كل شر من مدى العين قابل[1]

ابن الكميت :

(يصف ابن الكميت، فحلا من الإبل)

لعمري — أنّ ابن الكميت على الوجا
وسيري خمسا بعد خمس مكمل

لطلق الهوادي، بالوجيف، إذا ونى
ذوات البقايا، والعتيق الهمرجل[2]

لو انك شاهدت الصبا :

لو أنك شاهدت الصبا يا ابن بوزل
بجزع الغضا، اذ راجعتني غياطله[3]

بأسفل (خلّ الملح) اذ دين ذي الهوى
مؤدّى، واذ خير الوصال أوائله

لشاهدت يوماً، بعد شحط من النّوى
وبعد تنائي الدّار — حلوا شمائله

ألا حبّذا عيناك، يا أم شنبل
اذا الكحل في جفنيها جال جائله

فداك من الخلاّن كلّ ممزج
تكون لأدنى من يلاقي، وسائله

(١) الأغاني : (١٠٩/٧— ومعجم البلدان ثلاثة منها (عرفجاء) و(مخمر) وفي البكري : البيت الأول في (عرفجاء ومخمر).
(٢) الأغاني (١١٠/٧).
(٣) الأغاني (معجم الأدباء (٤٨/٢٠) والثلاثة الأولى في (معجم البلدان : خل الملح) خل الملح : برملة حائل.

فـرحــبـا تـلـقّـانـا بـه أم شـنـبـل
ضـحـيّـاً ، وأبـكـتـنـا عشياً أصائله
وكـــنـت كـــأني حين كـــان كلامــهــا
وداعا ، وخلّي موثق العهد حامله
رهــيـنـا بـنـفس ، لم تـفك كـبولـه
عن السّاق ، حتى جرّد الساق قاتله
فـقـال : دعوني ، سجدتين ، وأرعدت
حــذار الـرّدى احشـاؤه ، ومـفـاصـلـه
ويومـا كَـإِبْـهَـامِ الـقـطـاة ، مـزيـنـا
لـعـيني ضحاه ، عاليا لي باطله[1]
بــنـفسي من لـو مــرّ بـرد بـنـانـه
على كـبـدي ، كـانت شـفـاء أنـامله
ومن هـابني في كـل أمـر ، وهـبـتـه
فلا هـو يعـطيني ، ولا أنا سائله[2]

عقيلية :

عــقــيــلــيــة ، أمــا ملاث ازارهــا
فــدعص ، وأمــا خصرهــا فــبــتــيـل
تـقـيّـظ أكـنـاف الحمي ويـظـلّـهـا
بــنـعمان[3] من وادي الاراك مـقـيـل
ألــيس قــلــيلاً نــظـرة ان نــظـرتها
الــيك ، وكلا لـيس مــنك قــلـيـل

(١) الأغاني .
(٢) الأغاني الشعر والشعراء ، ابن خلكان .
(٣) الرواية الجيدة (بتثليث) .

فيا خلّة النّفس التي ليس دونها
لنا من أخلاّء الصفاء خليل
ويامن كتمنا حبّه لم يطع به
عدو، ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام اشتكي غربة النوى
وخوف العدى فيه اليك سبيل؟
فديتك أعدائي كثير، وشقّتي
بعيد، وأشياعي لديك قليل
وكنت اذا ما جئت، جئت بعلّة
فَأَفْنَيْتُ علاّتي، فكيف أقول؟
فما كلّ يوم لي بأرضك حاجة
ولا كل يوم لي اليك رسول
صحائف عندي للعتاب طويتها
ستنشر يوماً، والعتاب طويل
فلا تحملي ذنبي، وانت ضعيفةٌ
فحمل دمي يوم الحساب ثقيل[1]

عزّيت نفساً..!

عزّيت نفسا عن هواك كريمة
على ما بها من لوعة وغليل
بكت ما بكت من شجوها ثم راجعت
لعرفان هجر من نواك طويل[2]

---

(١) الأمالي (١/١٩٤) معجم الأدباء (٢٠/٤٧) والحماسة البصرية (٢/٢٠٤).
(٢) كتاب الأشباه والنظائر للخالديين ج٢ ص ١٣٢.

وفي نوادر الهجريّ أيضاً (م : ٨٠) :

أما والي الواشي[1] ، وان طاوعتهم نوار ، وسدّت بيننا بذحول
لقد مرّ أيّامٌ ، ولوشحط النّوى بفرط المنى ، أعولت كلّ عويل
نهانا فلما بنت أبغضت أن أرى ضعيف القوى ، أو تابعا لبديل
وعزيت نفسا عن نوار ، جليدة على ما بها من لوعة ، وغليل
بكت ما بكت شجو البكا ، ثم سامحت لاقرار هجو من نوار ، طويل
أصدّ كما صدّ الرّميّ ، **تطاولت** به عدّة الأيام ، وهو قتيل
واني لداعي الله في ساعة الضّحى عليك ، وداع جنح كلّ أصيل
ومحتضن رُكن اليماني ، ومشتك إلى الجانب الغربي ، صعد عويلي

سلام عليكن ..!

سلام عليكن الغداة ، فما لنا اليكنّ — إلا أن تشأن — سبيل

ذَوُو اللِّمَم الطِّوَال :

جاء في كتاب «من نسب إلى أمه من الشعراء» لمحمد بن حبيب : ابن الطثرية ، وهو ابن عبيد بن عمرو بن الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وهو الذي يقول :

ألا عتبت عليّ ، وصرّمتني وأعجبها ذوو اللّمم الطوال
فإني — يا ابنة السّعديّ — أُرَبِيْ على فعل الوضيّ من الرجال[3]

---

(١) التعليقات والنوادر (م: ٤٢) .
(٢) الكلمة غير واضحة .
(٣) «نوادر المخطوطات المجموعة الأولى ص ٨٩» .

إذا نحن جئنا لم نجمّل :

إذا نحن جئنا لم نجمّل بزينة
حذار الأعادي ، وهي باد جمالها
ولا نبتديها بالسلام ، ولم نقل
لها — من توقّي شرّهم — : كيف حالها[1]

أنا الهائم الصّبّ . !

أنا الهائم الصّبّ الذي قاده الهوى
اليك ، فأمسى في حبالك مسلما[2]
برته دواعي الحبّ ، حتى تركنه
سقيماً ، ولم يتركن لحما ولا دما

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى :

ألا طرقت ليلى ، فأحزن ذكرها
وكم قد طوانا ذكر ليلى ، فأحزنا
ومن دونها من قلّة (العبر) مجرم
يشبّهه الرائي حصانا موطنا
وهل كنت الا معمداً قاده الهوى
أسر ، فلما قاده السّرّ أعلنا ؟
أعيب التي أهوى ، وأطرى جواريا
يرين لها فضلاً عليهن بيّناً[3]

(١) الأغاني (١٠٨/٧) .
(٢) ابن خلكان — عن المرزباني في الموتق .
(٣) معجم البلدان : «العبر» .

برغمي أطيل الصّدّ عنها اذا بدت
أحاذر أسماعا علينا ، وأعينا
أتاني هواها قبل أن أعرى الهوى
فصادف قلبا خاليا فتمكّنا[1]

هوى دفين !

بأكناف الحجاز هوّى دفين
يؤرقني ، اذا هدت العيون
فَأَبكى حين يهدأ كل خلق
بكاء بين زفرته أنين
وما جاران مؤتلفان إلّا
ستفرق بين جمعهما المنون[2]

سبعة يسعون للوصل :

(في احدى صويحباته)

أرى سبعة ، يسعون للوصل كلهم
له عند ليلى دينةٌ يستدينها
فألقيت سهمي وسطهم حين أوحشوا
فما صار لي من ذاك إلا ثمينها
وكنت عزوف النّفس ، أشنأ أن أرى
على الشرك من ورهاء ، طوع قرينها
فيوماً نراها بالعهود وفيّة ،
ويوما على دين «ابن خاقان» دينها

(١) حماسة ابن الشجرى «١٤٥» — الثلاثة الأخيرة .
(٢) الحماسة البصرية ١٨٢/٢ .

يـدا بـيـد ، من جـاء بـالـعين منهم

ومن لم يجيء بالعين حيزت رهونها[1]

وحـنّت قـلوصي بـعـد هـدء صـبابة

فـيا روعـة ما راع قـلبـي حنينها[2]

فـقـلت لها صبرا فـكـل قـريـنـة

مـفـارقـها — لا بد يوما — قرينها[3]

لا أبـالي .. !

«في ابن بوزل وهو في سجن حجر»

ألا لا أبالي ، ان نجا لي ابن بوزل ثوائي ، وتقييدي بحجر ليـاليا

اذا حـمّ أمـر، فـهو لا بد — واقع

لـه لا أبـالي ، مـا علـيّ ، ولا لـيا

هـو الـعسـل الماذىّ ، طـورا ، وتـارة

هو السّمّ ، والذّيفان ، والليث ، عاديا[4]

كيف العـزاء ؟!

كـيف الـعزاء ، وأنت أومـق من مشى

والـنّـفس مـعولـة ، ودارك نـائـيـه ؟

بـيـديك قـتلى ، ان أردت مـنـيّتي

وشـفـاء نـفسي ، ان أردت شـفـائـيه

ولقد عرفت — فما أويت لمدنف ما النّفس عنك ، وان نأيت ، بساليه[5]

---

(١) الأغاني «١١٤/١٧» .

(٢) الأغاني « ١١٤/١٧ » .

(٣) ابن خلكان — عن المرزباني في الموتق .

(٤) الأغاني « ١١٣/٧» .

(٥) ابن خلكان — عن المرزباني في الموتق .

الشاعر القحيف العقَيْليّ*
طرف من أخباره وشعره

من بني عقيل بن كعب من عامر بن صعصعة من هوازن من قيس عيلان ، نَبَغَ شعراء كثيرون في الجاهلية وفي صدر الإسلام ، ثم في عهد الدولة العباسية .

ومن أولئك الشعراء القحيف بن خمير (بالخاء المعجمة) بن سليم الندى بن عبدالله بن عوف بن حزن بن عَمْرِو بن عقيل . يصفه المرزباني في معجم الشعراء ، بأنه شاعر مفلق . ويقول عنه الأمدي في «المختلف والمؤتلف» :

(شاعر محسن كثير الذّب عن قومه) .

وقد عاش هذا الشاعر في آخر عهد الدولة الأموية .

واشترك في الوقعات التي حدثت بين بني حنيفة وبين قومه سنة ١٢٧ هـ ، وسجل بعض أخبارها في شعره ، وبذلك عرف واشتهر . وكان يقيم في العقيق المعروف الآن باسم وادي الدواسر وقديماً عقيق عقيل ، وعقيق تمرة .

وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني طرفا من أخباره في الأغاني (ج ٢٠) .

وقبل نصف قرن من الزمن ، تصدى المستشرق الكبير الأستاذ فريتس كرنكو (F. Krenkow) الذي أسلم فيما بعد وعرف باسم : سالم الكرنكوي ، والذي خدم الأدب العربي واللغة خدمات جلى بدراساته وتحقيقاته . قام هذا المستشرق بجمع شعر القحيف ونشره في مجلة :

(The Journal the Royal • Asiatic Society, April, 1931) .

بعد أن وضع له مقدمة باللغة الانجليزية عن حياة الشاعر وبعض أخباره ومصادر

(*) مجلة العرب — ص ٤٠٦ — ج : (٥) م : (١) . السنة الأولى .

شعره ثم أورد ذلك الشعر في ٢٣ مقطوعة ، ذكر بعد كل مقطوعة المصدر ، وترجم الشعر فجاءت المقدمة في ٩ صفحات ووقعت المقطوعات في إحدى وعشرين صفحة .

وفات الأستاذ المحقق الجليل رحمه الله بعض شعره في مصادر لم تعرف إلا بعد ذلك الوقت .

ونرى من فائدة المعنيين بدراسة شعرنا الإطلاع على ما نشره الأستاذ كرنكو ، وما استطعنا أن نعرفه مما لم يذكره ، وخاصة أن كثيراً من الباحثين ، قد لا يتسنى له الاطلاع على تلك المجلة ، وها نحن نورد ما ذكره الأستاذ كرنكو من شعره مضافاً إليه ما عثرنا عليه مما لم يذكره وقد تسنح الفرصة لنتبع ذلك بشعر صديق هذا الشاعر يزيد بن الطثريّة .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن هذين الشاعرين عاشا وماتا في بلادهما في العقيق «وادي الدواسر» وأن ما ذكره ابن المرزباني من أن القحيف شاعر كوفي غير صحيح ، كما يرد كثيراً في نسبة شعراء من جزيرة العرب نفسها إلى جهات بعيدة عن مواطنهم كالبصرة والكوفة وبغداد وغيرها من البلاد العربية الأخرى ومنشأ هذا أن رواة أشعارهم يكونون من أهل هذه البلاد ، أو أن بعضهم قد يفد عليها فينسب إلى البلدة التي وفد إليها ، أو عرف شعره من طريق رواتها .

١ — (في يزيد بن الطثريّة)

ألا تبكي سراة بني قشير
على صنديدها ، وعلى فتاها

فَإِنْ يقتل يزيد ، فقد قتلنا
سراتهم الكهول ، على لحاها

أبا المكشوح ! بعدك من يحامي
ومن يزجي المطيّ على وجاها[1]

---

(١) الأغاني ١١٦/٧) و(ك) .

٢ — بنو قشير :

إذا رضيت عليّ بنو قشير
لعمر الله ، أعجبني رضاها
ولا تنبو سيوف بني قشير
ولا تمضي الأسنّة في صفاها[1]

٣ — «يمدح حكيم بن المسيب القشيري»

تنضّيت القلاص إلى حكيم
خوارج من تبالة ، أو مناها
فما رجعت بخائبة ركاب
حكيم بن المسيّب منتهاها[2]

٤ — في بني حنيفة :

أتنسون يا خزّان طخفة نسوة
تركن سبايا ، بين فيشان والنّقب[3]

٥ — بنو عُقَيْل :

لقد منع الفرائض عن عقيل
بطعن تحت ألوية وضرب
يرى منه المصدّق يوم وافى
اضرّ على معاشره بصلب[4]

---

(١) خزانة الأدب وحماسة ابن الشجري (٢٦٩) شرح شواهد الشافية ٢٨٢/٣ شرح شواهد المغني ٤١٦/١ (٢٥٧/٤) و(ك) .

(٢) خزانة الأدب «٤٢٧/٤» و(ك) .

(٣) معجم البلدان «فيشان» و «ك» .

(٤) الأغاني «٢٠ — ١٤٢» و «ك» .

٦ ــ بنو عامر :

لعمري ، لقد أمست حنيفة أيقنت
بأن ليس إلا بالرّماح عتابها

فخلّوا طريق الحرب ، لا تعرضوا لها
إذا مضر الحمراء عبّ عبابها

ومن ذا الذي لا يحتوي حرب عامر
إذا ما تلاقت كعبها وكلابها

لعمري لقد ضاقت دمشق بأهلها
غداة رأوا قيساً ترفّ عقابها

٧ ــ رعى الله الأوانس :

خليليّ ما صبري على الزفرات
وما طاقتي بالهمّ والعبرات[1]

سقى ، ورعى الله الأوانس ، كالدّمى
إذا قمن جنح الليل مبتهرات

إذا مسن قدّام البيوت عشيّة
قصار الخطى ، يرفلن في الحبرات

دعون بحبّات القلوب فأقبلت
إليهنّ بالأهواء ، مبتدرات

تقطّع نفسي كلّ يوم وليلة
على أثر ما قد فاتني ، حسرات

٨ ــ يوم النّشاش :

تركنا على النّشاش بكر بن وائل
وقد نهلت منها السيوف وعلّت

---

(١) الحماسة البصرية (١/٩) و(ك) .

وبالفلج العاديّ قتلى إذا التقت
عليها ضباع الغيل باتت وظلّت[1]
إذا ما الضّباع الجلّة انتجعتهم
نما السّنيّ في أصلابها فاتمهلت

٩ — تزداد ملاحة :

(في خرقاء صاحبة ذي الرمة)

لقد أرسلت خرقاء نحوى جريّها
لتجعلني خرقاء ممن أضلّت
وخرقاء لا تزداد إلّا ملاحة
ولو عمّرت تعمير نوح وجلّت[2]

١٠ — ليت شعري :

ألا ليت شعري : هل تَحِنَّنَّ ناقتي
بخبت ، وقدّامي حمول روائحُ[3]
تربعت (السيّدان) و(الأوق) اذهما
محلّ من الأصرام ، والعيس صالح
وما يجزأ «السيدان» في ريّق الضحى
ولا «الأوق» إلّا أفرط العين مائح
تربعن من بطن (الخنوقة)[4] بعدما
جرى للثّريا بالأعاصير بارخ

---

(١) حماسة ابن الشجري « ١٥٨ » مع اختلاف في اللفظ والأول والأخير (ك) .
(٢) معجم البلدان ١ و٢ (الفلج والنشاش) هـ (ك) .
(٣) الأغاني «٢٠/١٤١» و(ك) .
(٤) معجم البلدان : «الأوق» و«الخنوقة» (ك) .

١١ ـ سقى فلج الأفلاج :[1]

بدأنا فقلنا أَثْأَبَ البحر واكتست
أسافله حتى ارجحن وأوّدا

أم التّين، في قريانه تمّ نبته
خضيدا ولولا لينه ما تخضّدا

أم النّخل من وادي القرى انحرفت له
يمانيّة هزّ القنا فتأودا

سقى فلج الأفلاج من كل قمّة
ذهاب ترويّه، دماثا وقودا؟

(ويروي : سقي الفلج العادي).

به نجد الصّيد الغريب ومنظرا
أنيقا، ورخصات الأنامل خرّدا[2]

نظرت خلال الشمس من مشرق الضّحي
وأوفيت من كتمان ركنا عطوّدا

بعينين لم تستكرها يوم غبرة
ولم يهبطا جوف العراق، فترمدا

إلى ظعن للمالكيّات بالضّحى
فيا لك مرأى ما اشاق وأبعدا!!

فيا عجبا مني، ومن طارق الكرى
إذا منع العين الرقاد وسهدا

ومن عبرة جاءت شآبيب أن بدى
بذي بقر آيات ربع تأبدا

---

(١) معجم البلدان (فلج) و(ك).

(٢) معجم البلدان «كتمان» و(ك).

متى ما نحط خبرا بنا يا ابن عاصم
نجد لي رجالا من بني العم حُسَّدَا
وما كان لي ذنب إليهم جنيته
سوى أنّ لي ذكرا أغارَ وأنجدا[1]

١٢ — يوم النشاش : [2]

فداء — خالي — لبني عقيل
وكعب ، حين تزدحم الجدود
هم تركوا على النشاش صرعى
بضرب ثمّ ، أهونه شديد

•

١٣ — يرثي ابن الطثرية :

أن تقتلوا منّا شهيداً صابرا
فقد تركنا منكم مجازرا
عشرين ، لمّا يدخلوا المقابرا
قتلى أصيبت قعصا نحائرا
نفجا ترى أرجلها شواغرا[3]

١٤ — دون العقيق الموت ...

أأم ابن ادريس أَلَمْ يأتك الذي
صبحنا ابن ادريس به فتقطّرا
فليتك تحت الخافقين ترينه
وقد جعلت درعا عليها ومغفرا

---

(١) معجم البلدان : (بقر) و(ك) .
(٢) طبقات فحول الشعراء (٥٩٣) .
(٣) الأغاني «١١٦/٧» و(ك) .

يـريـد الـعـقـيق ابن المهير ورهـطـه
ودون الـعـقـيق الموت وردا وأحـمـرا
وكـيـف تـريـدون الـعـقـيق ودونـه
بـنو محصـنـات لابسات السّنورّا[1]

١٥ — سترهبنا حنيفة ...

أمن أهـل الأراك عـفت ربوع[2]
نـعم سـقـيـا لهم ، لو تستطيع
زيـارتهم ، ولـكن أحضرتـنـا
هموم مـا يـزال لها مشـيـع[3]
كـأن الـبين جـرّعني زعـافـا
دم الحيّات ، مطـعـمـه فظيع
ومـاء قـد وردت ، على جـبـاه
حمام حمائم وقـطـا وقوع
جـعـلت عمامـتى صـلـة لـدلوي
إلـيـه ، حـيث لم تـرد الـنّسوع
لأسقي فـتـيـة ، ومـنـقّـيـات
أضـرّ بـنـقيها سـفـر وجـيـع
ركـبـنـاهـا ، سمانتهـا فـلـمّـا
بـدت منهـا الـنسـانس والضّـلوع
صـبحـنـاهـا السيـاط محدرجات
فـعـزّتها الضـلـيـعـة والضـلـيـع

---

(١) معجم البلدان «العقيق» و(ك) .
(٢) في معجم البلدان «شيعى ومريع» : أمن أهل الاراك هوى نزيع .
(٣) وفيه : نشبع .

لقد جمع المهير لنا فقلنا :
أتحسبنا تروّعنا الجموع
ستَرهبنا حنيفة أن رأتنا
وفي أَيمانِنا البيض اللّموع
عقيل تعتزي ، وبنو قشير
توارى عن سواعدها الدّروع
وجعدة ، والحريش ، ليوث غاب
لهم في كل معركة صريع
فنعم القوم ، في اللّزبات ، قومي
بنو كعب ، إذا جحد الرّبيع
كهول معقل الطّرداء فيهم
وفتيان غطارفة فروع
فمهلاً يا مهير ، فأنت عبد
لكعب ، سامع لهم مطيع[1]
خليل وامق ، شفق عليها
له منها ابن أربعة رضيع
(مريع) منهم وطن ف(شسعى)
بعيد من له وطن (مريع)[2]

١٦ — رأس حالق :

تبيت — مع الأزلام — في رأس حالق
وترتاد ما لم تحترزه المخاوف[3]

١٧ — أخذن اغتصابا ....

(١) الأغاني : «١٤٢/٢٠» وفي طبقات فحول الشعراء « ٥٩٣ » منها ٤/ إلى ٩ و(ك).
(٢) معجم البلدان : « شسعى » و«مريع» و(ك).
(٣) ك.

أتعرف أم لا؟ رسم دار معطلا
من العام، يمحاه، ومن عام أولا
قطار، وتارات حريق كأنها
مظلّة بوّ في رعيل تعجّلا
ولو أنكرت ضيما حنيفة حلّقت
بها المغرب العنقاء حولا مكمّلا
وفي الصّحصحيين الذين ترحّلوا
كواعب من بكر، تسام وتحبلا
أخذن اغتصابا، خطبة عجرفيّة[1]
وأمهرن أرماحا من الْخَطِّ، ذبّلا[2]

١٨ — يقول لي المفتي ...

أعينيّ مهلاً، طالما لم أقل مهلا
وما سَرَفاً مِ الآنَ قلت ولا جهلا
وأنّ صبا ابن الأربعين سفاهة
فكيف مع اللآئي مثلت بها مثلا
يقول لي المفتي وهنّ عشية
بمكة، يسحبن المهدّبة السّحلا:
تق الله لا تنظر إليهن يا فتى
وما خلتني في الحج ملتمسا وصلا
ووالله لا أنْسَى، وإن شطت النوى
عرانينهن الشّمّ والأعين النجلا
ولا المسك من أعرافهن ولا البرا
جواعل في أوساطها قصبا خدلا

(١) قال الصاغاني: بخط ابن حبيب: خطّة، وفي نوادر أبي زياد: خطبة.
(٢) خزانة الأدب (٣٤١/٢) و(ك).

خـلـيلي لا والله مـا قـلت مـرحـبـا
لأول شـيـبـات طـلـعن ولا أهلا

خـلـيـلـيّ إن الشـيـب داء كـرهـتـه
فما أحسن المرعى ومـا أقـبح المحلا[1]

ومنهـا :

ومن أعـجب الـدنـيـا إلي زجـاجـة
تـظـلّ أيـادي المنـتـشين بها فـتلا

يصـيـبـون فيهـا من كـروم زجـاجـة
يـروح الـفتى عنهـا كـأن بـه خـبلا[2]

ـفيه شاهد على أن اليد العضو تجمع على أيادي .

ومنها :

عـواكـف بـالـبـيت الحرام وربّما
رأيت عـيـون الـقـوم من نحوها نجلا[3]

١٩ ـ لـولا السّريّ

فـلـولا السّـريّ الهاشـمي وسـيـفـه
أعـاد عـبـيـدالله يـومـاً على عـكـل[4]

٢٠ أتـانـا بالعقيق

وقال القحيف في يوم الفلج حين جاء صريخ بني كعب على بني حنيفة :

---

(١) الأمالي للقالي (١٢١/٢) والأغاني (١٤٣/٢٠) .
(٢) التنبيه على أوهام القالي للبكري (٥٤ و١٠٥) .
(٣) ك .
(٤) ك .

ديـــــار الحيّ تضربها الـــــطّلال
من الخافي بها أهـــــل ومـــــال
وأجـــذم ذبّـــهـــا عودا وبـــدءا
بـــدفـــيّـــه تـــعـــقـــرت السّـــخـــال
بها الـــفـــرز الـــرّئـــال وكـــلّ هـــقـــل
كـــبـــيت الـــرّفـــقـــة احترقوا فـــقـــالوا
أمـــا ومـــعـــلّـــم الـــتوراة موسى
ومن صلى وصـــــام لــــــه بلال
لـــقـــد كـــانت تؤرّث أم عـــمـــرو
بـــنـــات الصّـــدر إذ أنسى حلال
أتـــانـــا بـــالـــعـــقـــيق صريخ كـــعـــب
فـــحنّ الـــنـــبـــع والأســـل الـــنّـــهـــال
ثلاثـــا ، ثم وجّـــهـــنـــا اليهـــم
رَحًى لـــلـــموت لـــيس لها ثـــفـــال
وحـــالـــفّـــنـــا السّـــيوف وصـــافـــنـــات
سواء هنّ فـــيـــنـــا والـــعـــيـــال
بـــنـــات بـــنـــات أعـــوج طـــامحات
مَـــدَى الأبـــصـــار عـــلـــيتهـــا الـــفـــحـــال
شـــعـــير زادهـــا وفـــتـــيـــت قتّ
ومن مـــاء الحديـــد لها نـــعـــال
وكـــردست الحريش فـــعـــارضونـــا
بخيـــل في فوارســـهـــا اخـــتـــيـــال
وســـالت من أبـــاطـــحـــهـــا قشير
بمثـــل أتيّ بـــيـــشـــة حين ســـالوا
تـــقـــود الخيـــل كـــلّ أشق نهد
وكـــلّ طـــمـــرّة فيهـــا اعـــتـــدال

تكاد الجنّ بالغدوات منّا
إذا اصطفّت كتائبنا تهال
فبتن على العسيلة ممسكات
لهنّ غديّة رهج جفال
فلما شقّ أبيض ذو حواش
له حال وللظلماء حال
صبحناهم نواصيهن شعث
بهنّ حرارة وبنا اغتلال
فلما جحدلت مئتان منهم
وفرّ حنانهم عنهم فزالوا
فصاروا بين ممتن عليه
ومنصوب له جذع طوال
تكفّنهم حنيفة بعد حول
وكيف يكفنون وقد أحالوا
أمنكم يا حنيف ! نعم لعمري
لِحًى مخضوبة ودم سجال
ولولا الرّيح ، اسمع أهل حجر
صياح البيض تقرعها النّصال
كأن الخيل طالعة عليهم
بفرسان الصباح قطا رعال[1]

٢١ — وعاشَتْ في العقيق ..

وعاثت في العقيق بنو قشير
كعيث جعار في أخرى الرّخال

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٥٩٤ .

خناقي ، يأكلون التّمر ليسوا
بزوجات يلدان ، ولا رجال

هذان البيتان أوردهما مؤرج السّدوسيّ في كتاب «الأمثال» — الورقة ١٥ من مجموع مكتبة دير الأسكوريال.

وجعار : الضّبع.

٢٢ — يا عين..

(يرثي قتلى الفّلج يزيد بن الطّثريّة ومن معه).

يا عين بكيّ هملاً ، على همل
على يزيد ، ويزيد بن حمل ،
قتّال أبطال ، وجرّار حلل[(١)]

٢٣ — إذا ما غضبنا..

لقد لقيت أفناء بكر بن وائل
وهزّان بالبطحاء ضربا غشمشما
إذا ما غضبنا غضبة مضريّة
هتكنا حجاب الشّمس أو قطرّت دما[(٢)]

البيت الأخير سرقه بشار.

٢٤ — سلوا فلج الأفلاج..

سلوا فلج الأفلاج ، عنّا وعنكم
وأكمة ، إذ سالت سرارتها دما
عشيّة لو شئنا سبينا نساءكم
ولكن صفحنا ، عزّة وتكرّما

---

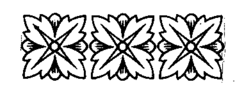
(١) الأغاني (١١٦/٧) و(ك).

(٢) الحماسة البصرية والمؤتلف والمختلف للآمدي و(ك).

عشيّة جاءت من عقيل عصابة
تقدّم من أبطالها من تقدّما[1]

٢٥ — فَإِنْ تضربونا بالسياط ..

فَإِنْ تضربونا بالسياط فانّنا
ضربناكم بالمرهفات الصوارم
وأن تحلقوا منّا الرؤوس فاننا
قطعنا رؤوسا منكم بالغلاصم[2]



(١) معجم البلدان (فلج) و(ك).
(٢) ك.



عــروة بن أذينــة الشاعــر

أعجبني قول الشاعر :

لقد علمت وما الإسراف من خُلُقي
أنّ الـــذي هـو رزقي سـوف يـأتـيني

فهل تتحف «العرب» قراءها ببيان قائله — إن كان معروفاً —.

الرياض — سعد العثمان العريني —(*)

«**العرب**» : البيت من قصيدة للشاعر عروة بن أُذينة الكناني ، وهو من مشاهير الشعراء الإسلاميين ، مترجم في كثير من كتب الأدب والتاريخ ، وله أشعار كثيرة[1] مفرقة في مختلف الكتب وقد توجد مجموعة إلا أننا لم نطلع عليها .

وقد ألف حماد بن اسحاق بن إبراهيم الموصلي مؤلفاً عن «أخبار عروة» نقل عنه صاحب «الأغاني» ولصلته بآل الزُّبير عني علّامة قريش الزبير بن بكار بذلك الشاعر ، فكان ما يرويه من أخباره من أهم مصادر من كتب عنه .

ونورد لمحة موجزة عن حياة ذلك الشاعر مما جاء في كتاب «الأغاني» وغيره .

نسبه : هو أبو عامر عروة بن أُذَينة — وهذا لقب — والاسم — يحيي بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبدالله بن رِجْل بن يعمر — وهو الشداخ — بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة[2] .

فهو ليثيّ ، كناني .

(*) مجلة «العرب» — المجلد العاشر — ص ٣١٢ —.

(١) منها في «أمالي المرتضى» ٤٠٨/١ و٤١٦ وفي «الزهرة» وفي «منتهى الطلب» المخطوط .

(٢) «الأغاني» ١٠٥/٢١ «مختصر جمهرة النسب» خ — ٣٥وز(رجل) في «الأغاني» مصحفة إلى (زحل) .

وصفه صاحب «الأغاني» بأنه شاعرٌ غَزِلٌ، مقدم، من شعراء المدينة وهو معدود في الفقهاء والمحدثين، روى عنه مالك بن أنس، وعبيدالله بن عمر العدوي.

وذكر أن جده مالك بن الحارث من أصحاب الإمام علي رضي الله عنه.

وقال ابن قتيبة[1]: كان شريفاً ثَبْتاً، يحمل عنه الحديث، وفد على هشام بن عبد الملك. ثم نقل عن الأصمعي قوله: كان عروة بن أذينة ثقة ثبتاً، يروي عنه مالك بن أنس الفقه. وعلق محقق كتاب ابن قتيبة على هذا: كرر ابن قتيبة هذه العبارة في «المعارف» واستشكل الشيخ أحمد شاكر هذا. وقال: هذا خطأ واضح، فإن مالكاً لم يأخذ الفقه عن عروة ولا نرى داعياً لهذا الاستشكال، فإن الفقه ها هنا تعني أي فرع من فروع العلم حينئذ. انتهى.

وذكره السخاوي في «التحفة اللطيفة» قال: عروة بن أذينة. قال خرجت مع جدة لي عليها مَشْي إلى بيت الله حتى إذا كانت ببعض الطريق عجزتْ. فسألت ابن عُمَرَ فقال: مُرْها فلتركب.

روى عنه مالك، وحديثه في «الموطأ». و«مسند الشافعي» وهو رجل مشهور من أهل المدينة، له شعر حسن.

وأذينة لقب، واسمه يحيي ... ذكره البخاري فقال: مدني، روى عنه مالك، وعبيد الله بن عمر. انتهى.

وذكره ابن حِبّان في الثقات[2].

وهذا يدل على أن عروة كان في أول حياته ذا صلة بالعلماء المحدثين.

عصره: لم نطلع على مصدر يحدد زمن ولادته تحديداً دقيقاً، ولكنه عاش في آخر القرن الأول الهجري، فقد ذكر ابن جرير وصاحب «الأغاني» أنه قدم مكة مع أبيه يوم

---

(١) «الشعر والشعراء».

(٢) «التحفة اللطيفة» ج ٤١٥/٣.

احترقت الكعبة في عهد ابن الزبير.

وقد وفد على هشام ابن عبد الملك أثناء خلافته.

روى صاحب «الأغاني» عن يحيي بن عروة بن أذينة خبر وفود أبيه مع جماعة من الشعراء على هشام بن عبد الملك، وأن هشاماً قال له: الست القائل:

لقد علمت وما الإسراف من خلقي ....

فقال: نعم أنا قائلها. قال: أفلا قعدت في بيتك حتى يأتيك رزقك؟ وغفل عنه هشام، فخرج من وقته، وركب راحلته، ومضى منصرفاً فلما علم هشام بذلك أتبعه جائزته. وقال لِلرَّسُوْلِ: قُلْ له أردْت أن تكذبنا وتصدّق نفسك. فلحقه الرسول وقد نزل على ماءٍ يتغدّى، فأبلغه الرسالة، ودفع إليه الجائزة فقال: قل له: قد صدّقني رَبِّي، وكذَّبك[1].

موطنه: ينسب عروة إلى المدينة، وليس من أهلها بل من سكان ضواحيها، والمتقدمون كثيراً ما ينسبون المرء إلى أشهر مدينة يعيش قريباً منها، فيقولون عن جرير: إنه من شعراء بادية البصرة، وكذا يقولون عن غيره من بعض شعراء نجد، لقرب نجد من بادية البصرة.

وكان عروة ينزل وادي تُرْبان[2] ـــ بضم التاء وإسكان الراء بعدها باء موحدة فألف فنون، قال أبو زياد الكلابي: تربان وادٍ بين ذات الجيش وملل والسيالة، على المحجّة نفسها، فيه مياه كثيرة مَريّة، نزلها رسول الله ﷺ في غزوة بَدْرٍ، وبها كان منزل عروة بن أذينة الشاعر الكناني. انتهى.

وتربان ـــ هذا الوادي ـــ لا يزال معروفاً، يجزعه الطريق العام المتجه إلى المدينة بعد مجاوزة قرية الفريش ثم وادي فَرْشٍ ثُمَّ مَلَل، ثم وادي تربان الذي يجتمع به ويبعد عن المدينة نَحْو خَمسة وأربعين كِيْلاً وليس من الأَوْدية الكبار، ولا مزارع فيه الآن

---

(١) «الأغاني»: ١٠٦/٢١ «الشعر والشعراء» باختصار.

(٢) «الأغاني» ١٠٥/٢١ و «معجم البلدان» رسم تربان وفيه (الكلابي) تصحيف.

ويظهر أنَّ مياهه جفّتْ إذ لا أثر فيه لما يصلح أنَّ يكون مقرّاً للسكنى .

ونجد في أشعار عروة ذكر كثير من المواضع القريبة من المدينة ولهذا كان شعره من المصادر التي اعتمد عليها مؤلفو معجمات الأمكنة ومُحَدِّدو مواضع المدينة النبوية الكريمة كأبي عبيد البكري وياقوت الحموي والسيد السمهودي وسنعرض لما أَوْرَدُوه في كتبهم من شعره ، فمن تلك المواضع :

١ ـــ آنِفَةُ ـــ بالألف ممدودة بعدها نون مكسورة ففاء ونون ، وقد ضبط البكري هذا الاسم بالألف ممدودة بعدها نون فقاف فهاء وقال : موضع قِبَلَ البقيع قال ابن أذَيْنَة :

يــا دار من سُــعْــدَى على آنِــقَــهْ
أمْسَتْ ومــــا عين بها طــــارقَــــهْ

كذا ورد في مطبوعة «معجم ما استعجم» في الكلام على عقيق المدينة[1].

وفي هذا الكلام تصحيفانِ :

(١) البقيع ، صوابه النقيع ـــ بالنون وهو الحمى ، بخلاف الأول فهو المقبرة ، والبكري أورد هذا في الحمى .

(٢) آنفة وطارقة : هما آنفة وطارفة بالفاء . وأورد في موضع آخر : وما عيرٌ بها طارقة .

ولا شك أن كلمة عير تصحيف عين .

٢ ـــ ألجام موضع من أحماء المدينة . وقال عروة ابن **أُذَيْنَةَ** :

جـاد الـربـيـع بشَوْطَى رسم مـنـزلـة
أُحِبُّ من حُـبِّـهـا شَوْطَى وأَلجامـا

فـبـطـن خـاجٍ فـأجـزاع الـعـقـيـق لها
نهوى ، ومن جَوِّ ذِي عَـيْـرين أهضاما

---

(١) ص ١٣٢٩ .

كذا قال ياقوت[١] . وهذا الموضع على ما حدده السمهودي في حمى النّقيع .

٣ — الأَجَمَةُ : أورد ابن قتيبة لعروة[٢] :

يـــا ديـــار الحيّ بـــالأَجَـــمَـــهْ
لم تُـــبَـــيّـــنْ دارَهـــا كَـــلِـــمَـــهْ

ولا أستبعد أن تكون (الأجمة) هنا هي (العجمة) الواردة في شعر عروة (أنظر العجمة) .

٤ — ذاتُ الجَيْشِ بالجيم والمثناة التحتية ساكنة والشين معجمة ... جعلها بعضهم من العقيق بالمدينة ، وأنشد لعروة بن أُذينة :

كـادَ الهوىَ يـوم ذات الجيش يـقـتـلني
لمنـــزل لم يهج لـــلشوق من صـــقب

كذا قال ياقوت في «معجم البلدان» . ويفهم من تحديد المتقدمين لذات الجيش وقوعها على ضفة وادي العقيق الشرقية متصلة بالبيداء يدعها طريق المتجه إلى مكة من الطريق العام يساره حينما يخرج من بطن العقيق .

٥ — رِيْم : قال السمهودي في «وفاء الوفاء» : ثم يلتقي وادي العقيق ووادي ريم[٣] ، وهو الذي ذكره ابن أُذينة فقال :

لسُعْدى ، موحش طلل قديْمُ بـرِيْـم ، رُبّما أبـكـاك رِيْـمُ

ووادي ريم لا يزال معروفاً ، تنحدر فروعه من جبل وَرِقان وما حوله .

٦ — ضَاحِك قال السمهودي : ضاحك بين الفرش وبين الضيفان ، وقد ذكره ابن أذينة فقال :

---

(١) «معجم البلدان» و«وفاء الوفاء» للسمهودي .

(٢) «الشعر والشعراء» لابن قتيبة .

(٣) بكسر الراء بعدها مثناة تحتية فيم .

أنكرتُ مَنْزلة الخليطِ بِضَاحك فعفا ، واقفر منهم عَبُّودُ

وكلمة (الضيفان) لم تتضح لي ولكن الفرش الوادي الذي تقع قرية الفُريش بقربه ، وجبل عبُّود يشاهد من قرية الفريش شمالاً غربياً .

٧ — العَجَمَةُ : قال عروة :

إذْ جَرَى شَعْبُ المُشاش بِهِمْ ومضيف تلمة الرخمة ؟
ومن البطحاء قَدْ نزلوا دار زَيْدٍ فوقها العَجَمَة[٢]

المُشاش : واد يصب في العرصة ، خلف جماء العاقل .

والعجمة : بجانب البطحاء ، بالعقيق كذا قال السمهودي[٢] ، وأري في البيت الأول تحريفاً لم أهتد إلى صوابه .

٨ — ذو العُشَيْرة — تصغير عُشَرَة بضم العين على اسم النبات المعروف — وذكره ابن الفقيه في أودية العقيق ، وأنشد لعروة بن أذينة :

يا ذا العُشَيْرة ، قد هجْتَ الغداة لنا
شوقاً ، وذكّرتنا أيّامَك ، الأُوَلَا
ما كان أحسن فيك العيش مؤتنفا
غضّا ، وأطيب في آصالك الأصلا

ووادي العقيق — عقيق المدينة — كان من مرابع الهوى ومراتع اللذة وأمكنة النزهة في العهد الأموي ، وكان ذا جناتٍ ومياه وخصب وزراعة ، وقصور وحضارة — وللأستاذ جبرائيل جبُّور — أحد أساتذة (الجامعة الأمريكية) في بيروت بحث ممتع عن هذا العقيق نشر في مجلة «الأبحاث» التي تصدر عن تلك الجامعة ، بل للهجري وللزبير بن بكار مؤلفان عنه ، وصل إلينا منهما من النقول في مؤلفات مؤرخي المدينة ما ينبىء

---

(١) «وفاء الوفاء» ص ١٠٦٥ والطبعة الثانية .
(٢) «وفاء الوفاء» ص ١٢٦٣ .

عما لهذا الوادي من ماضٍ مجيد ، وسبحان مغير الأحوال .

٩ ــ العُوَيْقِل تصغير العاقل ــ فيه يقول ابن أُذينة :

ليت العويقل سدّته بجمّتها ذات الجياء ، عليه ردم مأجوج
فيستريح ذوو الحاجات من غلظٍ ويسلكوا السهل ، ممشى كلّ منتوج

أورد البكري[1] تحديد (العويقل) في كلامه على جبل الأشعر ، وأنه من أوديته ، والأشعر جبل جهينة ذو الشهرة العظيمة في الماضي وقد حدده الهجري ، وعنه نقل البكري ــ تحديداً دقيقاً ، ويعرف الآن باسم (الفقرة) .

روى أبو الفرج في «الأغاني»[2] أن عروة عثر به حماره عند ثنية العويقل فقال هذين البيتين : ليت العويقل ...

فقال محمد بن بشير الخارجي[3] يردُّ عليه :

سبحان ربك ، بيت ما أتيت به ما يسدد الله يصبح وهو مرتوج
وهل يسدّ وللحجاج فيه إذا ما صعّدوا فيه ، تكبير وتلجيج
ما زال منذ أطال الله موطنه ومنذ أذّن أن البيت محجوج
تهدى له الوفد ، وفد الله مطرقة كأنه شطب بالقدّ منسوج
خلّ الطريق إليها إن زائرها والساكنين بها الشمّ الأباليج
لا يسدد الله نقباً كان يسلكه الـ بيض البهاليل ، والعوج العناجيج
لو سدّه الله يوماً ، ثم عجّ له من يسلك النّقب أمسى وهو مفروج

١٠ ــ مُلْتَدٌّ : قال ياقوت في «معجم البلدان» : ذكره الزُّبير في كتاب العقيق وأنشد لعروة بن أُذينة :

---

(١) ومعجم ما استعجم : ١٥٦ .

(٢) ج ١٤ ص ١٥٣ .

(٣) نسبة لبني خارجة من عدوان حالفوا جهينة فنزلوا الأشعر (الفقرة الآن) معهم .

فروضة ملتذّ ، فجنبا منيرة فوادي العقيق انساح فيهنّ وابله

وقال السمهودي : في «وفاء الوفاء» : ملتذ موضع في عقيق المدينة .

١١ ــ المَلْحَاءُ بفتح الميم وإسكان اللام وفتح الحاء المهملة بعدها ألف ممدودة ــ من أودية العقيق ــ كذا قال السمهودي وأنشد لعروة بن أُذينة :

مباعدة بعد إزمامها بملحاء ريم وأمهارها

والشاعر أضاف الملحاء إلى رِيْمٍ ، ومعروف أن وادي ريم يفضي سيله إلى العقيق .

هذه شواهد مما وصل إلينا من شعره مما يتعلق بالمواضع ومع أن الشاعر يعتبر من شعراء الغَزَل ، إلا أنه ضرب بسهم وافر في كل ضرب من ضروب الشعر التي طرقها شعراء عصره . وسنورد من شعره ما عثرنا عليه بعد إيراد القصيدة التي منها البيت الذي كان مدار السؤال ــ وهي على ما جاء في كتاب «الأغاني»[1] .

لقد علمت وما الإسراف من خلقي
أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنيني تطلّبه ولو جلست أتاني ، لا يعنيني
وأن حظ امرىء غيري سيبلغه لا بدّ ، لا بدّ أن يجتازه دوني
لا خير في طمع يدني لمنقصة وغبّر من كفاف العيش يكفيني
لا أركب الأمر ، تزري بي عواقبه ولا يعاب به عرضي ولا ديني
كم من فقير غني النفس تعرفه ومن غنيّ فقير النفس مسكين
ومن عدّو ، رماني ، لو قصدت له لم يأخذ النصف مني حين يرميني
ومن أخ لي ، طوى كشحا فقلت له : إن انطواءك عنّي سوف يطويني
إني لأنطق فيما كان من أَرَبي وأكثر الصّمت فيما ليس يعنيني
لا أبتغي وصل من يبغي مفارقتي ولا ألين لمن لا يشتهي لِيْنِي

---

(١) ج ٢١ص ١٠٦ .

مِنْ أخبـارِ عُـرْوَة :

ومن أخباره ما ذكر صاحب « الأغاني »[1] أنه كان صديقاً للشاعر الحزين الكناني ، وعشيراً له على النسب[2] وكثيراً ما كان الحزين يأتيه ، وكانت في المدينة قينة يهواها الحزين ، فبيعت وأخرجت عن المدينة ، فأتي الحزين ابن أذينة وهو كئيب حزين ،كاسمه ، فقال له : يا أبا حكيم : ما لك ؟؟ قال : يا أبا عامر أنا والله كما قال كثّير :

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى بَغَى سَقَماً ، إني إذَنْ لسقيمُ
سألتُ حكيماً أين شطّت بها النوى فخبرّني ما لا أحبُّ حكيمُ

فقال له ابن أذينة : أنت مجنون ، إن أقمت على هذا !

وأورد للحزين أبياتاً في هجو عمرو بن عمرو بن الزبير[3] ، وذكر أن عمرو بن أُذينة لما سمعها قال : ويحك ، بعضها كان يكفيك ، فقد بنيتها ولم تُقِمْ أودَهَا ، وداخلتها ، وجعلت معانيها في أكِمّتِها . قال الحزين : ذالك والله أرغب للناس فيها . فقال عروة : خير الناس من حلم عن الجهال ، وما أراه إلا قد حلم عنك . فقال الحزين : حلم عني ، شاء أم أبى ، برغمه وصغره .

ووصف عروة أبيات الحزين التي هجا بها ابن الزبير يَدُلُّ على بصره بالشعر ، وتعمقه في فهمه ، فلم يكتف بوصف تلك الأبيات بضعف التركيب بقوله : (بنيتها ولم تُقِم

(*) مجلة «العرب» — المجلد العاشر — ص ٤٧٣ .
(١) ٥/١١ و ٧٨/١٤ .
(٢) في ج ٧٨/١٤ : على النبيذ ، وهي أقرب إلى الصواب .
(٣) ج : ٨١/١٤ .

أودها) بل أضاف : (وداخلتها وجعلت معانيها في أكِمّتها) فهو يصفها بغموض المعنى . وقوله : (كان بعضها يكفيك) يدل على تكرار معاني تلك الأبيات .

وشعر عروة ــ كما أسلفنا ــ متعدد الأغراض ، مختلف الجوانب غير أن النسيب من أبرز ما عُرِف من ذلك الشعر.

ومن شعر عروة في أحداث عصره قوله في شاكر بن الخليفة هشام بن عبد الملك :

أتينا ، نَمُتُّ بأرحامنا وجئْنا ، بإذْنٍ، إلى شاكِرِ
فإن الذي سار معروفُهُ بنجد، وغار مع الغائر
الى خير خندف في ملكها لِبادٍ من الناسِ أو حاضر

كان لهشام من زوجه أم حكيم زينب بنت يحيي بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية ــ كان له ابن منها اسمه شاكر ، وكان هشام ينوّه باسمه وأراد أن يوليه العهد ، وولاه الحج[1] ، فقال فيه عروة الأبيات[2] .

ومن أخبار عروة ــ وكان صاحب غنم ــ أن راعي غنمه نام عنها فعاقبه بالضرب ، وقال فيه واسمه كعب :

لو يعلم الذئب بنوم كعب إذا لَأَمْسَى عندنا ذا ذنب
أضربه ولا يقول : حسبي !! لا بدّ عند ضيعة من ضرب !

مسكين كعب يُضرب ولا يتأوه أو يستعطف ، ويضرب على ذنب لم يفعله بعد ــ مخافة أن يقع منه فيشاركه الذئب فيه !!

وأُصيب عروة بلوعة الحزن . وما أشدَّ التهاب الحزن في نفوس من أُصيبوا بفقد عزيز أثيرٍ في نفوسهم ، أيّاً كانت منزلة ذلك المفقود من حيث القرابة .

لقد فقد الشاعر أخاً له يدعى بَكْراً ، فرثاه بما لم يصل إلينا منه من شعره مَا نستطيع

(١) الأغاني ١٠٧/٢١ و ٤٩/١٥ .
(٢) «الأغاني» ١٠٧/٢١ .

أن نستشف منه مقدار ما عانى من لوعة بفراقه ، ولكننا نحس بأثر تلك اللوعة ونحن نكرر معه قوله :

لا بكر لي إذ دعوت بكرا ودون بكر ثرى وطين ! !

وما أبعد من حال دونه الثرى والطين ! !

وقال فيه :

سرى همي ، وهمّ المرء يسري وغار النّجم إلا قيس فتر
أراقب في المجرّة كلّ نجم تعرّض للمجرة ، كيف يجري
لهم ما أزال له مديماً كأنّ القلب أضرم حر جمر
على بكر أخي ، ولّى حميدا وأي العيش يصفو بعد بكر[1]

حَقّاً ما يقول الناس في أمثالهم : (النار ما تحرق إلا رجْل واطِيها) فالمصيبة لا يشعر بألمها إلا صاحبها ، ولا يُحسُّ بما يقاسيه من أصيب بمصيبة إلا من شاركه فيها .

وما أقسى أولئك الذين لا يعرفون عن المصائب إلا ما يسمعونه من الأنين وشدّة التضجر ، والتعبير عن شدّة الألم بمثل قول : وأي العيش يصفو بعد بكر ! ! !

روى صاحب «الأغاني» : أن الوليد بن يزيد قال لما سمع هذه الأبيات : وأي العيش لا يصفو بعده ؟ هذا العيش والله الذي نحن فيه رغم أنفه ، والله لقد تَحَجَّر واسعاً ، ونقل ان ابن أبي عتيق قال : كلُّ العيش والله يَصْفُو بعده ، حتى الخبز والزيت ، فغضب عروة من قوله ، وقام من مجلسه ، وحلف ألاَّ يكلمه فماتا متهاجرين .

ونقل أن سكينة بنت الحسين لما أنشدت هذا الشعر قالت : من بَكرْ هذا ؟ أليس هو الأسود الدَّحْدَاح ، الذي كان يَمُرُّ بنا ؟ قالوا : نعم . فقالت : لقد طاب كلُّ شيء بعده ، حتى الخبز والزيت[2] .

---

(١) «الأغاني» ١٢٣/١ و ١٢٧/٥ : ١١٠/٢١ .
(٢) «الأغاني» : ١١١/٢١ .

لندع هذا الجانب من شعر عروة ، ولنبحث في الجانب الذي يطيب معه العيش ! وأيٌّ طيبٍ له بغير الحبّ ، وهل تصفو الحياة لغير المحبّين ؟!

لا نعرف عن شاعرنا هل نعم بلذة الحبِّ ، وهل عصرت قلبه لواعجه فأسال تلك العصارة شعراً يكاد يذوب رِقّة — كما يقولون في وصف الشعر الرقيق .

لنعرض طرفاً من شعر هذا الشاعر وهذا هو ما يعنينا الآن .

قال عروة :

قالت — وأبثثتها وجدي ، فبحت به : قد كنت عندي تحبّ الستر، فاستتر
الست تبصر من حولي؟ فقلت لها : غطّى هواك ، وما ألقى ، على بصري

ويروى صاحب «الأغاني» أن سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما وقفت على عروة في موكبها ومعها جواريها . فقالت : يا أبا عامر أنت الذي تزعم أن لك مرؤة ، وأن غزَلك من وراء عِفّةٍ . وأنك تَقِيٌّ ، قال نعم ! قالت فأنت الذي تقول : قالت — وأبثثتها — . فقال : بلى !! قالت : جواريها حرائر إن كان هذا خرج من قَلْبٍ سليم ، أو قالت : من قلب صحيح[1] .

وقال :

فذّان يعنيهما للبين فرقته ولا يملاّن طول الدهر ما اجتمعا
مستقبلان نشاطا من شبابهما إذا دعا دعوة داعي الهوى سمعا
لا يعجبان بقول الناس عن عرض ويعجبان بما قالا ، وما صنعا[2]

وقال :

(١) «الأغاني» ١٠٨/٢١ و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة باختصار والنص في «الزهرة» ص ٣١٥ .
(٢) «الزهرة» : ٦٣ .

إذا وجدت أوار الحبّ في كبدي عمدت نحو سقاء الْقَوْمِ ابترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لحرّ على الأحشاء يتقد ؟[1]

وقال :

علقتك ناشئاً حتى رأيت الرأس مبيضاً
على يسر وإعسار وفيض نوالكم فيضا
ألا أحبب بأرض كنت تحتلينها أرضا
وأهلك حبّذا ما هم وإن أبدوا لي البغضا[2]

وقال — وهي من مختار الشعر وجيِّدِهِ — :

إن التي زعمت فؤادك ملّها خلقت هواك ، كما خلقت هوى لها
فبك الذي زعمت بها ، وكلاكما يبدي لصاحبه الصبابةَ كلّها
ويبيت بين جوانحي حبّ لها لو كان تحت فراشها لأقلّها
ولعمرها لو كان حبّك فوقها يوما وقد ضحّت إذن لأظلّها
وإذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الفؤاد إلى الضّمير فسلّها
بيضاء ، باكرها النّعيم فصاغها بلباقة ، فأدقّها وأجلّها
لما عرضت مسلماً ، لي حاجة أرجو معونتها ، وأخشى ذلّها
منعت تحيّتها ، فقلت لصاحبي : ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا ، فقال : لعلّها معذورة من أجل رقبتها فقلت : لعلّها[3] ! !

ويضيف صاحب « الأغاني » بعد إيراد هذه القصيدة أن أبا السائب المخزومي أتى عروة بن عبدالله الزبيري في داره في عقيق المدينة ، وكان عروة الشاعر ينزل عنده فسأله عروة : هل له من حاجة ؟ فقال أبو السائب : نعم أبيات لعروة بن أذينة ، بلغني أنك

---

(١) « الأغاني » : ٢١/١٠٩ .
(٢) « الأغاني » : ٥/١٠٨ .
(٣) « الأغاني » : ٢١/١٠٩ .

سمعتها منه ، فقال : وأية أبيات ؟ فأجابه : وهلى يخفى القمر ؟ قوله : إن التي زعمت فأنشده عروة الأبيات فلما بلغ قوله : فقلت لعلّهَا . قال أبو السائب : أحسن والله ! هذا والله الدائم العهد ، الصادق الصبابة ، لا الذي يقول :

إن كان أهلك يمنعونك رغبة   عنّي ، فأهلي بي أضنّ ، وأرغب

اذْهب لاصحبك الله ، ولا وسّع عليك — يعني قائل هذا البيت — وإني لأرجو أن يغفر الله لصاحبك — يعني ابن أذينة — لحسن ظنه بها ، وطلبه العذر لها ، قال ابن الزبير : فعرضت عليه الطعام فقال : لا والله ما كنتُ لآكل بهذه الأبيات طعاماً إلى الليل ، وانصرف[1] .

وقال عروة :

لبثوا ثلاث منى بمنزل غبطة   وهم على سفر لعمرك ما هم
متجاورين ، بغير دار إقامة   لو قد أجدّ تفرّق لم يندموا
ولهنّ بالبيت العتيق لبانة   والبيت يعرفهنّ ، لو يتكلم
لو كان حيا قبلهن ظعائنا   حيا الحطيم وجوههن وزمزم
وكأنّهن ، وقد حسرن لواغبا   بيض بأكناف الحطيم مركّم[2]

ولا أدري هل من اللائق إضافة هذه المقطوعة إلى شعر الهوى والحبّ ، وشعراء ذلك العهد كثيراً ما اتخذوا زيارة تلك المشاعر المقدسة وسائل لإطفاء لوعة فراق ، أو إرواء غلة هوى أو التمتع برؤية محبوب ، ونَجأرُ الى الله — مستغفرين — من كل أمْرٍ لا يرضاه ، ونكتفي بما أورده صاحب « الأغاني » عن أبي السائب المخزومي تعليقاً على هذه الأبيات قوله : لا والله ما أحسن ولا أجمل ، ولكنه أهجر وأخطل في صفتهن بهذه الصفة ، ثم لا يندم على رحيلهن ، أهكذا قال كثير حين يقول :

تفرق أهواء الحجيج على منى   وصدّعهم شعب النوى صبح أربع

---

(١) « الأغاني » : ١٠٩/٢١ .
(٢) «الأغاني» ١٠٦/١ و١١٠/٢١ .

فريقان : منهم سالك بطن نخلة وآخر منهم سالك بطن تضرع
فلم أر دارا مثلها دار غبطة وملقى إذا التفّ الحجيج بمجمع
أقلّ مقيماً راضياً بمكانه وأكثر جارا ظاعنا ، لم يودّع

أنظر إليه كيف تقدمت شهادته علمه ، وكنّى لسانه ببيانه ، وهل يغتبط عاقل بمقام لا يرضى به ، ولكن مُكْرَهٌ أخوك لا بطل ، والعرجي كان بالعهد أو فى منهما ، وأولى بالصواب ، حين تعرَّض لها نافرة من منى ، فقال لها عانياً مستكيناً :

عوجي عليّ ، فسلمي جبر فيم الصّدود ، وأنتم سفر؟
ما نلتقي إلاّ ثلاث منى حتى يفرّق بيننا النّفر[1]

وقال عروة :

سليمى أزمعت بينا فأين تقولها أينا؟!
وقد قالت لأتراب لها ، زهر ، تلاقينا
تعالين فقد طاب لنا العيش ، تعالينا !
وغاب البرم الليلة والعين ، فلا عينا
فأقبلن إليها مُسْرِعاتٍ ، يَتَهَادَيْنَا
إلى مثل مهاة الرمل ، تكسو المجلس الزينا
إلى خود منعّمة حففن بها وفدّينا
تمنين مناهنّ فكنّا ما تمنّينا[2]

ويروى صاحب « الأغاني »[2] خبرين حول هذه المقطوعة أحدهما ينسب الى الإمام مالك بن أنس أنه غناها ، في عرس رجل من أهل المدينة يكنى أبا حنظلة ، مع ما في الخبر من تناقض بين كراهية مالك الغناء ، وبين نسبته إليه ، مما يدل على بطلانه .

---

(١) « الأغاني » : ١١٠/٢١ .
(٢) « الأغاني » : ٧٥/١ و١٠٨/٢١ .
(٣) ٧٥/٢ .

والخبر الثاني يتعلق بطلب ابن عائشة المغني من ابن أذينة أبياتاً من بحر الهزج فنظم له تلك القطعة ، ولما أسمعه قوله : فكنا ما تمنينا ، ضحك وقال له : يا أبا عامر ! تمنينك لما أقبل بَخَرُك ، وأدبر ذَفُرك ، وذبل .. فجعل يشتمه :

وقال :

وتفرّقوا بعد الجميع ، لنيّة لا بدّ أن يتفرّق الجيران
لا تصبر الإبل الجلاد تفرّقت حتّى تحنّ ، ويصبر الإنسان[1]

إي والله ! وما أعظم صبره ! فلنصبر ولننتقل إلى حديث العقل بعد أن شغلنا بحديث العاطفة ما شغلنا .

قال عروة :

ما إن ألين ، إذا شدّدت منتقصاً حتّى بلين الصّفا من جندل راسي
لست الظؤور التي تعطي إذا عصبت بعد الإباء ، على مسح وإبساس
إنّي كذلك أباء لما كرهت نفس المشاحن شكس عند إشكاس[2]

وقال :

لا تكفرنّ طوال عيشك نعمة لؤما تجاحدها امرءا أولاكها
واجز الكرامة من ترى أن لَوْ لَهُ يوما بذلت كرامة لجزاكها
فعل الكريم أخي الكريم ، حذوته نعلا ، فعابت نفسه فخدالها[3]

وقال :

رأيت الفتى يرجو الرجاء ودونه لقاء التي منها الفتى غير وائل[4]

---

(١) «الأغاني» ٢/٧٥ .
(١) «الزهره» . ٢٥٧ .
(٢) «حماسة البحتري» : ٢٥ الطبعة المصرية سنة ١٩٢٩ .
(٣) حماسة البحتري : ٢٥٤/١٦ .
(٤) المصدر ص ٣٤٥ .

الشاعر محمد بن صالح الحسني (*)

انصرفت الدولة العباسية — بحكم قيامها على سواعد غير عربية — عن العرب — ، واعتمدت على الأعاجم في تشييد ملكها ، وأسندت اليهم أعمالها ، وصارت منصرفة كل الانصراف عن البلاد العربية ، فأهملت جميع أحوالها .

وبلغ الأمر أشده بعد أن قوى نفوذ الموالي من الفرس والأتراك في القرن الثالث الهجري .

ولكن القطر الحجازي — وفيه الحرمان الشريفان ، والمدينتان اللتان يحمل لهما كل مسلم في قلبه الاجلال والاحترام ، مكة الشريفة ، وطيبة الطيبة — بقي هذا القطر خاضعاً لنفوذهم ، وهو نفوذ قائم على اساس تقليدي متوارث ، أكثر من أن تكون هناك دوافع أخرى تدعو الى الاحتفاظ بإدارة منبعثة عما يجب أن يكون عليه بصفته مطمح نفس كل مسلم ، وتتلاءم مع ما له من المكانة الدينية .

ولقد كان سكان هذا الإقليم ، وهم حفدة أولئك الذين شادوا أقوى دولة اسلامية في ذلك العهد ، وحملوا مع إخوانهم العرب عبء نشر أقدس رسالة جاءت لاسعاد بني البشر جميعهم الى أقطار العالم شرقاً ، وشمالا ، وجنوباً ، لقد كان سكان ذلك الاقليم يحسون أبلغ احساس ما لحقهم من الاستهانة ، ويدركون بمنتهى الإدراك انصراف الخلافة الإسلامية عنهم ، ويشاهدون أنهم أصبحوا في يد حفنة من أولئك الدخلاء من فرس وغيرهم يتصرفون بشؤونهم لا تصرّف المقدّر المدرك لما لهذا القطر الكريم من مكانة عالية في دنيا الخلافة الإسلامية ، بل تصرف من يجهل — الجهل كله — تلك المكانة .

ولكن ماذا يفعلون ؟ لقد دالت دولتهم ، وأصبحت السلطة في يد غيرهم ،

(*) مجلة العرب — ص ٢١٣ — ج: (٣) م: (١) .

وأصبحوا لا يستطيعون أكثر من أن يبدوا سخطهم وعدم رضاهم بحركات ، يقوم بها مغامرون منهم ، لا تلبث ان تقضي عليها قوة الخلافة ، قضاء خاليا من كل عطف وشفقة ، يمحو آثار الحركة ، بفضل ما يتمتع به من حدّة وشدة وصرامة .

وكان أكثر من يحاول أن يظهر بمظهر المعارض الكاره لما تسير عليه الأمور في ذلك القطر ، من (الطالبيّين) الذين يرون أن المتسنمين لمناصب الخلافة في (بغداد) لا يفضلونهم في حسب ، ولا نسب ، ويرون أن لهم من حق القرابة ، والصلة ، وكرم المنبت ، وكرامة المحتد ، ما يحملهم على أن يجأروا بصوتهم عالياً ، ان لم يكن بطلب العدل والمساواة ، فلا أقل من ان يكون باستنكار الظلم .

وفي بلدة (سويقة) من بلاد (ينبع) وكانت موطن فرع كريم من فروع الأسرة الطالبية ، منذ ان اقطع رسول الله ﷺ ، ثم خليفته الراشد عمر الفاروق ، عليا بن أبي طالب — كرم الله وجهه — قطائع في هذه البلدة ، من عيون ، ومزارع — منها عين هذه البلدة .

في هذه البلدة ، وفي مطلع القرن الثالث الهجري نشأ شابّ من ذلك المحتد الكريم ، هو : محمد بن صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب .

نشأ هذا الشاب ، وعرف الكثير مما قاساه أجداده وآباؤه من ظلم أبناء عمهم خلفاء بغداد :

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهنّد

— كما يقول طرفة بن العبد — :

لقد عرف هذا الشاب بأن جده موسى بن عبدالله بعد أن قتل أبو جعفر المنصور إخوته بقي متستراً خائفاً ، فأوقعه القدر في قبضة المنصور الذي لم يرحم شيبته ، ولم تشفع قرابته لديه في تخفيف ما أوقع به الخليفة من العقاب ، بل ضرب بالسياط وحبس مدة طويلة .

وعرف هذا الشاب ما لقيه كثيرون من أبناء عمومته من القتل والعذاب والتشريد ، حتى بلغوا أقصى الغرب ، وأقصى الشرق .

وفتح عينيه — أول ما فتحها — على المآسي ، وآهات الحزن ، وأنات الشكوى ، وآثار الخراب والدمار ، من جراء ثورة محمد وابراهيم وموسى (جد الشاعر) ابني عبدالله بن حسن بن حسن ، في عهد الخليفة المنصور ، وما لقوا من بطشه وشدة انتقامه ، فنشأ وقد أفعمت جوانحه الكراهية للدولة العباسية ، وامتلأت نفسه بالحقد عليها ، فكان يتحين الفرصة للأخذ بثأر أجداده وذويه ممن أذاقهم رجال تلك الدولة صنوف العذاب ، من قتل وحبس وتشريد .

وكان هذا الشاعر يتمتع بجرأة وشجاعة نادرتين ، ولكنهما ليستا كل ما يجب أن يتدرع به المرء لنيل مأربه في هذه الحياة ، ولهذا لم يرعو لنصح ، ولم يقبل أية مشورة ، في سبيل ثني عزمه عن المخاطرة بنفسه .

يحدث عنه أحد أصدقائه قائلاً : كنت معه في منزل بعض إخواننا فأقمنا الى ان انتصف الليل ، وأنا أرى أنه يبيت ، فاذا هو قد قام ، فتقلد سيفه ، وخرج ، فأشفقت عليه من خروجه في ذلك الوقت ، وسألته المقام والمبيت ، وأعلمته خوفي عليه ، فالتفت الي مبتسماً وقال :

إذا ما اشتملت السّيف ، والليل ، لم أهل
بشيء ، ولم تفزع فؤادي القوارع

لقد غامر فأقدم على القيام بثورة كادت تودي بحياته ، بعد أن ألحقت بقومه ، وببلاده أبلغ الضرر ، وعندما هاجمته جيوش الدولة ، وحاصرت بلدته «سويقة» حاول أهلها انقاذ ما يمكن انقاذه ، فقام عمه موسى بن عبدالله بن موسى فاتصل بالقائد العباسي (أبي الساج) — وتعهد له بأن يسلمه إياه ، ثم طلب منه عمه وأقاربه أن يلقي سلاحه ، وبعد الحاح واقسام ، ووعود وعهود من القائد له بالأمان ، استسلم وتقدم الى القائد فسلم له نفسه ، فأثقله بالقيود والأغلال هو وطائفة من أهله . ثم عطف على تلك البلدة بالتخريب ، وعقر النخيل وردم العيون ، حتى كاد يخفي معالمها ، بعد أن شرد

أهلها ، وكان ذلك في سنة ٢٤٥ :

ثم ذهب بالشاعر الى مقر الخلافة ، حيث أودع السجن ، هو ومن معه .

وقد فصلت كتب التاريخ أنباء تلك الثورة ، ولا يعنينا الآن ايراد شيء من أخبارها .

وقد بقي الشاعر في سجن (سرّ من رآى) منسياً ، حتى كانت ليلة من الليالي ، التي اعتاد بعض خلفاء بغداد قضاءها بعيدين عن مشاغل الحياة العامة ، وقد مضى للشاعر في سجنه ثلاث سنوات ، وقد أصبح شعره على كل لسان ، فترنم مُغَنِّي الخليفة (المتوكل) في تلك الليلة باحدى قصائد ذلك الشاعر ، فوقع الشعر من الخليفة موقع الاستحسان ، وسأل عن قائله فأخبر به ، وانفسح مجال الحديث من رجال الخاصة الذين عرفوا عن الشاعر الكثير من خلاله ، وكلموا الخليفة في اطلاقه من حبسه ، فأجاب ، بعد أن اشترط أن يكون تحت يد الوزير الفتح بن خاقان ، حتى يقيم كفيلاً ألا يبرح (سر من رآى) فأطلق وأخذ عليه الفتح الايمان الموثقة ألا يبرحها إلا باذنه ، فبقي في تلك المدينة حتى توفي بداء الجدري ، في عهد الخليفة المنتصر.



بيئـة الشاعـر :

لا تمدنا المصادر التي بين أيدينا بمعلومات وافية عن البيئة التي نشأ فيها هذا الشاعر ، وكل ما نعرف عنه أنه من أهل «سويقة» من ينبع .

و«سويقة» هذه كان لها تاريخ حافل بالذكريات منذ أن استوطنها الإمام علي كرم الله وجهه ، ثم بنوه من بعده .

وممن أنجبتهم هذه البلدة من الرجال عبدالله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

وكان من العلماء والشعراء ولد سنة ١٠٧ هـ وتوفي في سجن المنصور سنة ١٤٥ هـ وكانت سويقة في عهده مقصداً للعلماء فقد زارها شيخا المعتزلة ، واصل بن عَطَاءٍ ، وعمرو بن عبيد لتلقي العلم عن عبدالله هذا ، وعبدالله هو جد شاعرنا الذي نتحدث عنه ، وهو شاعر أورد صاحب الأغاني شيئاً من شعره .

ومن شعراء ينبع من أهل بيت الشاعر محمد بن صالح الحسني ، الشاعر العبّاس بن الحسن الذي كان من جُلَسَاءِ الخليفة الرشيد ، وكان كثيراً ما يثني على بلدته ينبع عند الخليفة فقال له : قرّب لي صفتها فقال :

يـا وادي الـقصر نعم القصر والـوادي
من منزل حاضر ان شئت ، أو بادي

(*) مجلة العرب — ص ٣٤٦ — ج : (٤) م: (١) .

تــلــفى قــراقيره بــالــعــقــر واقــفــة

و« الضب » و« النون » و« الملاح » و« الحادى »

وقد أورد الأصفهاني شيئاً من شعره أيضاً .

أما الشاعر الذي نتحدث عنه ، فإن الأصفهاني يصفه بقوله «شاعر حجازي ظريف صالح الشعر من شعراء أهل بيته المتقدمين» .

طـرف من حياتـه

يظهر من تتبع أخباره ، ومن القصة التي سنوردها فيما بعد ، عن زواجه — أنه كان منذ حداثة سنه ، من الخارجين على النظام حسب تعبير العصر الحاضر ، وان ما حل بأهل بيته من التعذيب والتشريد أثر في نفسه تأثيراً جعله لا يمد يد الطاعة لذوى السلطان في عهده .

ويلاحظ في شعره أنه ليس من المتشيعين للإمام علي ، كما تدل على ذلك قصيدته الرائية التي قالها في مدح المتوكل .

وينم شعره عن لوعة عميقة في نفسه ، حيث منع من العودة الى وطنه وبقي حبيساً في العراق .

وقد قويت صلته ببعض رجال الدولة في (سر من رآى) ، وخاصة من الكتاب مثل : ابراهيم ابن المدبّر ، وسعيد بن حميد ، وعيسى بن موسى بن أبي خالد الذي صاهره فتزوج اخته حمدونة .

بينما كان منصرفاً عن «آل خاقان» ويعلل الأصفهاني انصرافه عنهم ، بأن عبيدالله ابن يحيي أحدهم «تحامل عليه ، وكان يقوّي ما يكره ، ويؤكد ما يوجب حبسه . وكان فيه ، وفي ولده نصب شديد» .

مـرؤة تعقب حبسا فزواجـا

أورد الأصفهاني خبر زواج محمد بن صالح الحسني بعد اطلاقه من الحبس نرى ان

من فائدة القارىء ايراد نصه كاملاً قال راوياً عن ابراهيم بن المدبّر : جاءني يوما محمد بن صالح الحسني العلوي بعد أن أطلق من الحبس ، فقال لي :

اني أريد المقام عندك اليوم على خلوة ، لأبثّك من امرى شيئاً لا يصلح أن يسمعه غيرنا . فقلت : أفعل فصرفت من كان بحضرتي وخلوت معه ، وأمرت برد دابته ، وأخذ ثيابه فلما اطمأن ، وأكلنا واضطجعنا ، قال لي : أعلمك اني خرجت سنة كذا وكذا ، ومعي أصحابي على القافلة الفلانية ، فقاتلنا من كان فيها فهزمناهم وملكنا القافلة ، فبينا أنا أحوزها ، وأنيخ الجمال اذ طلعت عَلَيَّ امرأة من العمّارية ما رأيت قط أحسن منها وجها ، ولا أحلى منطقاً ، فقالت : يا فتى : ان رأيت ان تدعو لي الشريف المتولي أمر هذا الجيش ؟! فقلت : قد رأيته وسمع كلامك . فقالت : سألتك بحق الله وحق رسوله ﷺ ، أنت هو؟ قُلْتُ : نعم ! وحق الله وحق رسوله اني لهو. فقالت : انا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحري ، ولأبي محل من سلطانه ولنا نعمة ان كنت ممن سمع بها فقد كفاك ما سمعت . وان كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري ، ووالله لا استأثرت عنك بشيء أملكه ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه عَلَيَّ وما أسألك إلا أن تصونني وتسترني ، وهذه ألف دينار معي لنفقتي ، فخذها حلالا ، وهذا حليّ أغلى من خمسمائة دينار فخذه وضمّني ما شئت بعده آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم ، فليس منهم أحد يمنعني شيئاً أطلبه ، وادفع عنّي واحمني من أصحابك ومن عار يلحقني . فوقع قولها من قلبي موقعا عظيماً ، فقلت لها : قد وهب الله لك ما لك وجاهك وحالك ، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها .

ثم خرجت فناديت في أصحابي ، فاجتمعوا فناديت فيهم : اني قد أجرت هذه القافلة وأهلها وخفرتها وحميتها ، ولها ذمة الله وذمة رسوله وذمتي : فمن أخذ منها خيطاً أو عقالاً فقد آذنته بحرب . فانصرفوا معي وانصرفت .

فلما أخذت وحبست ، بينا أنا ذات يوم في محبسي اذ جاءني السجان وقال لي : ان بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك ، وقد حظر عليّ أن يدخل عليك أحد ، الا انهما اعطتاني دملج ذهب ، وجعلتاه لي ان أوصلتهما اليك ، وقد أذنت لهما ، وهما في

الدهليز ، فأخرج اليهما ان شئت ، ففكرت فيمن يجيئني في هذا البلد ، وأنا به غريب لا اعرف أحداً ثم قلت : لعلهما من ولد أبي ، أو بعض نِسَاءِ أهلي .

فخرجت اليهما فإذا بصاحبتي ، فلما رأتني بكت لما رأت من تغير خلقي ، وثقل حديدي ، فأقبلت عليها الأخرى فقالت : أهو هو؟ فقالت : اي والله انه لهو هو . ثم أقبلت عليّ فقالت : فداك أبي وأمي والله لو استطعت أن أقيك مما انت فيه بنفسي واهلي لفعلت ، وكنت بذلك مِنّي محقا ، ووالله لا تركت المعاونة لك والسعي في حاجتك ، وخلاصك بكل حيلة ومال وشفاعة ، وهذه دنانير وثياب وطيب فاستعن بها على موضعك ، ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك حتى يفرج الله عنك . ثم أخرجت الي كسوة وطيبا ومائتي دينار ، وكان رسولها يأتيني في كل يوم بطعام نظيف ، ويتواصل برها بالسَجّان ، فلا يمتنع من كل شيء أريده ، فمن الله بخلاصي ثم راسلتها فخطبتها فقالت : أما من جهتي فأنا لك متابعة مطيعة ، والأمر الى أبي فأتيته فخطبتها اليه فردني وقال : ما كنت لأحقق عليها ما قد شاع في الناس عنك من أمرها ، وقد صيرتنا فضيحة . فقمت من عنده منكساً مستحيياً وقلت له في ذلك :

رموني وايّاها بشنعاء هم بها أحق ، ادال الله منهم فعجلا
بأمر تركناه ، ورب محمد عيانا ، فأمّا عفّة ، أو تجمّلا

فقلت له : ان عيسى صنيعة أخي ، وهو لي مطيع ، وأنا أكفيك امره . فلما كان من الغد لقيت عيسى في منزله وقلت له : قد جئتك في حاجة لي . فقال : مقضيّة ، ولو كنت استعملت ما أحبه لأمرتني فجئتك . وكان أسر الي . فقلت له : قد جئتك خاطبا اليك ابنتك . فقال : هي لك أمة وأنا لك عبد ، وقد أجبتك . فقلت : اني خطبتها على من هو خير مني أبا وأما ، وأشرف لك صهرا ومتّصلا . محمد بن صالح العلوي . فقال لي : يا سيدي ! هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظنة ، وقيلت فينا أقوال .

فقلت : أفليست باطلة ؟ قال : بلى ، والحمدلله : قلت : فكأنها لم تقل ، واذا وقع النكاح زال كل قول وتشنيع ولم أزل أرفق به حتى أجاب ، وبعثت الى محمد بن صالح فأحضرته وما برحت حتى زوجته وسقت الصداق عنه .

قال أبو الفرج الأصفهاني :

وقد مدح محمد بن صالح ابراهيم ابن المدبر مدائح كثيرة لما والاه من هذا الفعل ، ولصداقة كانت بينهما فمن جيد ما قاله فيه قوله :

أتخبر عنهم الدّمن الدثور
وقد ينبى. اذا سئل الخبير

وكيف تبيّن الانباء دار
تعاقبها الشمائل والدبور؟!

يقول فيها في مدحه :

فهلا في الذي أولاك عرفا
تسدّى من مقالك ما يسير

ثناء غير مختلق ، ومدحا
مع الركبان ينجد ، أو يغور

أخ واساك ، في كلب الليالي
وقد خذل الأقارب والنصير

حفاظا ، حين أسلمك الموالي
وضنّ بنفسه الرجل الصبور

فإن تشكر فقد أولى جميلاً
وان تكفر فإنك للكفور

وما في (آل خاقان) اعتصام
اذا ما عمّم الخطب الكبير

لئام الناس اثراء وفقرا
وأعجزهم اذا حمي القتير

لئام لا يزوّجهم كريم
ولا تسنى لنسوتهم مهور

نماذج أخرى من شعره :

١ — ألم يحزنك يا ذلفاء

قال يهجو أبا السّاج :

(أبو الساج هذا هو القائد الذي ألقى عليه القبض وأمنّه ثم خانه ، وهو من «اشروسنة» إقليم في جهات سمرقند) .

ألم يحزنك يا ذلفاء أنّي
سكنت مساكن الأموات حيا

وانّ حمائلي ونجاد سيفي
علون مجدّعا «أُشْرُوْسَنِيَّا»

فقصرهنّ لما طلن حتى اس
تويـن عليه ، لا أمسى سويّا

أما والراقصات[1] بذات عرق
تريد البيت تحسبها قسيا

لو امكنني غداة اذن جلاد
لألفوني به سمحاً سخيّاً

٢ — طرب الفؤاد

«قالها في السجن»

طرب الفؤاد ، وعَاوَدَتْ أحزانه
وتشعّبت شعبا به أشجانه

وبدا له من بعدما اندمل الهوى
برق تألّق موهناً لمعانه

(١) الحلف بغير الله شرك ، كما جاك في الحديث الشريف .
«من حلف بغير الله فقد أشرك» ولولا الأمانة العلمية التي تقضي بالمحافظة على الأصل لحذفنا هذا البيت .

يبدو كحاشية الرداء ودونه
صعب الذُّرا متمنع أركانه
فدنا لينظر أين لاح، فلم يطق
نظراً اليه وَرَدَّهُ سجّانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه
والماء ما سحّت به أجفانه
ثم استعاذ من القبيح ورده
نحو العزاء عن الصبا إيقانه
وبدا له أن الذي قد ناله
ما كان قدّره له ديّانه...
حتى استقر ضميره، وكأنما
هتك العلائق عامل وسنانه
يا قلب لا يذهب بحلمك باخل
بالنّيل باذل تافه منّانه
يعد القضاء وليس ينجز موعدا
ويكون قبل قضائه ليّانه
خدل الشّوى، حسن القوام مخصّر
عذب لماه، طيّب أردانه
واقنع بما قسم الاله فأمره
ما لا يزال على الفتى إتيانه
والبؤس ماض لا يدوم كما مضى
عصر النعيم وزال عنك أوانه

٣ — رأيت بسامراء:

(مرّ بقبر لبعض آل المتوكل فرآى نساء يلطمن فأنشد):

رأيت بسامرا صبيحة جمعة
عيوناً يروق الناظرين فتورها
تزور العظام الباليات لدى الثرى
تجاوز عن تلك العظام غفورها
فلولا قضاء الله أن تعمر الثرى
الى أن ينادي يوم ينفخ صورها
لقلت عساها أن تعيش وانها
ستنشر من جرا عيون تزورها
أسيلات مجرى الدمع اما تهللت
شؤون المآقي ثم سحّ مطيرها
بوبل كأتوام الجمان تفيضه
على نحرها أنفاسها وزفيرها
فيا رحمة ما قد رحمت بواكيا
ثقالاً تواليها لطافا خصورها

٤ ـ ما كلفتها نظرا ..

نظرت ودوني ماء دجلة موهنا
بمطروفة الإنسان محسورة جهدا
لتؤنس لي نارا بيليل[1] أوقدت
وتالله ما كلفتها نظرا قصدا
فلو صدقت عيني لقلت كأنّني
أرى النار قد أمست تضيء لنا هندا
تضيء لنا منها جبينا ومحجرا
ومبتسماً عذبا وذا غدر جعدا

(١) يليل : واد معروف ، في أعلاه (الصّفراء) وفي أسفله (بدر) .

٥ — مغرم القلب

(في حمدونة ، قبل زواجه بها)

لعمر حمدونة اني بها
لمغرم القلب طويل السقام
مجاوز للقدر في حبها
مباين فيها لأهل الملام
مطرّح للعذل ، ماض على
مخافة النفس وهول المقام
مشايعي قلب يخاف الخنا
وصارم يقطع صم العظام
جشمني ذلك وجدي بها
وفضلها بين النساء الوسام
ممكورة الساق ، ردينية
مع الشّوى الخدل وحسن القوام
صامتة الحجل ، خفوق الحشا
مَائِرَة الساق ثقال القيام
ساجية الطرف نؤوم الضحى
منيرة الوجه كبرق الغمام
زينها الله وما شانها
وأعطيت مُنْيَتَهَا من تمام
تلك التي لولا غرامي بها
كنت بسامّرا قليل المقام

٦ — تداركني ..

(في مدح ابن المدبّر ، لسعيه بزواج حمدونة)

خطبت الى عيسى بن موسى فردني
فلله والى حرة وعليقها
لقد ردني موسى ويعلم انني
سليل بنات المصطفى وعريقها
وان لنا بعد الولادة نبعة
نبيّ الاله صنوها وشقيقها
فلما أبى بُخْلاً بها وتمنّعا
وصيّرني ذا خلّة لا يطيقها
تداركني المرء الذي لم يزل له
من المكرمات رحبها وطليقها
سميّ خليل الله وابن وليّه
وحمّال أعباء العلى وطريقها
وزوّجها ، والمنّ عندي لغيره
فيا بيعة وفتني الربح سوقها
ويا نعمة لابن المدبر عندنا
يجد على كرّ الزمان أنيقها

٧ — في مدح المتوكل :

(بعد خروجه من السجن)

ألف التقى ووفى بنذر الناذر
وأبى الوقوف على المحل الداشر
ولقد تهيج له الديار صبابة
حينا ، ويكلف بالخليط السائر
فرأى الهداية ان أناب وانه
قصر المديح على الامام العاشر

يـــا ابن الخلائف والـــذين بهديهم
ظـهـر الوفـاء ، وبـان غـدر الـغـادر
وابن الـــذين حووا تــراث محمــد
دون الأقـــارب بـــالـنصـيب الوافـر
نـطق الـكـتاب لـكم بذاك مصدقاً
ومضت بـــه سنن الـــنبي الـطـاهـر
ووصـــلت أسـبــاب الخلافــة بــالهدى
اذ نـــلتهـــا وأَنَمْتَ عين الســاهــر
أحـييت سـنة من مضى فتجددت
وأبـــنت بـــدعـــة ذي الضلال الخاسر
فـافـخـر بـنـفسك ، أو بجدك معلنا
أودع ، فـقـد جـاوزت فـخر الـفاخر
مــا لــلـمـكـارم غيركـم من أول
بـــعــد الـــنبي ومــا لها من آخـر
اني دعوتك ، فــاســتـجبت لـدعـوتي
والموت مني قـــيـــد شبر الشـــابــر
فـــانـــتشـــتني من قبر موردة الــردي
أمـــنـــا ولم تســمـع مـقــالـة زاجـر
وفـــكـــكت أسرى ، والـــبلاء موكـل
وجبرت كسرا مـــا لـــه من جـابـر
وعـــطـفت بـالـرحـم التي تـرجو بها
قـــرب المحل من المـــليك الـــقــادر
وأنـــا أعـوذ بـفضـل عـفـوك ان أرى
غـرضـاً بـبـابك لـــلـمـلم الـفـاقـر
أو أن أضـيّـع بـعـدمـا انـقـذتني
من ريب مــهـلـكــة وجـدّ عـاثـر
ولـقـد مـننت فـكـنت غير مـكـدر
ولـــقـــد نهضت بها نهوض الشـــاكـر

الشاعر محمد بن عبد الملك الأسدي(*)

كانت قبيلة بني أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر تحل أعالي القصيم ، في شمالي نجد ، في ضفاف وادي الرمّة ، بقرب أبانين وشمالها الى أطراف بلاد قبيلة طيء التي تجاور أسدا وترتبط بها بحلف ، فتعرف القبيلتان باسم (الحليفين) .

وانتشرت قبيلة أسد شرقاً على طول طريق الحج العراقي .

وَبِسَبَبِ سيطرتها على القسم الشرقي من ذلك الطريق ، قويت منزلتها لدى الخلفاء ، لما لذالك الطريق من أهمية لدى المسلمين ، اذ صيانته والاعتناء به يمهد السبيل لأداء ركن من أركان الدين الإسلامي الحنيف .

وكان من أثر عناية الخلفاء بذالك الطريق ان كانوا يعينون له والياً ، تكون ولايته في الغالب شاملة للقبائل التي تقع بلادها فيه أو قريبة منه .

وكان ممن أسند اليه ذلك العمل ، في آخر القرن الثاني الهجري محمد بن عبد الملك بن حبيب بن تمام بن منقذ من بني فقعس ثم من بني أسد بن خزيمة .

ويعرف ، بمحمد بن عبد الملك الفقعسي الأسدي .

ومحمد هذا من رجال القرن الثاني الهجري ، ولا تمدّنا المصادر التي بين أيدينا بترجمة وافية له ، توضح ما نحن بحاجة الى ايضاحه من أحواله .

وجلّ ما نعرف عنه :

١ — انه عاش في أعلى بلاد القصيم ، في ضفاف وادي الرمّة ، في قرية تدعي (الشّركة) في جبل أبان الأسود[1] ، وأن لمحمد هذا في هذه القرية عينا أجراها هو .

(*) مجلة «العرب» س ١ ص ٩٩٩ .

(١) معجم البلدان مادة (الشركة) .

ولكنه في آخر عهده انتقل الى بلدة (فيد) حينما تولى الاشراف على طريق الحج.

و(فيد) قرية لا تزال معروفة، شرقي جبل سلمى، أحد جبلي طيء وكانت هذه القرية أهم محطّة في طريق الحج، وتعتبر المركز الرئيس فيه.

وكان محمد كثير الحنين الى مرابعه القديمة مثل (صارة) وهي معروفة الآن و(صحير) وهم جبيل صغير شمال جبل (قطن) الجبل المعروف الآن، المشرف على قرية (الفوّارة) و(صحير) غرب وادي (الجرير) الذي يفرغ في (ثادق) وثادق يفرغ في (الرمّة). وأم محمد من بني عبس بن قعين من بني أسد، لا عبس غطفان، وأخواله كانوا ينزلون صحيراً ونواحيه.

وذكر صاحب «الفهرست» في ترجمة عبدالله بن أبي صُبْح المزني أن له مع الفقعسي أخبارا طريفة[1].

والمقطوعات القليلة الموجودة بين يدينا من شعره، جلّها في الحنين الى مرابع هواه. ومنها ما هو في مدح بعض الزبيريين، ويظهر أنه كان قوي الصلة بهم وخاصة عبدالله بن مصعب بن ثابت.

وكان الزبيريون يتولون كثيراً من أعمال البادية في عالية نجد، واختلطوا بأهلها اختلاطا قوياً.

ويصف محمد بن حبيب ولاية الفقعسي لقبيلتي أسد وطيء، وصفاً يدل على ما كان يتصف به أثناء ولايته من كرم الخلال فيقول[2]: (أدركت عبدالله بن وزر النبهانيَّ الطائي سنة تسعين ومائة، وهو والي الحليفين طيء وأسد، فولى بني أسد، وترك قومه، وولى بعده محمد بن عبد الملك الفقعسي، فولي طيّئاً وترك قومه، فحمدا جميعا).

ولا شك ان ذلك ممن جعل له منزلة لدى الخلفاء الذين عاصرهم، ومن كان في عصرهم من رجال الدولة[3].

(١) ص ٤٩ طبعة فلوجل.

(٢) «مختصر جمهرة النسب»: نسخة مكتبة راغب باشا في اصطنبول — ص ٢٦٨).

(٣) ذكر ابن الجراح في الورقة (ص ١٢): إنه مدح في عصر الرشيد والمأمون كثيراً من الجلّة.

ولا نستطيع أن نحدد الزمن الذي عاشه الفقعسي ، ويظهر أنه أدرك أول القرن الثالث ، فالصلاح الصفدي يقول عنه :[١] (أدرك المنصور ، ومن بعده من الخلفاء الى المأمون) وأورد شيئاً من شعره في مدح المأمون ، مما يستنتج منه أنه قاله فيه بعد أن استقامت له الأمور ، والمأمون ـــ كما هو معروف ـــ تولى الخلافة فيما بين سنتي ١٩٧ و٢١٨ هـ .

ويصف ابن النديم في « الفهرست » والصفدي في « الوافي »[٢] محمدا بأنه من الاعراب الفصحاء ، ويظهر أن هذا الوصف فيه تجوز ، فمحمد ليس اعرابياً بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة ، فقد تحضّر ، واستوطن القرى ، في قريته القديمة (الشركة) ثم في قرية (فيد) .

ويظهر أن كلمة (الاعرابي) جرى التوسع في استعمالها بحيث أطلقت على من شابه الاعراب في زيّهم ومختلف حالاتهم ، وخاصة ممن كان يقيم في الجزيرة بعيداً عن المدن ، ولو كان مستوطناً في بلدة .

أما ما ذكر ابن الجراح في « الورقة »[٣] من أنه كوفي فالمتقدمون كثيراً ما ينسبون المرء الى البلدة التي يكثر التردد اليها وخاصة من يجهلون بلدته ، أو من كان من أهل البادية .

ويذكر ابن النديم ـــ وعن كتابه أخذ الصفدي ـــ ان من مؤلفات الفقعسي هذا : «كتاب مآثر بني أسد وأشعارها » .

وهذا مما يدل على أن الرجل من العلماء الذين عنوا بالتأليف ، ونجد في بعض المؤلفات نقولا موجزة عنه تدل على سعة اطلاعه ، وخاصة فيما يتعلق بجزيرة العرب ، فالبكري[٤] ينقل عن عمر بن شبّة النميري قولاً منسوباً الى محمد هذا نصه : الحجاز اثنتا عشرة داراً : المدينة ، وخيبر ، وفدك ، وذو المروة ، ودار بلّي ، ودار أشجع ، ودار

---

(١) « الوافي بالوفيات » .
(٢) « الوافي بالوفيات » ج٤ ص ٣٥ .
(٣) ص ـــ ١٢ ـــ .
(٤) « معجم ما استعجم » ـــ ص ١٠ ـــ .

مزينة ، ودار جهينة ، ودار بعض بني بكر بن معاوية ، ودار بعض هوازن ، وجلّ سليم ، وجلّ هلال .

ويصفه ابن النديم[1] بأنه : (راوية بني أسد ، وصاحب مآثرها وأخبارها ، وكان شاعراً أدرك المنصور ومن بعده ، وعنه أخذ العلماء مآثر بني أسد) .

أما شعر محمد بن عبد الملك الفقعسي فقد ذكر صاحب الفهرست ، أنه يقع في مئة ورقة[2] ، الا ان القدر الذي وصل الينا — حتى الآن — قليل .

وها هي نماذج من شعره ، هي كل ما استطعت العثور عليه منه .

مـا بالهـوى خفاء :

وانّ مـــروری بـــالـــديـــار التي بها
سـلـيـمى ولم ألمم بها لجفـــاء[3]

وما بالهوى يا أم عمرو ، ولا الذي
تحمّلت من وجـد عـليك — خـفـاء

على أنـنّي يـا أم عـمـرو تهيـجني
ديـار لـكـم — بـالأبـرقين — خلاء

لكن القريب غريب !

(وورد الى بغداد ، فحن الى وطنه ، وذكر أُحُداً وغيره من نواحي المدينة) .

نـفى الـنوم عني فـالـفؤاد كـئـيب
نـوائب هـمّ ، مـا تـزال تـنوب

وأحـراض أمـراض بـبـغـداد جـمـعت
علي ، وانهار لهنّ قسـيـب

(١) «الفهرست» — ٤٩ — طبعة فلوجل .
(٢) «الفهرست» ص ١٦٣ — طبعة فلوجل .
(٣) المنازل والديار لأسامة بن منقذ (١/١٥٧) .

وظـــلّت دموع الـعين تمرى غــروبها
من الماء دارات لهن شــــــعوب
وما جزع من خشيـة الموت أخضلت
دموعي ، ولــكن الـغـريب غـريب
ألا لـيت شعـري هـل أبـيّتن لـيلة
بسـلـع ولم تـغـلق عـليّ دروب ؟!
وهـــل أحـــد بـساد لـــنـا وكـأنــه
حصـان أمـام المقـربـات جـنـيب ؟
يخبّ السّراب الضّحـل بـيني وبـينه
فـيـبـدو لـعـيـي تـارة ويـغـيب
فـإن شــفـائي نـظـرة ان نـظـرتها
الى أحــــد والحرّتـــان قـــريب
واني لأرعى الـنـجـم حـتى كـأنني
على كــل نجم في السـمـاء رقـيب
واشـــتـــاق لـــليرق اليماني ان بـــدا
وازداد شوقـــاً ان تهب جـــنوب[1]

ليس لهم ذنوب :

قال في المأمون :

أمير المؤمـنين ! عـفوت حـتّي كأنّ الناس ليس لهم ذنوب[2]

صارة ، والقنـان :

وهل تبدّون لي بين عرفة صارة وبين خراطيم القنان حدوج[3]

---

(١) «معجم البلدان» مادة (أحد).
(٢) «الوافي» ٤/٣٥ .
(٣) «معجم البلدان» : عرفة صارة .

سقى جَدَثاً :

وقال يَرْثي عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير (١١١/١٨٤)[١] .

ذكرت أبا بكر علي حين أشرفت ... عليّ العوادي، والعيون اللوامح
فقلت- ولم أملك سوابق عبرة ... لها وشل من ذارف الدمع سافح :
سقى جدثا بين الحزانة والرُّبى ... ربى رقة الشام الذهاب الروائح
فماذا حوى من سؤدد ومروّة ... ومن شرف تطوى عليه الصفائح
وزير الملوك، وابنهم وأخوهم ... وأكرم من ناحت عليه النوائح
كأنّ أبا بكر أخا الجود لم تزر ... به حرم البيت العتاق الطلائح
ولم يشهد الأبطال في يوم غارة ... يعوم به طرف من الخيل سابح
ولم يقرع الباب الذي لا يرومه ... وحاجبه إلا القروم الجحاجح
أألآن لما أسند العزّ ركنه ... إليك ومَاحَتْكَ الدلاء الموائح ؟
ذهبت، وأخليت البلاد، وعرّيت ... ركاب الوفود، والأمور الفوادح ؟
ألا قاتل الله المقادير والمنى ... وطيرا جرى منها سنيح وبارح !
وإكذابِيَ الأخبار، حتى تتابعت ... ونادى بها داع عدّو وكاشح !
وقولي لنفسي : إنما الطير هاجس ... فدعها ولا تذعرك منها السوائح !
فلما تبينت اليقين وباح لي ... ببعض الذي قد كنت حاذرت — بائح
تَجَلَّدت للأعداء ثمّت عزني ... على الصبر حزن أضمرته الجوانح !
فظلت تجلاني من الوجد غشية ... ومايح من عيني دمع ممايح
على رجل أما نوافل جوده ... فتجدي، وأما الوجه منه فواضح ! !

الناس مختلفون :

(في الفضل بن الربيع)

الناس مختلفون في أحوالهم ... وابن الربيع على طريق واحد[٢]

---

(١) «جمهرة نسب قريش» ١٢٤/١ إلى ٢٥٦ .

(٢) «معجم البلدان» مادة (أحد) .

سقى الله حيّاً :

سقى الله حياً بين صَارَة والحمى حِمَى (فَيْد) صَوْبَ الْمُدْجَنَات المواطر
أمين ، وردّ الله من كان منهم اليهم ، ووقاهم صروف المقادر
كأني طريف العين يوم تطالعت بنا الرمل سلاّف القلاص الضوامر
أقول لقمقام بن زيد اما ترى سنا البرق يبدو للعيون النواظر؟
فإن تبك للوجه الذي هيج الجوى أعنك وان تصبر فلست بصابر[1]

إمدح كريم بني العباس :

وأورد الزبير بن بكّار له في كتابه[2] : «جمهرة نسب قريش وأخبارها» في مدح عبد الملك بن يحيي بن عباد الزبيري ، تولى للمهدي أعمالا ، وكان من مشاهير الزبيريين ، ترجمه الخطيب البغدادي[3] .

إمدح كريم بني العباس ان له مناقبا لم ينلها قبله بشر
حاشا النبي وقوم قد مضوا معه هم الذين اليهم دارهم هجروا
أعنى ابن يحيي بن عبّاد فإن له سوابق المجْد ، قد قرّت بها مضر
عبد المليك الذي عمّت صنائعه كما يعمّ البلاد المحلة المطر
قد أحكمته النهى في حسن تجربة فهو البصير بما يأتي وما يذر
انّي وجدت بني يحي إذا جُهِرُوْا هم البحور بحور المجْد والغرر

حيّا الإله أبا بكر :

وقال يمدح عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير[4] :

---

(١) «معجم البلدان» — صارة — والبيتان الأولان «معجم ما استعجم» — حمى فيد — .
(٢) ٧٩/١ .
(٣) «تاريخ بغداد» : ٤٠٨/١٠ .
(٤) «جمهرة قريش» ١٢٤/١ إلى ١٥٦ ٣٥/٤ والبيتان السادس والتاسع في «الوافي بالوفيات» .

حيا الإله أبا بكر وكرّمه — وزاده الله من تفضيله شرفاً
إنا نراه — ادام الله مدته — من الحواري إلا سبقه خلفا
هو الحلاحل حلما، والحيا كرما — والليث عينا إذا ما هم أو عسفا
كأنه حين يعتن البيان به — غيث يسحّ سجالا لم تكن نزفا
في وابل برد يحتث وابله — منه صبير تَرَى في نقعه غرفا
إني وجدتك في جرثومة فرعت — فرعي قريش إذا ما واصف وصفا
إن الحواري والصديق إن نسبا — جدّاك، نالا العلى واستوجبا الغرفا
وحمزة الليث والعباس إن ذكرا — خالاك لم يورثا ضيقا ولا حففا
فأنت من هاشم في سر نبعتها — بحيث حلت وسيطا لم تكن طرفا
وأنت من أسد العزى لأكرمها — كهلا وأفضلها إن عدّدت سلفا

لاح ابن يحيى :

وأورد الزبير بن بكار له في مدح عبد الملك بن يحيي بن عباد الزُّبيري[1] :

انّ الكرام جروا حتى إذا احتفلوا — وجاش كل كريم الجرى سبّاق
وأبصر الناس من يفري ذوي مهل — صاف وعزّ وأحلام، وأعراق
لاح ابن يحيي أمام السابقين كما — لاح الصباح بفجر قبل اشراق
عبد المليك الذي فاضت صنائعه — على القبائل من عرف واطلاق

حيّاك يا ابن مصعب :

قال في مدح عبدالله بن مصعب بن ثابت[2] :

حياك يا ابن مصعب حياكا — ربّ السموات الذي أعطاكا
مكارما ورثتها أباكا — لا تنبغي لأحد سواكا

---

(١) «جمهرة نسب قريش» ١/٧٩ .
(٢) أوفى ترجمة لمصعب هذا في كتاب «جمهرة نسب قريش» من ص ١٢٤ إلى ص ١٥٦ . وهذا الرجز ص ١٤٣ .

ان الحوارى اذا عزاكا عاز وصديق الهدى جدّاكا
فخير كهلي رجل كهلاكا كم من غني كان من غناكا ؟
ومن فقير عاش في ثَرَاكَا ومن أسير كان في أسراكا ؟
ففك عنه غلّه تقواكا

تبدّلت بوصا :

قال حين استعمل على (فيد) :

تبدّلت بوصا من , صحير وأهله
ومن برق التّينين نوط الأجاول[1]

نياط من طلح : أودية فيها طلح . والأجاول : أجبال . وبوص : حذاء فيد . التينان : مثنى التّين : جبل لا يزال معروفاً شمال وادي الرّمة ، بقرب وادي الجرير .

سوداء مليحة :

وسوداء من سود النساء مليحة
تميل بها اردافها فتميل
فما بكرة بالدوّ، عيطاء كبشة
من الرمل فيها هزّة وذميل

بأوطا منها مركبا حين ينتحي بها عن سبيل الناعجات سبيل
وفي كل ألوان الأباعر رحلة وفي كل ألوان النساء قبول
وما هذه النسوان إلا نجائب تراض، فمنها ساقط ورحيل[2]

---

(١) «بلاد العرب» للغدة الأصفهاني — مخطوط — .
(٢) «الورقة» — ص ١٣ — .



الشاعر ابن المقـرب
في كتب التراجم (*)

رام أحد الاخوان أن أبين له ما أعرف عن حياة الشاعر ابن المقرب الاحسائي مما ورد ذكره في كتب التراجم . وهأنا أوضح ذلك ، مراعياً الترتيب من حيث الزمن للمؤرخين :

١ ـــ ياقوت الحموي المتوفي ٦٢٧ هـ : قال في معجم البلدان «مادة العيون» : وبالبحرين موضع يقال له العيون ينسب إليه شاعر قدم الموصل ، وأَنَابِهَا ، واسمه علي بن المقرب بن الحسن بن غرير بن ضبار بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم العيوني البحراني لقيته بالموصل سنة ٦١٧ هـ وقد مدح بها بدر الدين وغيره من الأعيان ، ونفق فارفدوه وأكرموه . ومن شعره من قصيدة في بدر الدين ـــ صاحب الموصل :

حطوا الرحال فقد أودت بها الرحل ... ما كلفت سيرها خيل ولا إبل
بلغتم الغاية القصوى فحسبكم ... هذا الذي بِعُلاه يضرب المثل

وليست بالطايل عندي .

٢ ـــ ابن نقطة البغدادي الحنبلي المتوفي سنة ٦٢٩ .

قال في كتابه الذي استدرك به على كتاب ابن ماكولا ... وأبو الحسن على بن مقرب بن منصور بن مقرب بن غرير البحراني شاعر مجيد مليح مليح الشعر قدم علينا بغداد فأنشدنا قصائد من شعره) وقال «في مادة ضبار» وأما ضبار ، بفتح الضاد المعجمة ، وتشديد الباء المعجمة بواحدة ، واخر راء ، فهو أبو الحسن علي بن المقرب بن الحسن بن غرير بن ضبار بن عبدالله البحراني تقدم ذكره .

٣ ـــ وقال ابن الشعار الموصلي المتوفي سنة ٦٥٤ في كتابه (قلائد الجمان ، في شعراء

(*) اليمامة العدد ٣١٢ الأحد ٧ رمضان سنة ١٣٨١ (١٢ فبراير سنة ١٩٦٢) السنة التاسعة .

الزمان) المصور في معهد المخطوطات :

علي بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبدالله بن علي ابن محمد ابن إبراهيم بن محمد أبو عبدالله الربعي البحراني العيوني ، هكذا أملي على نسبه من حفظه ، وهو من موضع بالبحرين يقال له العيون ، أخبرني أنه ولد به في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، وتوفي به اواخر المحرم سنة ثلاثين وستمائة . وكان شاعراً مجوداً منتجعاً . كثير المدح قليل الهجاء جيد القول متينه ، قوي اللفظ رصينه . وهو أحد الشعراء الموصوفين المشاهير في عصرنا المعروفين ، أقر له بالحذق أئمة العراق من ذوي الأدب والعلم . ومذهبه في الشعر مذهب الشعراء المتقدمين . في جزالة الألفاظ . وإبداع المعاني . رحل إلى الملوك وامتدحهم فأحسن . ومدح الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم : الناصر لدين الله والظاهر والمستنصر بالله رحمه الله . شاهدته بمدينة السلام سنة ثلاث عشرين وستمائة . وأنشدني الكثير من قوله . ومعظم شعره يحفظه ويورده . ولم يتوقف في إيراده ولا يجد بذلك سآمةً ولا ضجرا ومن شعره يقول من قصيدة يمدح بها مولانا الملك الرحيم بدر الدنيا والدين عضد الإسلام والمسلمين ، تاج الملوك والسلاطين ، ملك أمراء الشرق والغرب أبا الفضائل غرس أمير المؤمنين ، كبت الله أعاديه وقصم ضده ومناويه .

حطوا الرحال فقد أودى بها الرحل ... ما كلفت سيرها خيل ولا إبل
هذا هو الملك بدر الدين خير فتى ... به تعلق للراجي الغنا أمل
هذا الذي لو يباري فيض راحته ... فيض البحار لما أضحى بها بلل
هذا الذي بالندى والبأس يعرفه ... وبالتقى كل من يحفي وينتعل

وهي قصيدة طويلة ولم أجد منها سوى ما ذكرته فان عثرت بباقيها ألحقته في مكانه إن شاء الله تعالى .

وأنشدني لنفسه في التاريخ المقدم ذكره .

إلَى مَ أورد عتبا غير مستمعٍ ... وأنفق العمر بين اليأس والطمع

وكم أحيل على الأيام مُفْتَرِيا ... ما تحدث البدع النوكى من البدع
آليت أنفك من حل ومرتحل ... وأن تقول لي الأمال خذ ودع

وقوله :

وقائله والعيش تحدج للنوى ... ودمع الجوى في الخد قد جال جائله
عليك بصبر واحتساب فانما ... يفوت المنى من راح والصبر خاذله
ولا ترم بالأهوال نفساً عزيزة ... فذا الدهر قد أودى وقامت زلازله
فكم كربة في غربة ومنية ... بأمنية والرزق ذو العرش كافله
فقلت لها والعين شكرى بزفرة ... أرددها والصدر جم بلابله
أبا لموت مثلي ترهبين وبالنوى ... وعاجله عندي سواء وآجله
فللموت أحلى من حياة ببلدة ... يُرِي الحر فيها الغبن من لا يشاكله

٤ ــ وقال الحافظ المنذري المتوفي سنة ٦٥٦ في كتابه (التكملة لوفيات النقلة) في ذكر وفيات سنة ٦٢٩ ــ :

ويقال أبو الحسن على بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار ابن عبدالله بن حسن بن إبراهيم الربيعي العيوني البحراني الاحسائي الشاعر بالبحرين . ومولده في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بالأحساء من بلاد البحرين وقيل إنه توفي في رجب من هذه السنة .

قدم بغداد وحدث بها بشيء من شعره ، كتب عنه غير واحد من الفضلاء ودخل الموصل أيضاً ، ومدح ملكها ، وأقبل عليه أهل البلد أيضاً ، وكان شاعراً مجيداً مليح الشعر وقيل أنه من بكر بن وائل .

وعزيز بفتح العين المهملة وكَسْر الزَّاي وبعدها ياء آخر الحروف ساكنة وزاي .

وضبار بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء الموحدة وفتحها وبعد الألف راء مهملة . والعيون بضم العين المهملة والياء آخر الحروف جمع عين وهي ناحية بالبحرين . والعيون أيضاً مدينة بالأندلس يقال لها جبل العيون .

والبحراني بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وبعد الألف وياء النسبة .

والاحساء ممدود الهمزة وبسكون الحاء وفتح السين المهملة .

وفي بلاد العرب مواضع تسمى الاحساء غير هذا أيضاً . انتهى وكلمة (يقال) في أول الترجمة تدل على الشك .

٤ ـــ وقال ابن الفوطي البغدادي المتوفي سنة ٧٢٣ في كتابه (تلخيص مجمع الآداب) .

موفق الدين أبو القاسم علي بن المقرب بن الحسن بن العزيز البحراني العيوني الشاعر ذكره ابن الشعار في كتابه وقال كان يعقد القاف كافا وكان شاعراً مسترفدا جزل الألفاظ فمن شعره في مدح السلطان بدر الدين لؤلؤ صاحب الوصل حطو .. .. هذا وله ديوان موجود مولده بالاحساء ، من البحرين سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة توفي بالبحرين في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة .

٥ ـــ وقال : الصفدي المتوفي سنة ٧٩٤ في (الوافي) الورقة ٨٩ج ٢٢ النسخة المصورة عن نسخة مكتبة الفاتح في اسطنبول :ـــ

علي بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن صبار بن عبدالله بن علي أبو عبدالله الربعي البحراني العيوني من أهل العيون بأرض البحرين ، ذكر أنه من ربيعة الفرس ولد سنة اثنتين وخمسمائة وتوفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة ومن شعره :

ألا رحلت نعم واقفر نعمان

(ثم أورد أربعة أبيات من هذه القصيدة وهي في ديوانه) .

٦ ـــ وفي كتاب «زهرة الرياض وزلال الحياض» للحسن بن علي بن شَدْقَمٍ المدني (٩٤٢ ـــ ٩٩٩هـ) في (الخزانة التيمورية) برقم ٦٣٧ تاريخ ـــ ترجمة مطولة لابن المقرب ، أشرت إليها فيما أضفته إلى كتاب «تحفة المستفيد» في تاريخ الأحساء ، للشيخ محمد بن عبد القادر ـــ وانظر عن «زهر الرياض» كتاب «رحلات للبحث عن التراث» ص ٢٤٣ وما بعدها .

ولن تفوتني الإشارة إلى أنني قد أمددت أحد من قاموا بنشر «ديوان ابن المقرب» بمراجع ترجمته ، فأشار إلى ذلك بطرة النسخة التي بعثها إليّ ، وتناساه في المقدمة ! !

القسم الثاني

دواوين قرأتها

طبقات فحول الشعراء

شعر الدعوة الإسلامية — في عهد الرسالة

حاتم الطائي (جاهلي)

زهير بن أبي سلمى (جاهلي)

الحادرة (جاهلي)

زيد الخيل صحابي

أبو دهبل الجمحي توفي سنة ٦٣

المتوكل الليثي — أدرك معاوية

عبدالله بن الزَّبير الأسدي

جميل بن معْمَر سنة ٨٢

الطِّرمَّاح بن حكيم الطائي



طبقات فحول الشعراء (*)

تأليف
محمد بن سلام الجمحي
١٣٩ — ٢٣١ هجرية

قرأه وشرحه
محمود محمد شاكر

أشارت «العرب»[1] إلى قيام أستاذنا المحقق العالم الجليل محمود محمد شاكر بإعادة تحقيق كتاب «طبقات فحول الشعراء» ونشره في أبهى صورة نشر فيها كتاب عربي هذه الأيام من حيث جودة العمل تحقيق نَصٍّ، وإيضاح مُبْهَم، وتوثيق رواية.

وتواضعُ أستاذنا (أبي فهر) — زاده الله رفعةً وفضلاً — حمله إلى أن يقول في المقدمة عن كلمة كتبتها عن الطبعة الأولى: (وقد أصاب حَمَدٌ في جُلِّ ما قاله، أوكله) وأن يختم المقدمة راجياً من كل ذي رأي في شيء مما ورد في الكتاب بعثه إليه، وهذان الأمران هما اللذان دفعاني إلى مجاذبة أستاذنا الجليل الحديث، في كلمات عرضت لي أثناء الاستفادة من هذا الكتاب النفيس والاستزادة من علم أستاذنا الجليل، وتكاد تلك المجاذبة تنحصر في مسألة واحدة هي موقف الباحث من تحديد العلماء المتقدمين لأيٍّ موضع من المواضع مع العلم:

(١) أن أكثر العلماء الذين ألفوا مؤلفات في ذلك الموضوع ليسوا من أهل البلاد التي يحاولون تحديد مواضعها.

(٢) أنهم ينقلون ما يذكرون عن رواة أو عن كتب، ومعروف ما يتصف به كثير من الرواة والنقلة، وما اعترى كثيراً من الكتب من التحريف.

(٣) أن تحديد المواضع لم يكن في أول العهد بالتدوين علماً قائماً بذاته وإنما كان

(*) مجلة «العرب» — المجلد التاسع — ص ١٣٠.

(١) ص ٩٥٦ س ٨ وقد سبق القلم هنا بكنية أستاذنا بأبي (قصي) بدل (فهر) فمعذرة؟

وسيلة لفهم بعض معاني الأشعار أو الأخبار ، ولهذا لم يجد من متقدمي العلماء الموثوق بهم عناية تامَّة .

(٤) أنَّ كثيراً من أسماء المواضع التي تصدّى المتقدمون من العلماء لتحديدها وردت في الشعر ، وفيه المنحول وغير الصحيح وكذلك ما ورد فيه من أسماء المواضع .

(٥) أن تحديد المتقدمون للمواضع وقف قبل مئات من القرون ، فبعد ياقوت الحموي (٥٧٤ ــ ٦٢٦ هـ) رحمه الله لم يصل إلينا كتاب على نمط «معجم البلدان» ولم نسمع بأنَّ عالماً نحَا نحو ياقوت خلال سبعة قرون مضت بعده ، وكل ما نراه في مؤلفات أهل تلك القرون ترديد أو اختصار أو تحريف لما في كتب أولئك العلماء المتقدمين ، الذين لا ينكر فضلهم أو يحاول تقليل عملهم ، أو يشك في حسن قصدهم إلا جاهل .

إن مقام أستاذنا في العلم أجل من أن يرضى لأي طالب علم الوقوف موقف المسلم عند أيِّ قول من أقوال أحد المخلوقين ــ باستثناء ما صح عن المصطفى ﷺ وما اتفق عليه علماء المسلمين من قواعد الدين وأصوله ــ ومنه تعلَّمنا أن من احترامنا للعلماء توجيه كلامهم أحسن توجيه وأقربه إلى الحق ، أما فيما يتعلق بتحديد المواضع فقد رسم لنا طريقاً لاحِباً في ذلك بما جاء في كثير من تعليقاته على بعض النصوص الواردة في معاجم الأمكنة القديمة . وأكتفي بالإشارة إلى ما كتبه حول (قباء) و(قناة) في قول عبدالله ابن الزِّبَعْرَى :

حين أَلْقَتْ بـ(قناةٍ) بَرْكَهَا واستَحَرَّ القَتْلُ في عَبْدِ الأَشَلْ

وملخصه : (في جميع ما وقع في يدي من الكتب (بقباء) وقباء قرية على ميلين أو ثلاثة من المدينة على يسار القاصد إلى مكة فهي إلى جنوب المدينة ، وهذا أمر مشكل كل الأشكال ، فلم أَرَ أحداً ذكر أن القتال يوم أُحْدٍ نشب في قباء ، وجبل أحد في شمال المدينة بينها وبينه ميلٌ أو نحوه ، ويقول البكري : (أحد : جبل تلقاء المدينة دون قناة[1] إليها) فأكاد أرجح أن في رواية هذا الشعر خطأ قديماً جدّاً ، وأن صواب الرواية

(١) قول البكري : (دون قناة) صوابه (دزن قناة) إذ وادي قناة بين أحد وبين المدينة .

ما أثبته في الشعر . وأورد الأستاذ الأدلة على صحة ما رآه ، وهو رأي صريح حقّاً ، وجريء ، لكنه عين الصواب فيما يجب أن يقفه الباحث حيال ما يعترضه من النصوص المشكلة من كلام المقدمين في تحديد المواضع ، إن أستاذنا — على سعة إطلاعه سعة لا يساميه فيها أحد في علماء عصرنا على ما خلفه لنا سلفنا الصالح من تراث — يرفض ما (في جميع ما وقع في يديه من الكتب) ويختار ما هداه إليه البحث وذلك بعد تعمق في الدراسة ، وتتبُّعٍ لجوانب الموضوع ، وإعمال فكر ثاقب في مختلف النصوص . وإذن فلا تتريب على من وجد أقوالاً مختلفة ، أو تحريفاً في اسم ، أو نقصاً في تحديد موضع ، حينما يعمل فكره في اختيار ما هو أقرب إلى الصواب ، وإن لم يُؤْتَ ما أوتي أستاذنا من سعة الاطلاع ، وهذا ما أحاوله في ملاحظاتي على هذه المطبوعة الجديدة من كتاب «طبقات فحول الشعراء[1]» .

١ — ص ٥٩ — قال النابغة الجعدي :

هلّا فخرتَ بيومي رحرحانَ وقد ظنَّتْ هوازانُ أنَّ العزَّ قد زالا

قال الأستاذ : (رحرحان : جبل قريب من عكاظ خلف عرفات ، ويوما رحرحان لبني عامر بن صعصعة — هوزان — علي بني تميم) . هذا القول ورد في «معجم البلدان» وفيه خطآن :

(١) أن رحرحان قريب من عكاظ .

(٢) أنه خلف عرفات ، فرحرحان جبل لا يزال معروفاً ، وقد حدده من المتقدمين أبو علي الهجري[2] في كلامه على (حمى الربذة) فعدّه غربها في طريق المتجه منها إلى المدينة ، وحدد المسافة بينه وبينها ببريدين (٢٤ ميلاً) أما عكاظ فيقع في أسافل أودية الطائف (شرب والعرج) وغيرهما حينما تفضي إلى رُكْبَةَ ولا صلة لأحد الموضعين بعرفة ،

(١) ملاحظاتي على الطبعة الأولى نشرتها في مجلة «اليمامة» في جزء ذي الحجة سنة ١٣٧٢ هـ .
(٢) «أبو علي الهجري» ص ٢٤٢/٣٤٠ .

وإنما الذي خلفها بجوارها سوق المجاز ، ولعل أصل الكلام في تحديد أسواق العرب ، فحصل فيه سقط ، أو أن الذي قال إنه قريب من عكاظ اعتمد على بعض مبالغات الشعراء كقول الشماخ :

سرتْ من أعالي رحرحان فأصبحت بفيد ، وباقي ليلها ما تَحَسّرا

وهذا غير معقول أيضاً فالمسافة بين رحرحان وفيد تزيد على ٢٠٠ ميل ولا يمكن قطعها في جزء من ليلة ، أما المسافة بين رحرحان وعكاظ فإنها لا تقل عن ٥٠٠ كيل . يقع جبل رَحرَحان شرق الحناكية (نخل قديماً) على مسافة تقرب من ٢٠ كيلاً ويدعه طريق المتجه إليها من الربذة (التي تعرف الآن بِأُمّ سليم ، قرب بئر النفازي) يساره ، كما يدعه طريق المتجه من النقرة إلى الحناكية يساره أيضاً ، والطريقان يمران على مقربة منه (يقع رحرحان بقرب خط الطول ٤٥/ ٤٠ْ وخط العرض ٥٠َ/٢٤ْ) .

٢ — ص ١٠٦ : (فاعترضه مزرد بن ضرار فقال :

وأنت امرؤ من أهل قُدسِ أُوارةٍ أحلتك عبدالله أكناف مبهل

مبهل : جبل لعبدالله بن غطفان ، وقدس أوارة جبل لمزينة) وعلق الأستاذ : (الخلاف في قدس أوارة طويل . أنظر «معجم ما استعجم ١٠٥٠ فهو يرويه ويصححه «قدس وآرة» ويقول : قدس جبل لمزينة وهما بين حرة بني سليم وبين المدينة وأنظر ما قاله أخي الأستاذ العلامة حمد الجاسر في نقده لهذا الكتاب) انتهى . ولكن ألا يعلم أستاذنا أن ليس في مستطاع كل قارىء الاطلاع على ما نشر في مجلة صدرت منذ ربع قرن ، وليس للمجلة من الرواج والانتشار ما ييسِّر الاطلاع عليها ، وللأستاذ ألَّا يقنع بما أورده البكري ، وحقاً ما أورد هنا من أن صحة رواية البيت (من أهل قدس وآرة) ، أفندع ما نعلمه ونشاهده رأي العين لأنه لا يتفق مع ما أورده ابن سلَّام ، وقد يكون من تحريف النساخ ؟! إن آرة جبل مزينة المجاور لجبل قدس لا يزال معروفاً[1] وأوارة جبل آخر في شرق الجزيرة ، وهو معروف أيضاً بقرب مدينة الكويت ، ولا صلة له بجبل

---

(١) أنظر مجلة «العرب» ص ٤٩٧/٣٧٣ س ٨ .

قدس ، ولا ببلاد مزينة ، ورواية ابن سلّام غير صحيحة ، وهذا ما نريد أن يعرفه دارسو الشعر ، لا معلومات خاطئة .

٣ — ص ١٣٤ قول الشماخ :

أتـتني سُـليم قضُّـهـا وقضيضُـهـا تُـمسَّـح حـولي بـالـبـقـيـع سـبـالها

قال الأستاذ : (البقيع : هو بقيع الغرقد ، كانت فيه مقبرة أهل المدينة) . وكنت ظننت أن الصواب (النقيع) الذي تتنازعه سليم ومُزَينة ، غير أن أستاذنا أقنعني بأن الشاعر يشير إلى أمر وقع في المدينة ، وإذنْ فلا أرى لبقيع الغرقد محلاً هنا ، ولعل المقصود هو بقيع الخيل الذي كان سوقاً للمدينة كما أوضح ذلك السمهردي في «وفاء الوفاء[1] » إذ أورد عن عائشة رضي الله عنها : كان يقال لسوق المدينة بقيع الخيل — إلى أن قال — : والبقيع هنا هو المراد بقول ابن عمر : إني لأبيع الإبل بالبقيع بالدنانير وآخذ مكانها الدراهم وأطال في ذلك .

٤ — ص ٩٣ : قال عبد بني الحسحاس :

ومـا حـركـتـه الـريح حتى ظننته بحَرَّة لـيلى أو بـنـخـلـة ثـاويـا

وقال الأستاذ : (حرة ليلى القصوى : حرة بني سُلَيْم من الحجاز ناحية المدينة) ١.هـ.
وقال — ص ٢٤٨ في شرح قول حسان :

إذا سلكتْ حوران من أرض عالج فـقـولا لها : إنَّ الـطريق هنالك

حوران : جبل عن مَيَامِنِ حرة ليلى القصوى ، وهو أدنى أعلام الشام ، وهي من منازل العرب الذين تشاءموا . وما أريد إضافة قوله هنا هو أن حرَّة ليلى غير حَرَّة بني سُلَيم ، ويفهم هذا من كلام الاستاذ أنها في نواحي الشام ، ومعروف أن حرة بني سليم بل جل بلادها جنوب المدينة وشرقها ، لا شمالها وقد حدّد الحرار أحسن تحديد الهجري فقال ما ملخصه : حرار العرب أولها حرة بني هلال — إلى أن قال : (حرة بني سليم

---

(١) ص ٧٥٤ و ٧٧٥ الطبعة الثانية تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

تبتدىء من ذات عرق ورهاط ثم تنقطع بجبس عوال وراء تيب إلى قرب الطرف ، المنزل الذي قبل المدينة ، ثم تليها حرة النار ... ثم تليها حرة ليلى وتنقطع بجنفاء من ضغن عَدَنة) — فهو — كما ترى — فرّق بين الحرتين[١] .

٥ — ص ١٧٨ — قال سويد بن كراع العكلي :

خليلي قوما في عطالة فانظرا   أناراً تُرى من ذي أبانين أم برقا

قال الأستاذ : (عطالة : جبل منيف في بلاد بني تميم ، وأبانان : جبلان شامخان في ديار بني عبد مناف بن دارم أحدهما أسود والآخر أبيض ورواية «الأعين» : أناراً أرى من نحو يبرين) ا.هـ. إن تعريف المواضع بنسبتها إلى سكانها الأقدمين هو من قبيل : (وفسَّر الماء بعد الجهد بالماء) لأن جلَّ تلك القبائل زالت عن مواضعها وحلها غيرها . وقد كان المتقدمون يسيرون على هذه الطريقة حينما كانت تلك القبائل في مواضعها القديمة في صدر الإسلام ، أما الآن فينبغي أن نبحث عن أيسر السبل التي تمكن دارس الشعر والأدب من الاستفادة ، وقد يقال : إن هذا التحديد هو ما بين يدي القارىء ، وهو كل ما يستطيع تقديمه ، ومطالبته بغيره (كمكلف الأيام ضد طباعها) وهذا حق ومن هنا ندرك ضرورة دراسة تلك المواضع دراسة جديدة ، لنحاول تحديدها تحديداً يمكن من معرفتها معرفة صحيحة كأن نقول :

(١) عطالة جبل ذكر المتقدمون — كما في «معجم البلدان» أنه بأرض السودة في بلاد بني تميم . وأرض السودة هذه في شرق الجزيرة ، شمال مدينة الظهران متصلة بوادي المياه المعروف الآن ، كما أن السودة لا تزال معروفة أيضاً .

(٢) أبانان جبلان من أشهر جبال الجزيرة وأسيرها ذكراً ، وذكر المتقدمون أنهما من جبال بني أسد — كما في «بلاد العرب» الذي حددهما وحدد ما حولها من المواضع تحديداً دقيقاً ، ومن المتقدمين من عدّهما في بلاد بني مناف بن دارم من تميم ، كما في «معجم البلدان» وإذا صحَّ هذا فهو من قبيل إطلاق الاسم الواحد على موضعين ،

---

(١) «أبو علي الهجري» ص ٢٣١ .

ويؤيده أن بعضهم ذكر ما نصه : (أبانان تثنية أبان ومتالع غُلب أحدهما كما قالوا العمران ، وهما بنواحي البحرين) — «معجم البلدان» ومتالع لا يزال معروفاً هناك في أرض السودة التي تقدم ذكرها ، وتلك منازل بني تميم ، وإذن فالشاعر لم يقصد جبلي أبانين العظيمين المشهورين الآن ، الواقعين في منطقة القصيم من بلاد نجد ، وإنما قصد الجبلين الواقعين في السودة ، غرب ميناء الجبيل ، وشمال منطقة الظهران . وانظر عن عطالة أيضاً ما يأتي من حديث عن (المشقرْ) .

٦ — ص ١٩٥ : قال الكميت بن معروف :

أقول لندمانيَّ ، والحزن بيننا ... وغبر الأعالي من خفاف فوارع
أنارٌ بدتْ بين المسنَّاة والحِمَى ... لعينيك أم برق من الليل لامع ؟

قال الأستاذ في شرحه : (خفاف مكان بنجد والحمى : حمى ضرية) . ووجه الإشكال هنا أن المتقدمين ذكروا أن في نجد موضعاً يدعى خفافاً ، وانه في وضح حمى ضرية فيه ماء ومرعى ، ولكن يفهم من هذا الشعر أن قائله كان وراء الحزن . أي شرق الجزيرة بعيداً عن حمى ضرية ، وأن خفافاً الذي يعنيه جبل ذو ذرًى غبراء عالية في تلك الجهة . ويدل على هذا أيضاً قول عبد العزيز بن زرارة الكلابي ، وقد رحل من نجد[1] :

فلما بدتْ جلديةٌ من أمامنا ... وفتْكٌ ، وجاوزنا بلاد تميم
وأعرض رعْنٌ من خُفَافٍ كأنه ... نعائم رُبْدٌ بينهم ظليم

وهذا صريح في أن خفافاً في جهة جلدية وفتك وهذان الجبلان لا يزالان معروفين فجلدية شمال بلدة الأجفر ، شرق جبل سَلْمى ، وفتك في غربها متصل بها ، وإذن فخفاف في شعر الكميت ليس هو الذي ذكر المتقدمون أنه في نجد في حمى ضرية .

أما الحمى الوارد في شعر الكميت — وهو أسدي — فيظهر أنه يعني حمى فيد ، فقد

---

(١) «أبو علي الهجري» ص ٢٢٥ .

نقل ياقوت في «معجم البلدان» عن ثعلب : الحمى حمى فيد إذا كان في أشعار أسدٍ وطيّء .

٧ — ص ٢٢١ قال الأستاذ في شرح قول كعب بن مالك : (قواطعهن دوساً أو ثقيفاً) : دوس وثقيف هما القبيلتان المشهورتان ، ومنزلها الطائف اهـ ويظهر أن هذا سبق قلم ، إذ الأستاذ لا يجهل أن قبيلة دوس تسكن السراة ولا تحال ثقيفاً في بلادها .

٨ — ص ٢٤٨ : أورد الأستاذ خبر تنكب قُريش طريق الشام في عِيرهم وأخذهم طريق العراق وفيه (القَرَّدة : وهي أرض نَجْدٍ ، بين الربذة والغمرة ناحية ذات عرق ... والقردة استدركه أخي حمد في نقده بالفاء لا بالقاف ، ولياقوت فيه مقال في «المعجم» ولم أستطع تحقيق ذلك والقطع فيه برأي) . وموقف أستاذنا هذا هو موقف العالم المتثبت الذي لا يندفع لأيّ سبب من الأسباب فيلقي القول جزافاً ، ويجزم في أمور يجب فيها التأني ومواصلة البحث حتى يتضح وجه الصواب . وقد رأيت إيضاح رأيي حول فردة (قردة) إذ ما كل قارىء يستطيع الاطلاع عليه في مجلة صدرت قبل أكثر من عشرين عاماً .

(١) : القول بأن قردة أرض نجد بين الربذة والغمرة ناحية ذات عرق ، والغمرة قول قديم جاء في «الطبقات الكبرى» لابن سعد ، وهو على قدمه فيه اضطراب وغير مفهوم ، فهل المقصود منه أن اسم القردة يطلق على جميع أرض نجد الواقعة بين المواضع الثلاثة ، أو أن القردة أرض بنجد بين الموضعين المذكورين وإذن فما صلة ذات عرق بها ؟ ان الذي أفهمه من ذلك هو أن قائله يحاول أن يحدِّد الطريق الذي سلكته عِير قريش إلى الشام ، لما حيل بينها وبين سلوك طريقها الساحلي بعد انتصار المسلمين في وقعة بدر ، فذكر أنهم صاروا يسلكون أرض نجد ، فيمرون بذات عرق فالربذة والغمرة ، ومنها يتجهون نحو الفردة . ومما ينبغي أن يلاحظ بُعْدُ موقع السرية عن البلاد التي تسيطر عليها قريش في ذلك العهد — بعد الهجرة بـ٢٨ شهراً — والإسلام لم ينتشر بين القبائل ، ونفوذ قريش لا يزال قويّاً ، وذات عرق والربذة أقرب إلى مكة منها إلى المدينة ، ولم تنقد القبائل التي حولها إذ ذاك للإسلام .

(٢) ورد للفردة (القردة) التي حدثت فيها الوقعة تعريفات واضحة وصحيحة فابن جرير يقول عنها إنها ماء من مياه نجد[١] والواقدي يقول: ذو القردة من أرض نجد[٢]. وابن اسحاق يقول: الفردة ماء من مياه نجد[٣]. وهؤلاء الثلاثة أئمة كل من كتب في السيرة النبوية.

(٣) الخلاف في اسم القردة هل هو بالفاء أو بالقاف خلاف قديمٌ أيضاً وهو ناشىء عن تصحيف أحد الحرفين بالآخر، فهل نبقى على هذا الخلاف؟ ونبني كثيراً من نصوص تاريخنا وأدبنا على مثل هذا الاختلاف، فنوجد فيها مداخل للشك ثم الاطراح والرفض؟! إن تراثنا فيه ثروة تمكن دارسيه من تذليل أية عقبة تعترضهم، فهذا الاسم الذي شغل الباحثين طيلة خمسة عشر قرناً قد قال فيه نصر بن عبد الرحمن الفزاري الاسكندري كلمة الفصل قبل ثمانية قرون قال: (باب الفردة والقردة: أما بفتح الفاء وسكون الراء: موضع بين المدينة والشام، انتهى إليه زيد بن حارثة لما بعثه رسول الله ﷺ لاعتراض عير قريش. وأيضاً: جبل في ديار طيء يقال له فردة الشموس، وقيل ماء لجرم طيء وهناك قبر زيد الخيل. وأما بفتح القاف والراء: ماءة أسفل مياه الثلبوت بنجد، في الرمة لبني نعامة)[٤] اهـ إن هذا النص صريح في أن موقع السرية هو فردة — بالفاء لا بالقاف — أما ما أورده الحازمي في كتاب «الأماكن» وعنه نقل ياقوت في «معجم البلدان» ولم يصرح باسمه — من الاختلاف فلا محلّ لاعتباره بعد أن اتضح وجه الصواب، ولو وقفنا عند كل اختلاف أو خلاف يعترضنا لما انتفعنا بجزء كبير من تراثنا، بل لكنّا ممن يسعى إلى القضاء عليه.

(٤) بقي أن نبحث لنصل إلى تحديد موقع فَرْدة التي وردت في خبر السريَّة بعد أن عرفنا أنها بالفاء وأنها تقع في بلاد نجد. لا شكَّ أن طريق عير قريش إلى الشام أصبح

---

(١) تاريخ ابن جرير: ٤٩٢/٢ طبعة المعارف.

(٢) «معجم البلدان».

(٣) السيرة النبوية ٥٣/٣.

(٤) كتاب «الأمكنة والمياه والجبال والآبار ونحوها المذكورة في الأخبار والاشعار» الورقة ١١٨ — نسخة المتحف البريطاني.

يخترق بلاد نجد ، إذ لا طريق لها بعد أن منعت من المرور بالطريق الساحلي وبالطريق الآخر المار بقرب المدينة إلى تيماء أو تبوك ، فأين طريق تلك العير الذي يتوفر لها فيه الأمن والسهولة ؟ إنه طريق ذات عرق فالربذة فغمرة ، وهو الطريق الذي أصبح فيما بعد طريقاً للحج العراقي .

ثم من غمرة الواقعة بقرب وادي الرمة يتجه طريق الشام نحو الشمال ، ويستمر طريق العراق مشرقاً ، فيدع الطريق المتجه إلى الشمال جبلي طيء يمينه ، ويسير في الأرض البراح الواقعة غرب الجبلين بينهما وبين الحرار الغربية ، حرة خيبر وحرّة فدك (الحائط) وحرَّة ضرغد ، وتلك الأرض تعرف قديماً باسم عَدَنة ، وهي من منازل غطفان ، وتتصل بها شرقاً وشمالاً بلاد طيء ، وبعد اجتياز تلك الأرض يدع سلسلة جبال المِسمِّي (محجَّر قديماً) شماله فيمر بمنهل فردة الواقع بقرب جبلين يعرفان بهذا الاسم ، ثم يخترق طرف النفود الغربي حيث يستدق هذا الطرف وتضعف رماله ، ويدع بعد انقطاع الرمل وادي السرحان (قُرَاقِر قديماً) يمينه مخترقاً سهل الهُوْج أسافل وادي نَيَّان ، جازعاً وادي نجر (فجر الآن) ماراً بسهل البُسيطة ، مجتازاً بجبل جوش ، ثم يتصل بطريق الشام من الحجاز ، وهذا الطريق كان يعرف بالجوشيَّة ، وقد ورد ذكره في «تاريخ ابن جرير»[1] في خبر عدي بن حاتم : (ثم قلت : الحق بأهل ديني النصارى بالشام ، فسلكت الجوشيّة) . وفي خبر انهزام طليحة بعد وقعة بزاخة : (فوثب على فرسه .. ثم سلك الجوشية) هذا الطريق هو الذي سلكته عِير قريش وهو الذي ذكره الواقدي — وغيره من علماء التاريخ — قال[2] : كانت قريش قد حذرت طريق الشام ، وكانوا قوماً تجاراً ، فقال صفوان بن أمية : إن محمداً وأصحابه قد عوّروا علينا متجرنا فما ندري أين نسْلك ، وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ، ونحن في دارنا هذه ما لنا بها نفاق إنما نزلناها على التجارة . قال له الأسود بن المطلب : فنكبْ عن الساحل وخذ طريق العراق ، فقال : لستُ بها عارفاً . قال أبو زمعة : أنا أدلك على أخبر دليل بها يسلكها وهو مغمض العين .. فرات بن حيان العجلي ، فأرسل إلى فرات فجاءه فقال :

(١) ١١٣/٣ و٣٥٦ طبعة دار المعارف بمصر وانظر مجلة «العرب» ص ٥٦٧/ ٥٧٠ س : ٧ .
(٢) «المغازي» للواقدي ص ١٩٧ .

أنا أسلك بك في طريق العراق ، ليس يطأها أحد من أصحاب محمد ، إنما هي أرض نجد ، وفَياف . قال صفوان : فهذه حاجتي ، أما الفيافي فنحن شاتون ، وحاجتنا إلى الماء اليوم قليل . وخرجوا على ذات عرق) ا.هـ ملخصاً .

وبعد هذا الاسترسال الذي لا بُدّ منه أقول : إن فردة التي ورد ذكرها في خبر سرية زيد ابن حارثة لا تزال معروفة : هما فردتان متجاورتان الشرقية منها تدعى فردة النظيم ، والغربية الشمالية تدعى فردة الشموس ، وهما جبلان رأسان بارزان من سلسلة جبال تعرف باسم المِسّمى — بكسر الميم واسكان السين ، وفتح الميم الأخيرة ، وبالقصر — وهذه السلسلة تعرف قديماً باسم مُحَجَّر ، وفي سفح فردة الغربية الشمالية وادٍ فيه منهل يدعى فَرْدة (تقع فردة الشموس بقرب خط الطول ١٢/٤٠ْ وخط العرض ٣١/ ٢٧ْ وفردة النظيم بقرب خط الطول ١٣/ ٤١ْ وخط العرض ٣٢/٢٧ْ) .

٩ — ص ٣٠٢ قال الفرزدق :

تزاور عن أهل الحفير كأنها ظليمٌ تبارى جمح ليل نعائمُهْ

وقال الأستاذ : (الحفير — بالتصغير — ماء لبني العنبر ، على خمس مراحل من البصرة) وأوثق من المصدر الذي نقل عنه الأستاذ قول الحربي في «المناسك»[(١)] : (الحفير وهو أول المنازل في البر ، ومن البصرة إلى الحفير أحد وثلاثون ميلاً) ومثل هذا في كثير من كتب المسالك .

١٠ — ص ٣٢٢ : المروت وادٍ في ديار بني تميم ، وفي ص ٣٨٦ : (موضع) بدل وادِ والأخير أقرب إلى الصواب ، فالمروت أرض واسعة ذات أودية ومناهل من أشهرها تبراك والغُزَيز ، ومغيراء ، ومن أشهر أعلامه سوفة — بالفاء وتصحف بالقاف — ويقع المروت جَنُوبَ إقليمي المحمل والوشم وشرق العرض ، ويقع بين خطي الطول ٠٠/٤٥ْ و٠٠/ ٤٦ْ وخطي العرض ٠٠/ ٢٤ْ و٠٠/٢٥ْ .

١١ ص ٣٨١ — على قول جرير :

---

(١) ص ٥٧٦ .

ألا حيَّ رهبا ، ثم حيّ المطاليا   لقد كان مأنوساً فأصبح خاليا

(المطالي : ماء قريب من حمى ضرية ، وضرية : أرض منبات كثيرة العشب) هذا التعريف ورد عن بعض المتقدمين ، غير أن أكثرهم يعرِّف المطالي بأنها أرض واسعة ، فصاحب «بلاد العرب»[1] يقول : (المطالي بجبوحة بلاد أبي بكر بن كلاب) وينقل عن العامري : (المطالي أماكن من بلادنا : وليست بمياه ولا جبال ، ولكنها أماكن من الأعذاء ، طيبة ، تسمى المطالي ، قال : والمطليان منها ، وربما قالوا للمكان الواحد منها مطلي) . ونقل ياقوت في «معجم البلدان» عن أبي زياد الكلابي قوله : (المطالي أرض واسعة) ويفهم من تحديد صاحب «بلاد العرب» لبلاد بني بكر بن كلاب أنها تقع في جنوب عالية نجد مرتفعة ، بعيدة عن ضرية ، يدعها طريق الحجاز يساره ، ومن هنا حدَّدها بعض المتقدمين بأنها — أي المطالي — في ناحية نجران[2] ، والواقع أنها بعيدة عن نجران ولعله قصد بالناحية الجهة ، أي أنها في جنوب الجزيرة .

١٢ — ص ٣٨٤ : على قول جرير :

إني إذا الشاعر المغرور حَرَّبَنِـيْ   جـارٌ لـقبر علي مَرَّان مرموسِ

(مرَّان موضع على أربع مراحل من مكة إلى البصرة ، فيه قبر تميم بن مرّ) هذا صحيح فقد كان الطريق البصري إلى الحج يصدر من الدفينة فيرد قُبا وبينهما ٢٧ ميلاً . ومن قُبا مرَّان وليس منزلة بل المنزلة الشبيكة بعده بثلاثة أميال ويبعد مرَّان عن قبا ٢٤[3] ميلاً ومرَّان منهل لا يزال معروفاً يقع بلحف حرة كشب من الجنوب (بقرب خط الطول ١٥َ/٤١ْ وخط العرض ٣٠َ/٢٢ْ) .

١٣ — ص ٤١٢ في قول جرير :

يا أهل جزرة إني قد نصبت لكم   بالمنجنيق ولما يُرْسَل الحَجَرُ

---

(١) ١٤١ .

(٢) «شرح أشعار هذيل» ص ٤٩٩ .

(٣) أنظر «المناسك» ص ٦٠١ .

قال الأستاذ : (وجزرة : ماء لبني كعب بن العنبر كما في الديوان وأظن أنه أراد بجزرة : ناحية في بلاد اليمامة كان منها بنو ثعلبة بن يربوع وأراد بني عرين بن ثعلبة بن يربوع الذين هجاهم ، وقد ذكر أبو عبيدة في «النقائض» أن إخوة بني عرين بنو عبيد بن ثعلبة بن يربوع كانوا يسكنون جزرة وذلك في شعر لمتمم بن نويرة قال :

فَيال عُبَيْدٍ حِلْفةً إنَّ خيركم   بجزرة بين الوعستين مُقيمُ

وأُضيف : جزرة قرية لا تزال معروفة ذات نخل وسكان ، وتقع في الطرف الشمالي لجبل العارض (طُويق) حينما ينجزر ، ينقطع — وتحيط الرمال بذلك الطرف ، وتقع شمال مدينة الزلفي بمسافة تقرب من عشرة أكيال (تقع جزرة بقرب خط الطول ٤٥/٤٤ْ وخط العرض ٢٩/ ٢٦ْ) .

١٤ — ص ٤٦٤ قال الأخطل :

وما مفعم يعلو جزائر حامر   يشقُّ إليها خيزراناً وغرقدا

وشرحه الأستاذ بقوله : (حامر : وادٍ على الفرات يصبُّ فيه) . وهذا صحيح ، وأضيف : هو من أعظم أودية السماوة لا يزال معروفاً ، ينحدر من جبال تعرف بهذا الاسم تقع غرب بلدة بدنة بقرب وادي عرعر ، ويتجه الوادي مشرقاً نحو الفرات ، وهو من أطول الأودية وله روافد كثيرة (يقع بين خطي الطول ٠٠/ ٤٠ْ و٠٠/ ٤٢ْ وخطي العرض ٠٠/ ٣١ْ و٥٠/٣١ْ) .

١٥ — ص ٤٩٧ — على قول الفرزدق :

وأخوهم السفَّاح ظمَّأ خيله   حتى وردن جبى الكُلاب نهالا

(الكُلاب : موضع ماء كان ما بين البصرة والكوفة على بضع عشرة ليلة) هذا نص ما في «النقائض» غير أن كلمة (من اليمامة) سقطت من مطبوعة «الطبقات» أو أن الأستاذ ظنها مرتبطة بما بعدها فالجملة توهم ذلك ونصها : (على بضع عشرة ليلة من اليمامة (على سبع ليال أو نحوها)[1] . وكأن الجملة الأخيرة مقحمة ليست من الأصل ،

---

(١) ص ٤٥٣ .

يراد بها تصحيح ما قبلها ، وهي أقرب إلى الصواب ، وجاءت في «تاج العروس» — رسم الكلاب — فالمسألة بين اليمامة وبين الكوفة كلها لا تتجاوز ٣٨٠ ميلاً ، مع طريق الحج الذي لا يتجه إلى اليمامة قصداً بل يدعها ذات اليسار ، والكلاب يفهم من كلام المتقدمين أنه في البادية الواقعة بين الكوفة والبصرة فهو أقرب إلى اليمامة . ويلاحظ أن الكلاب هذا هو الكلاب الأول ، أما الثاني فيقع شرقي ثهلان بقرب مجيرات وحذنة وتيمن (تيما الآن) وكلها واقعة بين بلدتي الدوادمي والشعراء .

١٦ — ص ٥١٠ على قول الراعي :

ولئن بقيت لأدعونّ لطيّةٍ تَدَعُ الفرائضَ بالشُّريف قليلا

(الشُّريف : جبل في أرض بني نُمير ، وهو في حمى ضريَّة) ، وأُضيف : الشريف أرض واسعة مرتفعة ، ذات جبال وأودية وقفاف ، وفيها مياه وقرى ، تحدُّ شرقاً بنفود السِّرِّ ، وغرباً بوادي الرشاء المعروف قديماً باسم التسرير ، وجنوباً بالعرض عرض القويعية (سود باهلة وعرض شمام قديماً) وشمالاً بنفود الشقيّقة ، يقارب طول هذه الأرض ١٥٠ كيلاً ، وعرضها ٧٠ كيلاً ، وتقع بين خطي الطول ٣٠/ ٤٣° و٣٠/ ٤٤° وخطي العرض ١٥/ ٢٤° و٣٠/ ٣٥° ومن القرى الواقعة فيها الدوادمي والحفَّيرة وعرجة . ومن أشهر جبالها : جبلة وجمران وغُرَّب ، وتيمن (تيما الآن) وحَقيل ، ويعرف الشريف الآن باسم الشرفة ، وكان من بلاد بني نمير قديماً ، ويفصله عن حمى ضرية وادي التسرير ، (وادي الرشاء الآن) ولا يتسع المجال لايراد النصوص على عدم اتصاله بالحمى ويحسن الرجوع في ذلك إلى كتابي «بلاد العرب» و«أبو علي الهجري» من المتقدمين وكتاب «المجاز بين اليمامة والحجاز» للأستاذ عبدالله بن خميس .

١٧ — ص ٥٥٥ : (مرأة قرية لبني أمرىء القيس بن زيد مناة ، بينها وبين ذاتِ غِسل مرحلة على طريق النَّباج) . لم تعد مرأة لبني امرىء القيس بل يسكنها الفاف من القبائل ، والمسافة بينها وبين ذات غسل مسيرة دقائق للسيارة ، إذ هي لا تتجاوز ٣٥ كيلاً . ولا صلة لطريق النباج في عصرنا بل منذ عصور قديمة بالقريتين . فقد انقطعت تلك الصلة منذ انقطاع القوافل التي كانت تفد من البصرة مع طريق الحج طلباً للأمن

حتى تبلغ النباج ، نباج بني عامر شرق القصيم ثم تتجه منه نحو الجنوب حتى تبلغ ذات غِسل (غسلة الآن) ومنها تُشرِّق نحو بلدة مرأة ، مع أنَّ لليمامة — والقريتان منها — طرقاً الى البصرة أقصد وأقرب ، وصفها لغدة في «بلاد العرب» والهمداني في «صفة جزيرة العرب» لا نطيل بذكرها ، ونكتفي بتعريف القريتين تعريفاً موجزاً : (١) تقع بلدة مرأة — وتنطق بتسهيل الهمزة — في إقليم الوشم ، شرق مدينة شقراء قاعدة هذا الإقليم ، بمسافة تقارب ٤٥ كيلاً . وهي تقع على الطريق من الرياض والمسافة بينهما ١٦٠ كيلاً ، وتقع بقرب خط الطول ٢٩َ /٤٥ْ وخط العرض ٥َ/ ٢٥ْ (٢) وتقع قرية ذات غِسل جنوب مدينة شقراء بجوارها ، والمسافة بينهما تقرب من عشرة أكيال ويقترن بها قرية أخرى تدعى الوقف ، فتعرف القريتان باسم القراين وهما على خط الطول ٣٠َ/ ٤٥ْ وخط العرض ١٢َ/ ٢٥ْ تقريباً .

١٨ — ص ٥٧٧ و٦٦٧ : (فلج وادٍ بين البصرة وحِمى ضرية ، من منازل بني العنبر ، وهو أول الدهناء) هذا التعريف صحيح ولكن بين البصرة والحمى مسافات شاسعة ، منها رمال الدهناء ، وليس الوادي أوَّلها ، ولكن المرء بعد اجتيازه الدهناء مشرقاً يصل الى أعلى الوادي الذي يمتد إلى قرب البصرة مخترقاً شرق الجزيرة ، ويعرف الآن باسم (الباطن) وفيه نشأت بلدة الحفر ، وكانت في الأصل منهلاً أحدثه أبو موسى الأشعري فأضيف إليه ، ولم يبق لبني العنبر ذكر في تلك الجهات ، وقد تحضَّر أكثرهم فاستقروا في قرى سُدَير وقرى حوطة بني تميم وغيرها .

١٩ — ص ٥٨٨ : عَرَّف استاذنا طمية بأنها (جبل في ديار بني أسد) . وهذا القول مأثور عن أحد القدماء[١] ، ولكن المعروف أن طمية خارجة عن بلاد بني أسد ، وهي في بلاد بني مرة ابن عوف من فزارة كما ذكر صاحب كتاب «بلاد العرب»[٢] في طرفها الجنوبي بقرب التقاء بلادهم ببلاد محارب ، ومهما يكن فتحديد المواضع بإضافتها إلى سكانها القدماء أصبح لا يفيد ، وطمية من أشهر جبال نجد ، لا تزال معروفة تقع

---

(١) كما في كتاب نصر الورقة ١٠٠ وعنه نقل صاحب «معجم البلدان» .

(٢) ص ١٥٤ .

جنوب بلدة (البعايث) الواقعة في وادي الرمة ، وتبعد عنها ٥٠ كيلاً تقريباً ، في المنتصف بين تلك البلدة وبين ماوان ، وطريق الحج القديم بعد مجاوزته الحاجر المجاور لقرية البعايث يدع طمية شرقه ، وترى من ذلك الطريق رأي العين (تقع بقرب خط الطول ٥٩/ ٤١° وخط العرض ٣٥/ ٢٥°) .

٢٠ — ص ٦٠٥ : قال أبو زبيد حين عُزل الوليد بن عقبة عن الكوفة ، وحملت أثقاله :

من يرى العِيرِ لابن أروى على ظهْـ ـرِ الـمَرْورَى حُداتُهُـنَّ عِجَالُ

قال الأستاذ : (المروري : اسم أرض في اليمامة ، فيما أُرجِّح لذكره مع الأدمى في شعر توبة) ولكن وجه الإشكال أن اليمامة ليست في طريق المصعد من الكوفة إلى المدينة ، فهذا الطريق يجعلها شماله ، ماراًّ بقرب جبل سلمى أحد جبلي طيء حيث يمرُّ ببلدة فيد ، ثم توز ، فسميراء ، فالمناهل القريبة من وادي الرمة ، ثم النقرة . ولعل توبة قرن المروري بالأدمى لا لكونهما متقاربين ، بل لصفة جامعة بينهما ، ولعل هذه الصفة هي الارتفاع والخشونة فقد وصف الزمخشري الأدمى بأنها أرض ذات حجارة — كما في «معجم البلدان» والمروري قد يكون الشاعر يقصد المرورات ، وهذه أرض ذات قفاف وآكام وجبال ، فهي تتفق مع الأدمى في بعض الصفات ، والمرورات هذه يدعها طريق المدينة من النقرة شماله ، ولا يمر بها إلا من سار من النقرة إلى الربذة ، وقاصد المدينة من العراق لا يمر بالربذة إلا إذا جاء مع الطريق البصري ، والسير في تلك الطرق — قَدِيْماً — كان يخضع لاعتبارات أهمها الأمن . ولهذا فليس من المستبعد أن يكون الوليد بن عقبة أخذ الطريق البصري إلى الربذة ، ثم منها اتجه إلى المدينة ، هذا إذا كان الشاعر يقصد المرورات الأرض التي لا تزال معروفة في عالية نجد ، ولكنهم الآن لا يدخلون عليها اللام بل يقولون مرورات ، وقال الأستاذ محمد العبودي في كتاب «بلاد القصيم» «مرورات» لا تزال معروفة باسمها ثم أورد لشاعر يدعى شلاَّح بن حمَّاد الفريدي — من الفردة من حَرْب :

أَرْقَبْت راسَ النايفه من مروراتْ بين الْهـمَيْج وبين ضلع أبرقيَّهْ

يا عين يا الّلي بنظرها مْشَقَّاةْ   ما تَتْرِكْ المرقاب والشمس حَيَّهْ

وقال : الهميج : ماءٌ أحدثت فيه هجرة سنة ١٣٨٧ للفردة — واحدهم فريدي من حرب ، يقع غرب النفازي ، في وادي الدَّير ، يفيض سيله في ساحوق ، مقابل جبل الأغر ، وساحوق من روافد الجريب) اهـ .

٢١ – ص ٦٣٩ – في الكلام على نويفع بن لقيط الأسدي. (حتى لحق بقومه بالقنان وأبرق العزاف) قال الأستاذ : (القنان : جبل فيه ماء يقال له : العسيلة (بالتصغير) وهو من منازل بني فقعس ، وذكره زهير في شعره والعزاف : جبل من جبال الدهناء ، وقيل : رمل لبني سعد ، وهو أبرق العزاف وإنما سمي العزاف ، لما يسمع فيه من عزيف الجن وأصواتها ، زعموا) اهـ ويلاحظ هنا :

(١) اطلاق اسم العزَّاف على غير موضع فهو صفة للحبل الذي يسمع لصوت رمله حينما ينهال أَزِيْزٌ كالْعَزْف ، فيتخيله السامع صوت جِنِيٍّ ، ويطلق ابرق العزاف علماً على موضعين أحدهما كان يَمُرُّ به أحد طرق الحج العراقي القديمة ، حَبْلٌ من حبال الدهناء في شرقيها — حبل بالحاء المهملة وهو — الواقع في بلاد بني أسد قديماً والثاني يقع شمال غرب الربذة في طريق المتجه منها الى المدينة ، يبعد عن الربذة ٢٥ ميلاً ، بقرب جبل رَحْرحان ، الذي لا يزال معروفاً ، وأبرق العزَّاف هذا مَنْهَلٌ ويدعى الآن (أبرقية) وتُضاف اليه الجِنّ — في خرافات العامّة فيقال : (جِنُّ أبرقية) وهذا ناشيء عما يعتقدونه عند سماع صوت انهيال الرمل الذي يتراكم بفعل الرياح بسرعة ، وبعد هدوئها ينهال شيئاً فشيئاً ، وقد يندفع بعضه بقوة فيحدث لاندفاعه أزيزٌ يضنه السامع من فعل الجن — وعن ابرقي العزاف أنظر «المناسك»[(١)] و«أبوعلي الهجري»[(٢)] ومجلة «العرب»[(٣)] .

(٢) القنان حدده صاحب «بلاد العرب» كما حدد ما حوله من المواضع ، وهو واقع

---

(١) ٣٢٩/ ٥٢١ .

(٢) ٢٤٢ .

(٣) ص ٨٥٩ س ٧ .

شمال القصيم بميل نحو الغرب ، وسكان تلك الجهات من القبائل القديمة زالت ويرى الأستاذ محمد العبودي — وهو من أوثق الباحثين وأوسعهم اطلاعاً — أن جبل القنان هو ما يعرف الآن باسم الموشم — بضم الميم وفتح الواو ثم شين مشدَّدة مفتوحة بعدها ميم — وهذا الجبل — كما وصفه الأستاذ : (سلسلة هضاب تمتد من بُقَيعَاءِ إصْبع جنوباً حتى تنتهي شمالاً إلى أم العراد ، قرب جبل حِبْشي ، وغرْباً إلى مُطَيْوي الموشم ، وإلى الشرق وادي الفُوَيلق ، ثم الجرثمي والغمار والرُديهة[1] .

٢٢ – ص ٦٤٠ – أنشدني أبو الغراف عن سليمان الجذامي لنويفع بن لقيط وفي ص ٦٤٢ : (أنشدني أبو محمد بن أنس الحنلي الأسدي عن أعراب بني أسد أنه قال في الحجاج — يعني نويفع بن لقيط) .

الجذامي في الرواية الأولى تطبيع — أي خطأ مطبعي — ينبغي إصلاحه كما قال أستاذنا الجليل حينما جاذبته الحديث عن الكتاب .

٢٣ — ص ٦٦٥ : قال الأحوص :

أمِن آل سلمى الطارقُ المتأوِّب   أَلمَّ وبيش دون سلمى وكبكب

قال الأستاذ : (البيت في «معجم ما استعجم» : وبيش دون سلمى وجبجب وكأنه الصواب ، فإن ظاهر الشعر يدل على أنه في ديار بني عامر بن صعصعة أو قريب منها ، و(بيش) ضبطت في المخطوطة بكسر الباء والصواب فتحها وهو بإزاء عن — بضم العين وتشديد النون : اسم جبل ، وهما جبلان أحدهما : القفا ، والآخر بيش ، وهو لبني هلال بن عامر بن صعصعة «معجم ما استعجم» : الستار) وجبجب : جبل أيضاً . وذكره الأحوص في شعر آخر والأمر كله محتاج إلى تحقيق دقيق . ا . هـ. وأضيف :

(١) بيش المقصود به — بما يظهر — وادي بيش المعروف الواقع في تهامة جنوب مكة ، وليس في بلاد بني عامر ، بل من بلاد الأزد وخولان وكنانة — كما ذكر ذلك

---

(١) «بلاد القصيم» مخطوط وهو جزء من المعجم الجغرافي الحديث للبلاد العربية السعودية» .

الهمداني في «صفة الجزيرة» . وبلاد بني عامر لا تتجاوز الحجاز غرباً .

(٢) : أرى الصواب في الشعر (كبكب) لا (جبجب) إذ جبل كبكب يقع أيضاً في تهامة مطل على عرفات ، ولا أرى وجهاً لذكر الشاعر مواضع في بلاد بني عامر بن صعصعة ، فهو يذكر مواضع دون محبوبته سلمى الكلابية العامرية ، وليست من بلادها ، وهو يكرر في القصيدة ذكر بَيْش مما يشير إلى أنه نظم قصيدته وهو هناك .

(٣) قول البكري عن بيش خطأ نشأ عن تصحيف اسم (بُسٍّ) إلى بيش ، وما أورده البكري منقول من رسالة عرَّام بن الأصبغ السلمي المطبوعة ، ولا نطيل بذكره ، وقد ورد الاسم في الرسالة وفي كثير من المصادر التي نقلت عنها صحيحاً ، وبس هذا جبل لا يزال معروفاً ، إنه أنف شامخ من الحَرَّة مُطلّ على عشيرة الواقعة في طريق نجد إلى مكة . وانظر عن وادي بيش «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»[1] .

٢٤ — ص ٦٧٢ في قول جميل :

ونحن منعنا يوم أوْدَ ذمارنا ويوم أُخَيٍّ والأسنَّة ترعف

قال : (هذا البيت رواه ياقوت في (أفي) و(أول). ورواه «يوم أول» و(يوم أفي) وقال في (أود) بفتح فسكون : موضع بالبادية وقال في الذي قبله (أود) بضم الهمزة : وادٍ كان فيه يوم من أيام العرب وقال في (أول) واد بين الغيل وأكمة على طريق اليمامة إلى مكة . وفي (أفي) قال : يوم أفي من أيام العرب أغار فيه أبو بشر العذري على بني مرة . وقال البكري : موضع بديار بني عذرة) ثم ختم الأستاذ كلامه قائلاً : (وهذا كله محتاج إلى جمع وتحقيق ، فإني لم أجد خبراً في هذين اليومين) . اهـ . والواقع أن أستاذنا أفرغ جهده فأوفى على الغاية ، وكل ما أريد إضافته ما سبق أن لاحظته على الطبعة الأولى حول تحديد (أول) ، فمع أن الاسم قد يطلق على مسميين أو أكثر فإنني أرى أن قول جميل لا ينطبق على موضع (بين الغيل وأكمة ، على طريق اليمامة إلى مكة) . لبعد هذا الموضع عن منازل القبيلتين اللتين وقع اليوم بينهما ، فزارة وعذرة ، فالغيل وأكمة

(١) : (منطقة جازان) تأليف الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي .

موضعان في الأفلاج في الطرف الجنوبي الشرقي لجبل العارض — عارض اليمامة — ومنازل القبيلتين في سفوح جبال الحجاز وحراره الشمالية الشرقية ، وبقرب وادي القرى وفي الأودية المنحدرة من حرار خيبر وضرغد شرقاً وشمالاً ، وهنا يقع أول الذي هو أكثر انطباقاً على قول جميل لوقوعه في ديار فزارة ولقربه من ديار عذرة . في «معجم البلدان» : (أول : موضع في بلاد غطفان ، بين خيبر وجبلي طيء ، على يومين من ضرغد) وأول هذا لا يزال معروفاً ويطلق الاسم على جبل عظيم وعلى منهل بقربه ، يقع على الطريق من ضَرْغد الى الغزالة فمدينة حايل وفوق المنهل بويتات قليلة من الطين ويبعد عن ضرغد بـ ٥٠ كيلاً شرقه (بقرب خط الطول الشرقي ٤٥ / ٤٠ ° وخط العرض الشمالي ٤٠ / ٢٦ °) وقد كتب اسمه في إحدى المصورات (عول) خطأ[1] .

٢٥ – ص٦٨٨ : (رامة : موضع في ديار بني تميم ، من طريق البصرة إلى مكة)هـ. كذا قال المتقدمون في تحديد هذا الموضع عندما كان طريق البصرة إلى مكة القديم مسلوكاً ، وعندما كانت كل قبيلة من القبائل تختص بمواضع خاصة ، أما الآن فقد ترك ذلك الطريق وجهلت منازل تميم ، ولكن رامة لا تزال معروفة ، وتقع غرب مدينة عُنَيزة في القصيم ، بميل نحو الجنوب ، في منقطع رمل الشقيقة ، وتبعد عن تلك المدينة ما يقرب من ٥٠ كيلاً[2] ، وقد حدد المتقدمون المسافة بينهما بـ٢٦ ميلاً ، وقد أحييت أرضها ، وحفرت فيها الآبار (الارتوازية) وغرست فيها البساتين (تقع رامة بقرب خط الطول ٤٠ / ٤٣ ° وخط العرض ٥٨ / ٢٥ °) وأكثر الذين أحيوها من أهل مدينة عنيزة ، من بني تميم من آل بسام القضاة وغيرهم .

٢٦ — ص ٧٢٤ : وعلى قول بشامة بن الغدير :

هلاَّ سألت— وقول الحق أصدقه — عنا وعنكم وعن من نَلْقَ بالرَّقم

(الرقم : ماء لبني مُرّة) . وهذا صحيح حينما كانت بنو مرة الغطفانية معروفة أما بعد أن زالت فيحسن تحديده تحديداً جديداً ، فقد كان مجالاً لمعارك كثيرة ، وتردد ذكره

(١) (أبحاث جيولوجية ، خريطة رقم ب ٢٠٥) .

(٢) أنظر «المناسك» ص ٥٩١/٥٩٢ .

كثيراً في الشعر ، ثم هو من مراكز الصناعة في الجزيرة في الماضي ، قلت في كتاب « شمال المملكة »[1] :

الرقم — بفتح الراء والقاف وقد تسكن — قال نصر في كتابه : الرقم جبال دون مكة بدار غطفان وماء عندها أيضاً والسهام الرقميات منسوبة إلى هذا الماء صنعت ثمة[2] ونقل هذا ياقوت وزاد : ويوم الرقم من أيامهم معروف لغطفان على بني عامر .. منها كان حزام بن هشام الخزاعي القديدي روي عنه عمر بن عبد العزيز[3] وذكر في قديد هذا الرجل وأنه من أهل الرقم ونقل البكري[4] عن أبي عبيدة قوله : بين البثاءة والرقم ثلاث منجردات وبين البثاءة وبين ساحوق بريدان وقد كانت في هذه المواضع كلها حروب بين بني عامر وبين عبس وذبيان وينسب إلى كل واحد من هذه المواضع يوم من تلك الأيام .

وأورد في النقائض[5] لشيم بن خويلد الفزاري :

حلت أمامة بطن التين فالرقما واحتل اهلك أرضاً تنبت الرتما

والتين المذكور هنا يقع جنوب الرقم على مقربة منه لا يزال معروفاً وقال البكري[6] : زهمان بضم أوله وإسكان ثانيه : موضع .. متصل بالرقم .. قال كعب بن زهير :

أتعرف رسماً بين زهمان فالرَّقَمْ إلى ذي مراهيط كما خط بالقلم

وأبعد البكري — رحمه الله — النجعة حين قال : الرقم موضع بالحجاز قبل يأجج ، كانت فيه وقعة لغطفان على عامر ، قال الراجز[7] :

---

(١) من أجزاء « المعجم الجغرافي الحديث للمملكة العربية السعودية » لا يزال مخطوطاً .
(٢) مخطوطة المتحف البريطاني الورقة ٧٥ .
(٣) « معجم البلدان » .
(٤) معجم ما استعجم ٢٢٥ ولم أجد هذا في النقائض .
(٥) ص ١٠٦ .
(٦) ٧٠٤ .
(٧) معجم ما استعجم ٦٦٦ .

يا لعنة الله على أهل الرقم أهل الوقير والحمير والحُزُمْ

وفي هذا اليوم فَرَّ عامر بن الطفيل عن أخيه الحكم ، فخنق نفسه الحكم خوف المثلة ، وفي ذلك يقول عروة بن الورد :

عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ومقتلهم تحت الوغا كان أعذرا

فهو يوم الرقم ، ويوم يأجج[1] أ. هـ .

ولعل الذي أوقع البكري في هذا الخطأ وجود موضع يدعى الرقم بإسكان القاف في الحجاز ــ بقرب يأجج الوادي الواقع بقرب مكة وورد ذكر هذا في بيت أورده البكري لصخر الهذلي ، وهو :

فبرملتي قردى فذي عُشَرٍ فالبيض فالبردان فالرقم

لأنه حدد يأجج بأنه واد ينصبُّ من مطلع الشمس إلى مكة قريب منها : ان ما ذكر البكري وقبله نصر وبعدهما ياقوت رحمهم الله تعالى هو مبلغ علمهم ومع ما فيه من نقص وخطأ ففيه علم غزير ، فالرقم ليس في بادية الحجاز بل في عالية نجد ، حدد موقعه صاحب كتاب « المناسك »[2] لوقوعه في طريق كان يسلك إلى المدينة من فيد ، فذكر أن بينه وبين بطن الرمة ٣٤ ميلاً وقال : في الرقم قصر وسوق ومنازل ونخل كثير ، وآبار كثيرة الماء عذبة ، وان من الرقم الى السعد ٢٤ ميلاً ومن السعد إلى النخيل ٢٥ ميلاً وهذا صحيح فإن الرقم لا يزال معروفاً ولكن العامة يبدلون ميمه باء (الرقب) كما قالوا في الهدم الهدب وهو اسم موضع قرب كُشُب . والرقم الآن قرية لقبيلة هُتيم التي أكثرها من غطفان يقع في سفح جبل العلم ، ذلك الجبل العظيم المنيع الواقع في الشمال الغربي من منهل النقرة والذي يشاهد قبل الوصول إليها للمتجه غرباً ، ويقع في الجنوب الشرقي من قرية الحليفة التي يمر بها طريق حايل إلى المدينة بما يقرب من ٢٠ كيلاً وقد وصف ياقوت العلم هذا بقوله (جبل فرد شرقي الحاجر يقال له أبان فيه نخل وواد لو دخله

---

(١) معجم ما استعجم ٥٣٣/ ٣٨٥ وأنظر عن يأجج العرب السنة السابعة ص ٨٩ .

(٢) ص ٥١٨/٥٢٢ .

مائة أهل بيت بعد أن يملكوا عليهم المدْخَل لم يُقْدَرْ عليهم أبداً ، وفيه عيون ونخل ومياه ، وعَلَم بني الصادر يواجه القنوين تلقاء الحاجر ولا أدري أهو الذي قبله أم الآخر) اهـ . وأقول :

١ — أبان غير العلم هما جبلان متغايران .

٢ — العلم غربي الحاجر لا شرقيه .

٣ — علم بني الصارد — لا الصادر — هو العلم نفسه ، وبنو الصارد من مرة من غطفان[٤] ، ويقع العلم بقرب الدرجة ٥٠/ ٤٠° و٥٨/ ٤٠° طولاً و٥٠/ ٢٥° و٥٨/ ٢٥° عرضاً ، وسيوله تنحدر في وادي الرمة ، ويشاهد من العلم غرباً بجنوب جبل التين ، وشرقاً بميل يسير نحو الشمال جبل أدَبِيٍّ وقَنَوْيْنِ ، أما منهل الرقم الذي أصبح الآن قرية فهو تابع لإمارة حايل ، ويبعد عنها ٢٥٠ كيلاً تقريباً .

٢٧ — ص ٧٣٤ على قول قراد بن حنش المرّي :

إنَّ الركاب لتبتغي ذامِرَّةٍ بجنوب نَخْلَ إذا الشهور أحلتِ

(نخل : قرية في واد لبني فزارة) . قلت في تعليقة على كتاب « المناسك »[٢] في خبر نقل قصّة المسجد النبوي من بطن نخل : بطن نخل على أرجح الأقوال ما يسمى الآن الحناكية ، وادٍ عظيم يكثر فيه شجر الدوم ، وفيه قرى متفرقة ومن دونه للمتجه للمدينة ببضعة أكيال وادي النخيل . وقلت[٣] : عن نخل إنه يبعد عن المدينة ٩٠ كيلاً ، واد واسع له روافد كثيرة في براح من الأرض محفوف بالجبال بقرب خط الطول ٣٠/ ٤٠° وخط العرض ٥٥/ ٢٤° والمقصود هنا الموقع ذو القرى ، لا الوادي فهو طويل متعرج ولا أزيد الآن شيئاً فكل من استقرأ نصوص المتقدمين يجدها تنطبق على هذا الموضع .

٢٨ — ص ٧٤٣ : قال رؤبةُ :

---

(١) المقتضب من جمهرة النسب بخط ياقوت نفسه الورقة ٤٥ مخطوطة دار الكتب .
(٢) ص ٣٦٥ .
(٣) ص ٥٢١ .

نَـحْـن وردنـا واديَـي جُلاَجَـل   بجحفـل جَـمِّ الـوغـى من وائل

قال : الأستاذ (جلاجل أرض باليمامة) ، ويقال : جبل من جبال الدهناء ، وانظر مكانه في «بلاد العرب» للغدة) اهـ . وأضيف : يطلق اسم جُلاجل على مواضع أعرف منها ثلاثة :

(١) جُلاجل في جنوب الجزيرة ، ورد في شعر عمرو بن معدي كرب وذكره الهمداني في «صفة جزيرة العرب» وعده من بلاد وادعة .

(٢) جلاجل في إقليم سدير في جبل العارض (طويق) شمال الرياض ذكره لغدة من منازل تميم ، وقد أشار إليه الهمداني وذكره ياقوت في «معجم البلدان» عرضاً فقال : (وادي المياه : وذكره الحفصي في نواحي اليمامة قال : وأول ما يسقي جلاجل وادي المياه : الذي يقول فيه الراعي :

رَدُّوا الجمال ، وقالوا : إن موعدكم   وادي المياه ، وأحساء به بُرُد

ووادي جلاجل هذا لا يزال يعرف بوادي المياه .

(٣) جلاجل : حَبْلٌ من حبال الدهناء ذكره ذو الرمة في شعره[1] . ويظهر أنَّ رؤبة قصد جُلاجِلَ سُدَير حيث ذكر وَادِيه ، ولأنه أقرب لغزاة عجل وشيبان من الذي في بلاد وادعة ، ولكن هنا إشكال كيف يفتخر رؤبة بغزو بلاد قومه من بني تميم ؟! وعدم وجود هذا الشعر في ديوان رؤبة المطبوع لا يكفي دليلاً على أنه ليس من شعره .

٢٩ — ص ٧٧١ : في خبر غزو مزاحم العقيلي قبيلة مذحج يوم النخيل : (النخيل يوم لم يحدده ياقوت ، وقال الطوسي في «شرح ديوان لبيد» : ذو النخيل : وقعة في واد يقال له بطن النخيل) وأضيف يطلق اسم النخيل — بالتصغير — على موضعين :

(١) أشهرها وأسيرها ذكراً وادٍ شرق المدينة حددته في تعليقي على كتاب «المناسك» فقلت[2] : قرية عامرة يدعها طريق المتجه إلى المدينة من الحناكية (نخل قديماً) على

---

(١) كذا ولعل الصواب : (وأول ما يسقي وادي المياه جلاجلاً .

(٢) ص ٥٢١ .

يمينه ، بعد أن يجوزها بما يقارب ١٠ أكيال والطريق يقطع وادي النخيل ، أي أن الاسم يطلق على وادٍ يلتقي بوادي الحناكية ، وهذا ليس المقصود بالخبر.

(٢) النخيل الوارد في الخبر المشار إليه ،وهذا في بلاد مذحج في جنوب الجزيرة في جهات نجران ، وهذا وصفه الهمداني في «صفة الجزيرة»[1] بقوله : (الذي بين الجوف ونجران من الاعراض الكبار : النخيل ، وبه يفترق الطريق إلى الجوف ومأرب من وادي خب) وهذا يقع شرق مدينة صعدة ليس بعيداً عنها كما يفهم من قربه من وادي خب ووادي العقيق ولا يزالان معروفين هناك .

وبعد قراءتي خبر هذا اليوم في «الأغاني»[2] رأيت المؤلف يسمي ذلك اليوم يوم وادي نساح في موضعين من كلامه فقال عن النابغة الجعدي : (وفخر عليهم بقتل علقمة الجعفي يوم وادي نساح) . وقال بعد هذا : (قال أبو عمرو : فأما ما فخر به النابغة من الأيام فمنها يوم علقمة الجعفي) وساق الخبر كما أورده ابن سلام في «طبقات فحول الشعراء»[3] وقال أثناءه : (وهو يوم وادي نساح وهو باليمامة) . وهنا إشكال ، فمفهوم هذا أن النخيل الذي حدثت فيه الوقعة في اليمامة بقرب وادي نساح الذي لا يزال معروفاً ، وليس جنوب نجران — كما قلت في كلمتي المشار إليها — ولكنني أرى أن أبا الفرج مؤلف «الأغاني» رحمه الله — خلط بين يومين اليوم الذي أغار فيه دَهْرٌ[4] الجعفي على بني عقيل وإخوانهم ، وهؤلاء يسكنون في اليمامة في عارضها ونساح وادٍ يخترق العارض ، شمال بلاد أولئك غير بعيد ، فيوم الإغارة هو الذي تنطبق عليه تسمية أبي الفرج (يوم نساح) واليوم الثاني هو يوم قتل علقمة الجعفي وهذا اليوم هو يوم النخيل ، وقد وقع في المكان الذي حددته في كلمتي الأولى . ومما يدل على بعد الموقع الذي قتل فيه علقمة — وهو يوم النخيل — عن نساح ما ورد في سياق الخبر الذي أورده الأصبهاني وابن سلام ففيه :

---

(١) ص ١٦٢ ط (دار اليمامة) .

(٢) ١٣٣/٤ ط : الساسي و١٦/٥ ط : الثقافة — بيروت — .

(٣) ص ٧٧٠ .

(٤) في «الأغاني» : زهير.

١ — اتبعتهم بنو كعب ثلاثاً ثم رجع بعض القوم.

٢ — مضى عقال بن خويلد في بني عقيل وجعل يُندّي أبعار الابل ببوله ويُرى أصحابه البعر نَديًا ، ويقول : ما أقربكم منهم حتى ورد النخيل ، وإذن فالمسافة بين منازل عقيل وإخوتهم وبين الجهة التي قصدها الجعفيون طويلة بحيث أن أبعار الابل قد يبست قبل اللحاق بهم.

٣ — ثم في خبر قتل زهير الجعفي[1] في «الأغاني» ما نصه : (فسال من بطنه برير وحلب ، البرير ثمر الاراك) . وعلى هذا فوقع الوقعة في أرض ذات أراك والأراك لا ينبت في جبل العارض وانما في جبال الحجاز والسروات.

٣٠ — ص ٧٧٢ قال مزاحم العقلي :

وما هاجه من دمنة بأن أهلها وأمستْ قوى بين الحصير ومَحْبَل

ونقل الأستاذ عن ياقوت : (الحصير جبل في بلاد غطفان. ومحبل : موضع في ديار بني سعد باليمامة) ولكنّ الشاعر عقيليٌّ عامري ، وما دخله ببلاد غطفان أو بني سعد؟ **يظهر** أن اسم الحصير يطلق على مواضع ، فقد ذكر الهجري أنه جبل لجهينة[2] وعده ياقوت من جبال غطفان كما ذكر أنه من مياه نملى كما ورد في كتاب «بلاد العرب»[3] : ومن مياه نَمَلَى يرغبَا والأملح والشميط والحصير. ثم أورد شعراً منه :

كأن خراطيم الحصير وأكلب فوارسُ نحَّتْ خيلها لفوارسٍ

ومنه :

تَطَالَلْتُ هل يبدو الحصيرُ فما بدا لعيني، ويا ليت الحصير بَدالِيَا !!

وهذا الشعر يدل على أن الحصير جبل ، وكثيراً ما توجد المياه في شعاب الجبال

---

(١) في «الطبقات» دهر.

(٢) «أبو علي الهجري» ص ٣٢٣ .

(٣) ص ١٤٣ .

ويطلق عليها اسم الجبل ، والحصير الذي في نملى هو الذي يقع في بلاد بني عامر ، وبنو عقيل الذين منهم الشاعر عامريون ، وبلادهم تقع في تلك الجهات ، ونملى سلسلة هضاب طويلة عريضة ، فيها مياه ، تقع جنوب جبال النِّير والمردمة ، وغرب نفود السُّرَّة ، يفصل بينها وبين دارة خنزير نفود الصحّة الذي هو لسان ممتد من رمل السُّرَّة (تقع نملى بين خطي ٥/ ٢٣° و٣٥/ ٢٣° عرضاً وخطي ١٥/ ٤٣° و٣٠/ ٤٣° طولاً)[1] .

٣١ — ص ٧٨٣ — في قول أبي دواد الرواسي : حينما لحق بنو كلاب بني نمير فردتهم وتحملوا ما كان لهم من دم :

حَوَيْنا حَجْرَنا لهمُ فحلُّوا إليـنا بعد تَضْعانٍ وسَير

قال الأستاذ في شرحه : (الحَجْرُ : مكان يقال له حجر الراشدة في ديار بني عوف بن عامر بن عقيل ، وهو مكان ظليل أسفله كالعامود ، وأعلاه منتشر ، وقوله : (حوينا) لم أعرف معناه على الصواب ، حوى الشيء جمعه وضمهُ وحازه . يريد : هيأنا لهم هذا المكان وأنزلناهم فيه ... ورواية «المكاثرة» : جعلنا حجرناً حجراً عليهم .

وحجرنا لهم من قولهم : حجرت الأرض إذا ضربت عليها مناراً تمنعها به من غيرك أي جعلناها محبوسة عليهم)ا.هـ. ولكن ألا يرى أستاذنا :

(١) أن حجر الراشدة أقلّ من أن يتسع لحلول قبيلة فيه .

(٢) وأنه على فرض سعته من منازل بني عقيل والشاعر يذكر واقعة لبني كلاب خاصة كما يفهم من سياق القصة ، وكيف يفتخر بكونهم انزلوا نميراً منازل مناوئيهم من عقيل ، وكيف يفتخر بنصر أقارب آخرين ؟!

(٣) ألا تكون كلمة (حَوَيْنا) من الحواء والحوية : المكان الذي يُهيأ للمرء ليتمكن من الاستقرار فيه ، وأن الحجر هنا يقصد به الكنف — إذ الحجر ما بين يديك من ثوبك — فهو يقول جعلنا حجرنا لهم حواء ليستقروا فيه ويأمنوا ، أي إنهم حلوا في كنفنا

(١) «العرب» ص ٦٣٥ س ٤ .

وبين قومنا في محل سهل موطإٍ لهم .

٣٢ ــ ص ٧٨٥ قول أبي دواد الرواسي في وقعتهم بمذحج :

أتانا أن بالخرماء منهم سَوامَهُمُ ، ودون الفيف شاءُ

علّق الأستاذ : (الخرماء : موضع أشكل عليَّ تحديده . ورأيت في كتاب لغدة في ذكر كاظمة قال : (ثنية المجرّ هي التي تهبط منها على كاظمة ، وهي تسمى خرماء كاظمة ، وراجع كتب البلدان . وفيف : يعني فيف الريح)اهـ ، وأشار الأستاذ بأن الشعر قيل يوم فيف الريح وهو يوم الأجشر ويوم بضيع (وهي مواضع متصلة) ولكن ألا يرى أستاذنا الجليل أن القبيلة ــ في عهد ما قبل الإسلام ــ ما كانت تستطيع أن تجتاز بلاد قبيلة أخرى ما لم يكن بين القبيلتين حلف ، وأن بلاد مذحج القحطانية الواقعة في سفوح السراة الشرقية الشمالية لا يمكنها أن تجتاز القبائل العدنانية من جنوب الجزيرة حتى شرقها ، وأن بني عامر لا تتجاوز منازلهم الدهناء شرقاً ؟ إن سياق خبر يوم فيف الريح يفهم منه أن بني عامر انتجعوا فيف الريح فجمعت لهم قبائل مذحج فأغارت عليهم . وبلاد بني عامر تجاور بلاد مذحج من الشمال ، ويفهم من كلام لبيد الذي سمَّى ذلك اليوم يوم الذهاب[1] ــ على ما ذكر الدكتور الجبوري أنه في هذا الموضع حدث تناوش في ذلك اليوم ، مما يدل على التقارب بين الموضعين . والذهاب ذكره في شعر النابغة الجعدي ــ وجعدة من بني عامر ــ ومن قوله :

أتاهُنَّ أنَّ مياه الذهاب فالأوق فالملح فالمِيْثَبِ
فنجدي مريع ، فوادي الرجاء إلى الخانقين إلى أقرب
تحَرَّى عليه رَبابُ السماك شهرين من صيِّف مخصب

ويفهم من تكرار ذكره في شعره أنه بقرب بلاد بني جعدة ، وهؤلاء يجاورون بني الحارث بن كعب الذين أغار عليهم عامر بن الطفيل يوم الذهاب وكثير من المواضع التي قرنها النابغة تقع في بلاد بني الحارث وهؤلاء يجاورون مذحجاً من الشرق وبعض القبائل

(١) كتاب «لبيد» ص ٢٩ للدكتور يحيي الجبوري .

العامرية من الشمال واليهم التجأ بنو جعفر ابن كلاب حينما خرجوا من بلادهم مغاضبين لقومهم ، وليس ببعيد ان بني عامر انتجعوا موضعاً يقرب من بلادهم ومن بلاد مذحج فاهتبل هؤلاء الفرصة فجمعوا القبائل اليمنية ، وأغاروا عليهم ، وليس من المعقول أن تلك القبائل من مذحج وخثعم (جعفي وزبيد وسعد العشيرة وصداء ونهد وشهران وناهس) تقدم بنسائها وذراريها على التوغل في بلاد العدنانيين وبين الفريقين من العداء المستحكم ما هو معروف . وفي سياق خبر هذا اليوم في كتاب «النقايض» ما يفهم منه أنه جرى في موضع قريب من بلاد مذحج :[1] فقد أورد قول الفرزدق :

هُمْ ضربوا الصنائع واستباحوا   بمذحج يومَ ذي كلع ضرابا

وشرحه قائلاً : (ويُرْوى مذحج بخفض الميم ونصبها ، وهي أرض بين نجران وبين أرض عامر . قال : وهذا يوم فيف الريح ، وكان لبني عامر فيه بلاء حسن . ا.هـ .

(٢) وفي أثناء إيراد خبره قال : (وذلك أن بني عامر جالوا جولة في موضع يقال له العرقوب) ا.هـ[1] والعرقوب في بلاد خثعم وهؤلاء شارك في ذلك اليوم منهم ناهس وشهران . وقد حدَّد العرقوب فضيلة الأستاذ الشيخ سعيد بن عياش الغامدي — رئيس محكمة خميس مشيط وهو خبير بتلك النواحي — بأنه جبل ذو شعاب يقع غرب مدينة بيشة بمسافة تقرب من ٥٠ كيلاً في منتصف الطريق بينها وبين العلايا[2] .

أمّا الذِّهَابُ فلا يزال معروفاً في تلك الجهات من أودية الكور جنوب رَنْيَةَ .

٣٣ — ص ٧٨٧ في قول أبي دواد الرؤاسي :

يُورِّق أصحابي ، وبيني وبينها   مناكب رَعْمٍ فالنباجُ فأخرجُ

قال الأستاذ : (رعم : جبل قال ياقوت : في ديار بجيلة ، وارجح أنه في ديار بني عامر والنباج هي نباج بني عامر بلاد كثيرة القرى وهي عيون تنبع بالماء ، ونخيل وزروع ، واعلاها يواصل الجبلين ، أجأ وسلمى بينهما مسيرة يومين (صفة الجزيرة : ١٣٧) وأخرج : جبل في ديار بني كعب بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة

---

(١) ص ٤٦٩ و٤٧٠ .

(٢) مجلة «العرب» ص ١٠٧/ ١٠:٩/ ٦٢٨ س ٨ .

(بلاد العرب : ٢١٩) .

وأضيف إلى قول الأستاذ :

(١) : نباج بني عامر يعرف الآن باسم الأسياح شرق القصيم . ولا صلة له ببني عامر القبيلة فهو مضاف إلى عبدالله بن عامر بن كريز (نباج ابن عامر) .

(٢) : أخرج جبل معروف الآن ولكنه يدعى الخرج — والعامة تسهل الهمزة ، فتقول : العور والعرج في الأعور والأعرج وما أشبهها ، ويقع الجبل المذكور في عالية نجد غرب جبل النير شماله ، بقرب بلدة عفيف ويشاهده المتجه إليه قبل وصوله اذا كان مغرّباً رأى العين .

(٣) رعم : ليس في بلاد بجيلة ، بل كما رجَّح الأستاذ في بلاد بني عامر وقد قلت عنه في مجلة «العرب»[1] : (رَعْم الذي ذكره ابن مقبل ، وذكره النابغة الجعدي بصيغة التثنية ، لا يزال معروفاً ، يطلق عليه جبال رعم ، لأنه سلسلة من الجبال ، تمتد من الجنوب إلى الشمال في الجنوب الشرقي من الطرف الجنوبي من سلسلة جبال القهر ، يمرُّ الطريق إلى نجران شرقها ، بحيث يراها المسافر قبل الوصول إلى منهل حِمَى ، وبينها وبين حِمَى جبالٌ (تقع سلسلة جبال رَعْم بين خطي الطول ٢٠/ ٤٤° و٤٠/ ٤٤° وخطي العرض ٥٠/ ١٨° و٢٨/ ١٩° تقريباً) اهـ .

٣٤ — ص ٧٨٨ في قول أبي دواد الرؤاسي :

ونحن منعنا بطن مَجّ وحائل وأُبلى من الأعداء حتى تفرجوا
بحيٍّ حلالٍ لا تكادُ تجيرهمْ وضاخ ونفء والبطاح فمنعجُ

قال الأستاذ : (بطن مَجٌّ لم أجده ، وحائل : وادٍ أصله من الدهناء وهو لبني نمير وبني قشير ، ومن عامر بن صعصعة ، وأبلى : في ديار بني سليم ولا أدري أهذا هو الذي أراد أبو دواد أم هو موضع في بلاد بني عامر غير الذي في بلاد بني سُليم .. وضاخُ : بضمٍ أولها من قرى اليمامة لبني نمير ، وقيل هو جبل .. ذكره البكري في (ضرية) وفيها أيضاً : (نفء) فقال : (وبين نفء وأضاخ نحو خمسة عشر ميلاً ، وأنهما لغني ..

(١) ص ٣٢ س ٨ .

ومنعج : وادٍ في جانب حمى ضرية . والبطاح : — بضم الباء — أرض في بلاد بني تميم ، وهذه مواضع تحتاج إلى مراجعة وضبط) ا. هـ ملخصاً . من المعروف أن بني عامر كانت من أكثر القبائل بطوناً ، وأنها كانت منتشرة من أسافل أودية الحجاز بقرب الطائف حتى أطراف الدهناء الجنوبية الغربية ، فبعض بطونها كان يجاور ثقيفاً في منازلها حول الطائف وفي أسافل وادي وَجٍّ ، وبعضها كان يخالط بني سليم في سفوح حرّتها ، ويشاركها في بعض المنازل ولهذا فإنّ :

(١) بطن مجً فيما أرى : صوابه بطن وَج وهو وادي الطائف المعروف .

(٢) أُبْلي : هي سلسلة الجبال التي لا تزال معروفة ، وكانت من منازل بني سليم .

(٣) وضاخ — هو أضاخ — القرية التي لا تزال معروفة شمال بلدة نفء (نِفي) بقربه .

(٤) أصبح نف الآن من أكبر قرى تلك الجهة ، والعامة يسهلون الهمزة فيجعلونها ياء وينطقونه بكسر النون والفاء (نِفي) .

(٥) مَنْعِج : وادٍ يبدل بعضهم نونه ياء فيقول (ملعج) يعرف الآن باسم وادي دُخْنة ، فقد أقيمت بقربه إحدى هُجَر قبيلة حرب (الهجرة البلدة التي انشئت لتحضير البادية في أثناء قيام الملك عبد العزيز آل سعود — رحمه الله — لإنشاء المملكة فأنشئت عشرات الهجر فيما بين سنتي ١٣٣٠ و١٣٤٧ هـ . وفي عهدنا الحاضر أنشئت أيضاً هجرٌ أخرى) . ومنعج خارج الحمى[١] ، شرقه لا كما جاء ص ٧٨٨ من أنه فيه . والبطاح : لا يزال معروفاً ، هو الآن قرية بقرب مدينة الرس ، بقرب وادي الرمة .

إن الشاعر يفتخر بقومه بكونهم حَلوا هذه الرقعة الواسعة من الأرض ، كما افتخر بقوتهم بقوله :

نُقَاذِفُ بالأسياف عَبْساً وطَيِّئاً ... وقد أحجمت عنا تميم ومذحجُ

---

(١) «أبو علي الهجري» ص ٢٧٥ .

٣٥ ــ ص ٧٨٩ و٧٢١ : المشقَّر حصن كان بين نجران والبحرين ، يقال إنه من بناء طسْمٍ ، كانت تسكنه عبد القيس) . القول بأن المشقر بين نجران والبحرين لابن الفقيه في كتاب «البلدان» وعنه نقل ياقوت[١] ولكن ابن الفقيه ــ في موضع آخر قال[٢] في الكلام على البحرين : (وقصبة هجر الصفا ، والمشقر والشعبان ، والمسجد الجامع في المشقر ، وبين الصفا والمشقَّر نهرٌ يجري ، يقال له العين) . وأدقُ وصف في تحديد موقعه ما نقله البكري[٣] عن ابن الأعرابي : (المشقر مدينة عظيمة قديمة ، في وسطها قلعة ، على قارة تسمى عطالة وفي أعلاها بئر تثقب القارة حتى تنتهي إلى الأرض ، وتذهب في الأرض ، وماء هجر يتحلَّبُ إلى هذه البئر) . وأقول : هذه القارة التي في أعلاها ثقب ، والتي تتحلب إليها مياه هجر لا تزال معروفة باسم (القارة) وأراها هي التي نقل ياقوت في «معجم البلدان» عن ابن الكلبي قوله : (القارة جبيل بنته العجم بالقفر والقير ، وهو فيما بين الأطيط والشبعاء في فلاةٍ من الأرض إلى اليوم) . غير أنني شاهدت جبل القارة . فظهر لي أنه ليس مبنيًّا بل خلقةً ، وقد صعدت أعلاه ، وهو سهل الصعود ، وليس مرتفعاً ، وفي أسفله سراديب نافذة ، وهي شديدة البرودة في القيظ . وبقربها قرية تدعى القارة ، والأرض المحيطة بها ذات آثار حراثة ومجاري أنهار ، غير أنها لانخفاضها علاها الرمل وأخفى كثيراً من معالمها .

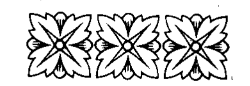
٣٦ ــ ص ٧٩٤ : (بيشة واد عظيم يصبُّ سيله من الحجاز حجاز الطائف ، ثم ينصبُّ في نجد حتى ينتهي في بلاد بني عُقَيل) هذا الكلام نسبه ياقوت إلى أبي زياد الكلابي ، وهو غريب حقًّا ، فأبو زياد يعرف هذه البلاد ، وأخشى أن يكون في كلام ياقوت نقصٌ . فوادي بيشة لا تنحدر فروعه من حجاز الطائف ، إذ جميع أودية هذا الحجاز تفيض في جنوب ركبة وفي غور تهامة ، ثم بعد سراة الطائف أودية سراة بلحارث وبني مالك من بجيلة وهي تفيض في السهول الواقعة بين وادي أبيدة شرقاً وسهول ركبة الجنوبية الشرقية ثم سراة زهران وكل سيولها تنحدر في وادي أبيدة إلى تربة

---

(١) ص ٢٨ .
(٢) ص ٣٠ .
(٣) «معجم ما استعجم» ص ١٢٢٣ .

والخرمة ، وترفدها أودية تأتيها من أسافل السراة ومن الحرَّة حرة بني هلال ، ثم سراة غامد وجميع سيولها تنحدر إلى وادي رَنْيَة ، ثم أسافل سراة بَلْقرن وخثعم وما حولها وتلك تفيض في وادي بيشة ، وكذا وادي تبالة يرفد وادي بيشة ، ثم وادي تَرْج .

٣٧ ــ قناة ، قباء : وكما بدأت هذا الحديث حول قول ابن الزِّبَعْرى : حين ألقت بـ(قناةٍ) بَركها ــ على ما رجَّح أستاذنا ، مع مخالفته لما جاء في جميع ما وقع في يديه من الكتب . أليس من حق مؤلفي تلك الكتب تخريج روايتهم تخريجاً يتلاءم مع مكانتهم العلمية كأن يقال : المسافة بين موقع المعركة وبين قباء تقرب كما حددها السمهودي : (من أحد إلى المسجد ٦٠٣٥ ذراعاً وطول المسجد ٢٤٧ ذراعاً ومن المسجد إلى قباء ٧٢٠٠ ذراعاً) = ١٣٤٨٢ ذراعاً وهذا يقارب ٦٧٤١ متراً) أي أقل من سبعة أكيال ومن ثلاثة أميال) والشعر يبنى غالباً على المبالغة وخاصة في مقام الفخر ، والشاعر ذكر بني عبد الأشل ومنازل هؤلاء شرق المدينة فناسب أن يذكر غربها وهو جهة قباء ، وأي معنى لأن يقول : إن ركابنا بلغت قناة ، مع أن ما جرى منهم في هذا الموضع أبلغ من الوصول إليه ، فقد قتلوا فيه قرابة ٦٠ شهيداً وهزموا فيه جيش المسلمين . سأدع الاسترسال في هذا حتى يتسنى لأستاذنا مشاهدة تلك المواضع ، ومن يدري ؟! فقد يرى رأيا آخر .





شعر الدعوة الإسلامية
في عهد النبوّة والخلفاء الراشدين

أحسن الأخ الأستاذ الشيخ عبدالله بن عبد المحسن التركي عميد كلية اللغة العربية في الرياض بِيَ الظن فطلب مني — كغيري — أن أبدي ملاحظاتي على هذا الكتاب .

والواقع أن مثل هذه البحوث التي يقدمها طلاب الكليات للحصول على إحدى الشهادات كثير منها لا يبلغ من الأصالة والقوة ما يجعلها عرضة للنقد .

غير أنني أنظر إلى مثل تلك الرسائل نظرة لا تقف عند حد الرسالة نفسها بل تتجاوزها إلى ما هو أبعد عمقاً في حياتنا الثقافية ، وايضاح هذا أن كثيراً ممن يقومون بتوجيه أبنائنا ، وتدريسهم في المدارس العالية ، يتساهلون كثيراً في موضوع الرسائل التي يقدمها أولئك الطلاب لنيل الشهادات العالية ، مما نشأ عنه وجود عدد كبير في بلادنا من حملة الشهادات العالية في حالة من الضحالة الفكرية لا تليق بمثقف ينمى إلى كلية عالية .

ولئن جاز التساهل مع الطلاب في مراحلهم الأولى فإن المراحل الأخيرة يجب أن تكون على درجة من القوة وان لا يحدث تساهل نحو إنسان ستكون هذه المرحلة هي مفتاح حياته الْعَمَلِيَّة ، وان القسوة في مثل الحالة لهي منتهى الرحمة لهذا الطالب والشفقة عليه :

فقسى لِيَزْدَجِروا ومن يك راحماً فليقس أحياناً على من يرحم

إن الأستاذ الدكتور عبد الرحمن رأفة الباشا الذي أشرف على بحث (شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين) ممن عانى دراسة الشعر وأَلَمَّ بما يحيط بتلك

(*) مجلة العرب — المجلد السادس — ص ٨٩٠ —.

الدراسة ، في مختلف نواحيها ، ولئن جاز التساهل مع مقدم هذا البحث الأستاذ عبدالله بن حامد الحامد من قراء بحثه هذا فإنهم بدون شك سيجدون فيه منافذ واسعة يلجون منها لينالوا من عمل الدكتور في توجيهه واشرافه .

١ — فالدكتور لا يرى في « الأغاني » و« العقد » و« الجمهرة » و« الحماسة » و« المفضليات » و« الأصمعيات » مصادر لشعر الدعوة الإسلامية .

٢ — ويرى أن شعر الدعوة صدر عن شعراء مقلين .

وهذان الرأيان لو صدرا من غير أستاذ جليل نال اجازته العالية عن دراسة لجانب من جوانب الشعر العربي ، لكانا جديرين بالاطراح والإهمال .

فإذا لم نجد في « الأغاني » و« العقد » والدواوين التي أشار إليها مصادر صحيحة للشعر المشار إليه ، فإن المصادر الأخرى لا تمدنا بما تطمئن إليه نفوسنا من ذلك الشعر .

واذا وصفنا حسان بن ثابت وكعب بن مالك والعباس بن مرداس وأضرابهم من الشعراء بأنهم مقلون ، فمن هو المكثر إذن ؟!

٣ — وأمر على درجة كبيرة من الأهمية ، هو أن الدكتور الباشا وجه عنايته أكثر ما وجهها للكم دون الكيف ، ولهذا قنع من الأستاذ الحامد بأن يقدم أكبر كمية من هذا الشعر دون التحقق من صحتها ، وهذا أمر لا أعتقد أن أساليب البحث العلمية قديمها وحديثها تجيزه ، ذلك أننا نريد أن يكون البحث قائماً على أقوى درجات القوة والعمق ، واذا فاتنا الاستقصاء فلا أقل من أن نقدم شيئاً صحيحاً ، أما أن نجمع الغث والسمين وأن نصفه بأنه شعر الدعوة الإسلامية وان كان فيه مالا يصح أن يضاف إليها ، فهذا من الأمور التي لا تمدنا بشيء جديد في ثقافتنا .

وقول الأستاذ الحامد : ان الشعر الذي جمعه صحيح النسبة إلى عصره ، أو راجح النسبة إليه ، ومع ذلك فهو لا يخلو من أشعار يكتنفها الشك وذلك خاص . بما يرويه الواقدي في « فتوح الشام »[1] ، هذا القول لا يكفي ، فهناك أشعار لا يشك باحث بأنها

---

(١) المقدمة ص ٢٤ .

موضوعة وضعاً ، وليست مما يشك في صحته فحسب فخالد بن الوليد ـــ رضي الله عنه ـــ لا يمكن أن يقول :

وألقهم ربي سريعاً ببغيهم   بحق نبي سيد العرب والعجم[1]

اذ الدعاء بحق الأنبياء والصالحين من الأمور المبتدعة في الدين بعد العصور الاولى المفضلة . ونسبة «فتوح الشام» إلى الواقدي غير صحيحة .

وكثير من القصائد المنقولة عن سيرة ابن هشام ، قد نبه ابن هشام نفسه إلى عدم صحتها ، وانها مما أنكر على ابن اسحاق ومعروف أن ابن اسحاق كانت توضع له الأشعار ، فيدخلها في «السيرة» .

بل نجد من الأشعار الواردة في هذا الكتاب ما هو من شعر القرن الثالث الهجري ، فالقطعة (٣٥٨)[3] هي لبكر بن حماد التاهرتي (٢١٧ ـــ ٢٩٦ هـ) .

إننا وان كنا بحاجة شديدة إلى أن نوجه الطلاب إلى العناية بتراثهم ، وأن نُحَسِّنَ اليهم دراسة ذلك التراث ، وأن نوجد كل وسائل الرغبة والتشويق في نفوسهم ينبغي أن لا يعزب عن بالنا تقوية روح البحث العلمي والتعمق بجد للوصول إلى حقائق وآراء صحيحة في كل ما يدرسون ، وأعتقد أن هذا هو الأساس التي تقوم عليه الدراسات العالية أو الدراسات الممهدة لها .

٤ ـــ وأمر آخر هو أن الدكتور ـــ فيما يظهر لم يحدد لصاحب البحث الموضوع تحديداً جامعاً مانعاً ـــ كما يقولون ـــ بل ترك له الأمر بأن يدخل في بحثه اشعاراً طرقت جميع الموضوعات الذي كان يطرقها الشعر في ذلك العهد ، من مديح ورثاء ووصف وهجاء وغير ذلك من الأغراض ، مما يصح أن يطلق عليه اسم الشعر الإسلامي في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، وكان الأولى أن يحدد شعر الدعوة تحديداً يميزه عن غيره .

---

(١) ص : ١٢٩ .

(٢) ص : ٤٩٢ .

تبقى ملاحظات حول التحقيق ، ويظهر أن المشرف الكريم لم يعر هذه الناحية اهتماماً كبيراً ، ولهذا وقع في البحث كثير من الاغلاط التاريخية والجغرافية نكتفي بالإشارة إلى بعضها :

١ ـــ ص ٤٢ : ذبابة بن الحارث السعدي ليس من سعد بني تميم ، بل من سعد العشيرة من قحطان ، وانظر «الإصابة» رقم (٢٤٢٩) .

٢ ـــ ص ٦٨ : سواد بن قارب هو دوسي لا دويسي ولا سدوسي ، أما ابن حجر فقد شك في نسبته ، ولكن ابن منده[١] نص على أنه من الأزد ، وهذا يدل على أنه دوسي .

٣ ـــ ص ٧٤ : بعثة الرجيع ليست إلى نجد بل الرجيع ماء لهذيل قرب الهدأة التي لا تزال معروفة بقرب عسفان .

٤ ـــ ص ٨٢ : ثمامة بن أثال قطع الميرة عن قريش ، وهي ميرة الحب لا التمر كما هنا . كما في «سيرة» ابن هشام وغيره .

٥ ـــ ص ٨٥ : خفاف بن ندبة هو سلمى وليس نهمياً ، وترجمته في «الاصابة» جـ١ ص ٤٤٨ وله ديوان شعر مطبوع .

٦ ـــ ص ١١٢ : الوداع ليس من أودية المدينة ، بل هو ثنية في أحد طرقها حدده السمهودي في «وفاء الوفاء» وذكر أنها متصلة بجبل سلع .

٧ ـــ ص ١٢١ : عن عمرو بن معدي كرب : (توفي مَغْزَى الرَّيِّ ودمستي)؟ إن عدم تاريخ وفاة عمرو خير من تعريفها بهذه الطريقة . فمتى مَغْزَى دمستي ؟ وأين تقع دمستي ؟ لا شك أن المقصود دَسْتَبَى اعتمادا على قول صاحب «الأغاني» : خرج عمرو بن معد يكرب في خلافة عثمان (ض) إلى الريّ ودَسْتَبَىَ فضربه فالج في طريقه فمات بَرَوْذَة[٢] . ولكن صاحب «الأغاني» قال قبل هذا : والصحيح أنه مات في آخر خلافة

---

(١) كتاب عبد الرحمن بن مندة الورقة ١٣٤ مخطوط .

(٢) : ١٥/١٦٧ طبعة بيروت .

عمر (ض) ودفن بروذة بين قُمٍّ والري . ومن الناس من يقول أنه قتل في وقعة نهاوند انتهى . ويؤيد هذا القول ما أورده خليفة بن خياط في تاريخه في حوادث سنة ٢١ أن عمراً كان من مدد أهل الكوفة الذي أمره عمر بن الخطاب بالتوجه لامداد المسلمين في نهاوند . وما أورده ابن حجر في « الاصابة » : في سنة ٢١ كانت وقعة نهاوند فَقُتِل النعمان بن مقرن ثم انهزم المسلمون ، وقاتل عمرو بن معد يكرب يومئذ حتى كان الفتح ، فأثبتته الجراحة ، فمات بقرية روذة ، ثم أورد شعراً لدعبل في ذلك .

٨ ـــ ص ١٢٢ : البيت الثامن غير مستقيم الوزن .

٩ ـــ ص ١٣٦ : نخلة هنا هي الشامية وليست بين مكة والطائف وانما تلك اليمانية .

١٠ ـــ ص ١٦١ : عامر بن الأكوع لم يقل صاحب « الاستيعاب » أنه من الأنصار ذلك أنه من أسلم ، كما في « الإصابة » رقم ٤٣٩٣ وقد استشهد في خيبر لا في حنين كما ذكر مترجموه ، وكما في «سيرة ابن هشام» في خبر وقعة خيبر .

١١ ـــ ص ١٦٩ : ناجية بن جندب لم يقل صاحب « الاصابة » أنه سلمي بل قال الاسلمي ، وساق نسبه الى أسلم .

١٢ ـــ ص ١٨٧ : (كداء جبل بأعلى مكة) وفي صفحة ١٩٠ (كداء الثنية العليا بمكة مما يلي المقابر ، وهو ما يسمى المعلى) هذان تعريفان مختلفان لموضع واحد ، والصواب الأخير ، إلا أن المعلى لا يطلق على الثَّنية ، بل على المقابر.

١٣ ـــ ص ٢١٥ : (الحتان بن زُرَيح) صوابه الحتات ، وترجمته في هذه الصفحة طغى عليها التطبيع (الأغلاط المطبعية) فاستعجمت كما طغى على كثير من الأسماء والكلمات بحيث قل أن تخلو صفحة واحدة منه ، وهذا مما لا يد لصاحب الكتاب فيه ، ولهذا سوف لا نتعرض له .

١٤ ـــ ص ٢٢٧ : ابن الحضرمي اسمه عمرو لا عمر ، ونخلة التي حدثت فيها الوقعة ليست بين مكة والمدينة ، بل بين مكة والطائف ، وتعرف الآن باسم اليمانية اذ هما نخلتان الشمالية وتدعى نخلة الشامية ، والجنوبية وتدعى نخلة اليمانية ، ولا تزال النخلتان معروفتين .

١٥ ـــ ص ٢٦٥ : عباس بن مرداس ليس هوازنياً بل من مشاهير بني سليم .

١٦ ـــ ص ٢٨٣ : دارين لا تبعد في البحر مسيرة يوم وليلة بل أقل من ساعة ، وعند جزر البحر يخاض من القطيف إليها ومنذ بضع سنوات أنشيء جسر ممتد من القطيف إليها .

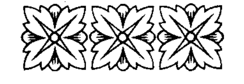
١٧ ـــ ص ٣٢٨ : قائد قريش وزعيمها في وقعة بدر هو عتبة بن ربيعة فهو كما في «البداية والنهاية» و«سيرة ابن هشام» وغيرهما : كبير قريش وسيدها والمطاع فيها .

١٨ ـــ ص ٣٩٧ : ثبير جبل بل جبال بمكة ومنى ، وليس ماءة قرب المدينة .

١٩ ـــ ص ٥١٢ : القطعة (٣٧٨) ليست لامرأة نجدية ، بل لامرأة من أهل المدينة ، والقطعة ناطقة بذلك .

وبعد : فيعلم الله ما أكنه لكل واحد من أبنائنا من محبة التقدم في كل ناحية من نواحي الحياة ، وهذه المحبة هي التي دفعتني إلى أن أبدي هذه الملاحظات التي ينصب أكثرها بل كلها على عمل الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الباشا المشرف على ذلك البحث الممتع ، والذي أحمل له من التقدير ما هو جدير به ، لفضله وكريم خلقه .

أما جهد الأستاذ عبدالله الحامد فإن كل من اطلع على بحثه أدرك ما اتصف به ذلك الجهد من قوة وحرص على أن يجيء بحثاً مستوفياً لكل ما يتعلق به ، والله يوفق الجميع لكل خير .



ديوان حاتم الطائي(*)

في كتاب «الموفقيات» للزبير بن بكار، ثم في كتاب «الأغاني» للأصبهاني كثير من أشعار حاتم وأخباره ، وطبع ديوانه الذي رواه ابن الكلبي عن أبي صالح يحيي بن مدرك الطائي ، مراراً ، غير أن أجود طبعة وأوسعها هي التي حققها الدكتور عادل سليمان جمال ، وصدرت في القاهرة قبل عام — غير مؤرخة — .

فقد قدمها بدراسة وافية عن حاتم . وعن شعره في نحو ١٤٤ صفحة ثم أورد الشعر على ما جاء في رواية الكلبيّ عن أبي صالح ، تتخلله أخبار وشروح لأبي صالح. وفي هوامشه إضافات شروح وإحالات للمحقق الفاضل (من ص ١٤٥ إلى ٣٠٤) .

ثم ألحق بذلك ما نسب لحاتم وليس له (من ص ٣٠٥ إلى ص ٣١٤) .

ثم تعليقات المحقق عن المصادر التي ورد فيها الشعر ، وعن بعض الأخبار المتعلقة به في تلك المصادر (من ص ٣١٧ إلى ٣٧٨) .

ثم مصادر التحقيق التي بلغت أكثر من ثمانين ومئة كتاب بين مطبوع ومخطوط (من ص ٣٨١ إلى ص ٣٩٨) .

ثم الفهارس (من ٣٩٩ إلى ٤٢٠ آخر صفحات الديوان) .

ويلفت النظر اهتمام محققي كتب التراث بسرد أسماء كثير من المؤلفات باعتبارها من مصادرهم التي رجعوا إليها ، وهذا لا مأخذ عليه ، غير أن القارىء عندما يرى اسم كتاب بين مصادر أحد المحققين يثق بأن هذا المحقق كفاه مؤونة الاطلاع على ذلك الكتاب ، وأورد كل ما فيه مما يتعلق بالكتاب المحقق ، ولكن هذا لا ينطبق في حقّ كل من نشر كتابا مخطوطا ، أو حققه ، وأنا لا أصم الدكتور عادل سليمان جمال بهذه الوصمة

(*) مجلة «العرب» — المجلد الثالث عشر — ص ٧٢ .

ولكنني كنت أود لو أقتصد فذكر من تلك المؤلفات ما له صلة قوية بموضوع الديوان . ومهما يكن فإن ما أبرز المحقق الفاضل من جهد لتحقيق شعر حاتم ، وما قدّم من دراسة عميقة عن حياة ذلك الشاعر الجواد ، من مختلف جوانبها مما يشهد له بالفضل ، وجودة العمل .

ولقد كرم أستاذنا الأستاذ الجليل محمود محمد شاكر فقدّم لي نسخة من ذلك الديوان ، طالعتها فرأيت أن من تمام شكر عمل المهدي والمحقق الفاضلين أن أتحدث عنها حديثاً موجزاً ، أحصره في ناحيتين : إحداهما تتعلق بتحديد المواضع . وهو أمر بذل المحقق الكريم فيه ما استطاع ، ورجع إلى كتب الأئمة في هذا الشأن كمعجم البكريّ «معجم ما استعجم» و«معجم البلدان» ولهذا ستكون الملاحظات حول تحديد المواضع منصّبة على ما نقله من نصوص ، وصلته بها لا تعدو صلة الناقل ، لا القائل ..

والناحية الثانية تتعلق بالمحقق وتتصل بعمله ، ولا يضيره أمرها ، فأنا لست مما ذكرت على يقين ، ولكنني أوردته من قبيل المذاكرة . وسأبدأ بهذه الناحية :

١ — ص ٣٨ — ورد خبر أسر حاتم . ولكنّ مثلاً شائعاً منسوباً إلى حاتم في بعض كتب اللغة هو : (لو ذات سوار لطمتني) مع قصته ، لم أر إشارة إليه ، ولعل صاحبي «مجمع الأمثال» و«المستقصى» وقد ذكرا المثل لم ينسباه إلى حاتم ، مع أنني لم أطلع على ما جاء فيهما ، ولكنهما من مصادر المحقق الفاضل* .

٢ — ص ٤٦ : (قائد جديلة أسبع بن عمرو بن لأم) .

(أسبع) هنا تصحيف (أشنع بالشين المعجمة بعد الألف ، وبالباء الموحدة ، والعين مهملة وهو في كتاب «النسب الكبير»[١] وفي «القاموس» وشرحه[٢] : أشنع بن عمرو بن طريف وهو أخو لأم ، على ما في كتاب «النسب الكبير» .

(*) عن أسر قبيلة عنزة لحاتم انظر «الأمثال» لعكرمة الضبي .

(١) المخطوطة ص ١٥٠ .

(٢) رسم شنع .

٣ ــ حبّذا لو تحدث المحقق الفاضل عن السلاسة والوضوح في شعر حاتم ، مما لا يجده القارىء في أشعار الجاهليين . بحيث يساوره الشكّ في ذلك الشعر من أساسه .

ويظهر لي أن خلوّ شعر حاتم ــ في مجمله ــ من الكلمات العويصة ، من التعقيد أو التداخل في الجمل ، يمكن إرجاعه إلى سببين :

أحدهما أنّ حاتماً حضرياً ، يسكن قرية ويستثمر نخلاً ، ويخالط قوماً متحضرين تخالف لهجتهم لهجات أهل البادية وخشونتها .

والثاني : أن قبيلة ــ حاتم ــ وهي طيء ــ كانت قوية الصلة بالحواضر ، في الشام والعراق ، حيث تلتقي بأناس من مختلف القبائل ذوي لهجات مختلفة فتحاول أن تكون لغتها واضحة مفهومة ، فتختار السلاسة والوضوح كما أن الطريق إلى الشام من بلاد نجد ، ومن الحجاز عند مبدإ ظهور الإسلام كان يمرّ بأعلى بلادها ، وهو الطريق المعروف قديماً باسم الجوشية . وهذا يقوي صلة قبيلة طيء بمختلف قبائل الجزيرة .

٤ ــ ص ٢٠١ : قال حاتم :

ليت البخيل يراه الناس كلّهم　　كما يراه ، فلا يقوى إذا نزلا

وعلق المحقق الفاضل : كذا في الأصل : نزاه كما نزاه وفي (م) يراه كما يراهم . ولا أدري ما الصواب انتهى . وهذا عمل حسن فليت كل من يتصدّى لتحقيق كتب التراث يقف هذا الموقف في كلّ ما لم يتضح له معناه ، ولا يتعرض للنصوص القديمة فيغيّرها حسب هواه[1] .

وأرى أن لا ضير لو قرأنا كلمة (يزاه) : (نراه) ليستقيم المعنى .

٥ ــ وأورد في الديوان ــ ص ٢٢٠ ــ عن ابن الكلبي قال :

ذكروا أن عامر بن جوين حالف محارباً ، فأدخلهم الجبل ، فقاتلوا بني بولان ،

(١) أنظر أمثلة لذلك في مقال «تاريخ الإسلام وموقف مركز احياء التراث منه» في مجلة «العرب» جزء جمادى سنة ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م .

وبولان غصين بن عمرو ، وأخوه تغلب بن عمرو .

وعلق محقق الديوان بقوله : لم أجد بين إخوة بولان — واسمه غصين — من يسمى تغلب ، ولعل الصواب ثعلبة — وهو جرم — وهما ابنا عمرو بن الغوث بن طيء ، وأشهر إخوتهم ثعل بن عمرو وفيهم البيت والعدد ، وأسودان بن عمرو وهو نبهان ، وهنيّ بن عمرو .. ألخ .

ولما لا يكون الصواب (ثعل) فالاسم إلى أن يصحف بـ(تغلب) أقرب من أن يصحف (ثعلبة) به .

ولأن بني ثعل هؤلاء كانت مساكنهم في جبل أجا ، وهم قوم حاتم الأدنون ، أهل القرية . قرية حاتم : التي وردت في شعر امرىء القيس :

تبيت لبوني بالقرية أمنّا وأسرحها غبّا بأكناف حائل

وقال :

أيا ثعلا وأين منّي بنو ثعل؟ ألا حبّذا قوم يحلّون بالجبل
نزلت على عمرو بن درماء بلطة فيا كرم ما جار ، ويا حسن ما محلّ

وأما بنو ثعلبة — جرم — فمنازلهم خارج الجبل ، جبل أجأ غربه ، إلى فردة وما دونها وما حولها .

٦ — ص ٢٧٦ :—

قال المحقق — تعليقاً على قول حاتم :

وحنّت إلى فتّ بجنبي بسيطة .

فتّ : لم أجد موضعاً بهذا الاسم . وهو بالثاء المثلثة —وفثٌّ هنا ليس اسم موضع ، بل اسم نبات يجمع حَبُّهُ ويؤكل ، وهو يجود وقت الخصب . ويكثر في شمال الجزيرة في أرض بسيطة ، وفي بلاد الجوف . وقد شاهدته هناك ، وتحدثت عنه في كتابي «في شمال

غرب الجزيرة»[1] وتحدث عنه المستشرق الويس موزل في كتابه «شمال نجد» وهو يسمّى السّمح .

وجاء في كتاب «النبات» صنعة الدكتور محمد حميدالله ، مما نقل عن أبي حنيفة[2] : والدعاع والفثّ بقلتان ، يخرج منهما حبّ أسود ، كالشّينيز ، يختبز ويعتصد ، ورقه قريب من ورق الهندباء ، وتظهر البرعومة من وسطها في أول نباتها . انتهى المقصود منه .

وورد الاسم مصحفاً في بعض المطبوعات العربية : (القتّ الذي يأكله الناس) . والقتّ ليس من أطعمة الناس .

٧ ــ ص ٢٩٢ ــ أورد المحقق عن كتاب «الجبال والأمكنة والمياه» للزمخشري قوله : قرص : تلّ بأرض غسّان ، واستدل بقول حاتم :

نحو قرص ثمّ جالت جولة .

ولكن جاء في «اللسان» وفي «القاموس» وشرحه «تاج العروس» : وقرص بالضم ــ تلّ بأرض غسّان ، كأنه سمّي لاستدارته كهيئة القرص . قال عبيد بن الأبرص :

ثمّ عجناهنّ خوصا كالقطا القا ... ربــات الماء من أين وكلال
نحو قرص ثمّ جالت جولة الخيـ ... ـل ، قبّا عن يمين وشمال

أضاف الأين إلى الكلال وإن تقارب معناهما لأنه أراد بالأين الفتور ، والكلال الإعياء وقيل : قرص هو ابن أخت الحارث بن شمر الغساني ، وهو المراد بقول ابن الأبرص[3] .

الناحية الثانية : الملاحظات المتعلقة بالمواضع :

---

(١) صفحة : ١٠٠ .
(٢) : ١٨٣ .
(٣) وأنظر عن قرص (نونية الكميت) العرب س ١٣ ص ٧٣١ .

وسأحاول أن أتناول بالكلام المواضع الواردة في شعر حاتم ، سواء كان صحيحاً أو منسوباً إليه باستثناء ما هو خارج عنها عن جزيرة العرب ، بل قد أذكر أسماء يسيرة وردت عرضاً في الكلام على ذلك الشعر ومما ينبغي إدراكه حول تحديد المواضع أن الخطأ في ذلك ينشأ عن أسباب منها :

الأول — وقوع التحريف أو التصحيف في الأسماء ، في كثير من الكتب ومن أمثلة ذلك من المواضع الواردة في هذا الديوان .

١) الحلبط — حالة .
٢) الرداة — الرّاده — جمع ردهة .
٣) زخة — رخّة — بالراء .
٤) ستار — مشار .
٥) سيرا — سميراء .
٦) مصاخر — مضاخر .

الثاني — أن الاسم الواحد قد يطلق على عدد من المواضع ، وإذا لم يكن لدى الباحث إلمام بالمنازل التي يتحدث عنها ، قد يذكر من بينها ما ليس منها ومن أمثلة هذا في الديوان .

١) القرية — تصغير قرية .
٢) متالع .

الثالث — أنّ معجمات الأمكنة التي بين أيدي الباحثين ليست شاملة لكل المواضع الواردة في الأشعار القديمة والأخبار . ولذلك أمثلة كثيرة يمكن الرجوع إلى بعضها في كتاب «أبو علي الهجري ، وأبحاثه في تحديد المواضع » .

ومن الأمثلة في شعر حاتم : مضاخر — بالضاد والخاء المعجمتين — فهذا لم يذكره البكريّ ولا الحمويّ في موضعه من معجميهما ، وإنما ذكره نصر بن عبد الرحمن الاسكنديّ في كتابه الذي لا يزال مخطوطاً ، وقرنه بموضع لا يزال معروفاً في جهة الجبلين .

الرابع ــ أنّ أصحاب المعجمات الذين تصدوا لتحديد المواضع كانوا ينقلون عن كتب مختلفة في مناهجها وعن دواوين لشعراء من مختلف القبائل . ومن هؤلاء من يورد اسم موضع ورد في شعر شاعر باعتباره من بلاده ، وما كلّ موضع يذكره الشاعر في شعره يكون في بلاد قومه .

ويورد صاحب المعجم لتحديد الموضع أقوالاً مختلفة ، اعتماداً على ما نقل عنه من كتب ، فقد يعرف الموضع بالنسبة لسكانه كَأَنْ يقول : متالع في بلاد طيّء وقد يعرفه بصفته كَأَنْ يقول : جبل أبيض . أو يعرفه بما يقع بقربه من المواضع المشهورة كَأَنْ يقول : متالع غرب أجا .

وقد يظن من ليس لديه إلمام تامّ بطريقة أصحاب المعجمات هذه أن تلك الأقوال تقع على مواضع متعددة وما هي في الحقيقة سوى موضع واحد في كثير من الأحوال ، بخلاف ما إذا نسب الموضع لقبيلتين ــ أو أكثر ــ من القبائل المتباعدة في المنازل ، كما في متالع ــ عند ياقوت ــ فالاسم يطلق على جبال متعددة ولكنه لم يذكر من بينها متالع الواقع في بلاد طيء وقد ذكره نصر ، وهو من مصادره .

بعد هذا الاستطراد يحسن أن ندخل في الموضوع ، وليسمح لي المحقق الفاضل في إطالة النفس في الكلام على تحديد المواضع ، فأنا أكتب هذا لقرّاء يحتاجون إلى تفصيل القول عن مواضع يعيشون فيها وحولها ، ويودّون الاستزادة من معرفة ماضيها .

وهذا يبعدنا عن الديوان ، ولكنه بعد ذو فائدة .

١ ــ أباير : ص ٢٧٥ ــ قال حاتم :

بأن بنيه قد تناؤوا بدارهم فحوران أدنى دارهم فابائر

وقال المحقق الفاضل : أبائر لم أجد موضعاً بهذا الاسم : فقراقر . البكري وقال : ويدلّ أن قراقر بشق الشام بيت حاتم هذا ، لأن حوران من عمل دمشق . انتهى .

وأضيف : سيأتي الكلام عن قراقر ، أما أباير فقد ورد مصحّفاً في « معجم البلدان » وفي كتب أخرى ، مع أنه لا يزال من أشهر المواضع في شمال الجزيرة ، وها هو ما قلت

عنه في «المعجم الجغرافي»[1] :

أباير : ورد اسم هذا الوادي مصحفاً في شعر الرماح بن أبرد — ابن ميادة — الذي أورده صاحب «معجم البلدان»[2] ومنه :—

وبالغمر قد جازت وجاز مطيها ... فتسقي الغوادي بطن بيسان والعمرا
فلما رأت أن قد قربن أثابرا ... عواسف سهب تاركات بنا ثجرا

(أثابر) صوابه : أباير . و(بيسان) صوابه : نيّان . والغمر ونيان وأباير كلها مواضع معروفة متقاربة .

وأورده ياقوت أيضاً في «معجم البلدان» قائلاً : أباير بالضم والياء الثانية مكسورة — منهل بأرض الشام في جهة الشمال من أرض حوران . قال الرّماح بن ميّادة وهو عند الوليد بهذا الموضع ، وكان يخرج إليه في أيام الربيع للنزهة .

لعمرك إني نازل بأباير ... وضوء ومشتاق وإن كنت مكرما
أبيت كأنّي أرمد العين ساهرا ... إذا بات أصحابي من الليل نوّما

وأقول : والصواب أباير — بالباء الموحدة بعدها ألف فياء مثناة تحتيّة وآخره راء — ويعرف الآن باسم (باير . أنظر هذا الاسم) وهو واد من روافد وادي السرحان ، يقع في الجنوب الغربي من النبك قاعدة الوادي . ويفيض فيه بين قريتي غطّي والعين البيضاء (الجفيرات) جنوباً ، وفي أعلى أباير منهل من أشهر المناهل في ملتقى طرق ويدعى باير (ويقع الوادي بين خطي الطول ٣٠َ و٣٦ْ و٣٠َ و٣٧ْ تقريباً وخطي العرض ٤٥َ و٣٠ْ و١٥َ و٣١ْ تقريباً) أما ضوء — الوارد في شعر الرماح — فقد يكون محرفا وأن الصواب ضرء — بالراء بدل الواو — وهو واد أيضاً يقع بقرب وادي أباير شماله ، ويدعى الآن الضّروة يفيض بعد أن يجتمع بوادي الغدف (الأغدف) شمال قرية الحديثة ، في الرشرشية في أعلى وادي السرحان وبقرب وادي أباير واد يدعى الضّواين ،

---

(١) : (قسم شمال المملكة) ٢٥ — ٢٧ .
(٢) ثجر .

وقد يكون هو المقصود في قول الشاعر ، وهو يقع شرق جنوب وادي أباير ، ويفيض في وادي السرحان شمال العيساويّة بعد أن يجتمع بوادي الحصاة . على أن البيتين وردا في « الأغاني »(١) هكذا :

لعمرك إني نازل بأباين لصوار مشتـــاق . الخ

— وأراه تصحيفاً في الموضعين ، وللخبر بقية طريفة يحسن إيرادها . فقال الوليد : كأنك عزفت من قربنا ؟ فقال : ما مثلك يا أمير المؤمنين يعزف من قربه ولكن :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة بحرّة ليلى حيث ربتني أهلي
وهل أسمعنّ الدهر أصوات هجمة تطالع من هجل خصيب إلى هجل
بلاد بها نيطت عليّ تمائمي وقطعن عني حين أدركني عقلي
فإن كنت عن تلك المواطن حابسي فأيسر عليّ الرزق واجمع إذن شملي

فقال : كم الهجمة ؟ قال : مئة ناقة . فقال : قد صدرت بها كلها عشراء ! قال ابن ميّادة : فذكرت ولدانا لي بنجد إذا استطعموا الله عز وجلّ أطعمهم وأنا ، وإذا استسقوه سقاهم وأنا ، وإذا استكسوه كساهم وأنا . فقال : يا ابن ميادة ! كم ولدانك ؟ فقلت : سبعة عشر منهم عشرة نفر وسبع نسوة . فذكرت ذلك بقلبي . فقال : يا ابن ميادة قد أطعمهم الله وسقاهم وكساهم . أما النساء فأربع حلل مختلفات الألوان ، وأما الرجال فثلاث حلل مختلفات الألوان ، وأما السقي فلا أرى مائة لقحة إلّا ستروِيهم ، فإن لم تروهم زدتهم عينين من الحجاز . قلت : يا أمير المؤمنين لسنا بأصحاب عيون ، يأكلنا بها البعوض ، وتأخذنا بها الحمّيات . قال : قد أخلفها الله عليك كل عام لك فيه مثل ما أعطيتك العام مئة لقحة وفحلها ، وجارية بكر ، وفرس عتيق .

أبضة — ص ٣١٣ — أورد محقق الديوان هذا الشطر :

عفت أبضة من أهلها فالأجاول .

---

(١) طبعة الساسي ٢ — ١٠٤ .

وقال : نسبه البكريّ لحاتم في مادة أبضة وهي ماءة لطيّء ، والصواب أنه لزيد الخيل . من قصيدة في ديوانه . انتهى . هنا إشكال ، فالبكريّ أورده في كلامه على حمى فيد ، والبكريّ نقل كلامه على الأحماء كلها — حمى ضرية وحمى فيد وحمى النقيع — نقلها نقلاً ، ولم يصرح بمصدره . ولكن مؤرخ المدينة السمهودي أورد ما ذكره البكري ، ونسبه إلى الهجري ، ونصّ على أنه نقله عن كتابه ، والهجريّ من علماء الجزيرة ، بل من كبار علماء اللغة القدماء ، عاش في القرن الثالث ، وكونه ينسب الشعر لحاتم ، ثم يأتي إنسان متأخر عن زمنه وينسبه لزيد الخيل ، ثم يعمد أحد المعاصرين فيجمع الشعر المنسوب لزيد في ديوان فإنّ من الصعب الجزم بأن كل ما ورد في الديوان من شعر زيد ، لا من شعر غيره .

ولكن ينبغي البحث عن وسائل أخرى تحمل على ترجيح أن الشعر لزيد ، وإن لم تبلغ حدّ الجزم ، ومن تلك الوسائل أن أبضة والأجاول بقرب جبل سلمى التي هي بلاد بني نبهان قوم زيد ، كما أنه ذكر مواضع كثيرة بقرب أبضة ، منها طابة والقفيل وإرمام ، وكلها بقرب فيد الذي أقطعه إياه الرسول ﷺ حين وفد إليه ولكنه مات في الطريق على ماء فردة قبل أن يصل إلى بلده ، وقال قبل موته أبياته المشهورة :

أمطّلع صحبي المشارق غدوة وأترك في بيت بفردة مفرد
سقى الله ما بين القفيل وطابة فما فوق إرمام فما دون منشد

أمّا أبضة فالقول بأنها ماءة لطيّء صحيح ، ولكنه لا يفي بتحديد موقعها . ولأن بعض من سيقرأ ملاحظاتي هذه قد يتطلع إلى مزيد إيضاح عنها فسأورد ما ذكرته في كتابي «معجم البلاد العربية السعودية» قسم «شمال المملكة»[1] :

أبضة : بضم الهمزة وكسرها قال الهجريّ[2] في تحديد حمى فيد : الأجول جبل أسود لبني ملقط من طيّء وأقرب مياههم إليه ماءة يقال لها أبضة وهي في حرّة سوداء غليظة ، وقد ذكرها حاتم فقال :

---

(١) ص ٢٠ .

(٢) ص ٢٨٢ .

عفت أبضة من أهلها فالأجاول

ثم يلي الأجول جبل يقال له دخنان لبني نبهان من طيء بينه وبين فيد اثنى عشر ميلاً . وقال البكري : أبضة .. قال زيد الخيل :

عفت أبضة من أهلها فالأجاول ... فوادي نضيض فالصعيد المقابل
وذكَّرْنِيها بعدما قد نسيتها ... رماد ورسم بالشبابة مائل
فبرقة أفعى قد تقادم رسمها ... فما إن بها إلّا النّعاج المطافل

وقال اليزيدي أبضة ماء لبني ملقط من طيء ، عليه نخل ، وهو على عشرة أميال من فيد ، على طريق المدينة[1] . وقال ياقوت[2] : ـــ أبضة : ماءة لبني العنبر ، وقال أبو القاسم الخوارزمي : أبضة ماءة لطيء ثم لبني ملقط منهم عليه نخل ، وهو على عشرة أميال من طريق المدينة ، قال مساور ابن هند يصف هذا المكان :

سائل تميماً هل وفيت فإنني ... أعددت مكرمتي ليوم سباب
وأخذت جار بني سلامة عنوة ... فدفعت ربقته إلى عتاب
وجلبته من أهل أبضة طائعا ... حتّى تحكم فيه أهل إراب

وفي كتاب « المناسك »[3] : وعلى أربعة عشر ميلاً من فيد منازل للأعراب فيها نخل وآبار ماؤها غليظ ، يقال للموضع أبضة ، وخلف أبضة بثلاثة أميال ونصف عن يسار الطريق هضبات يقال لها هضبات أبضة ، على بعضهن صخرتان منفردتان ليس يمسكها شيء لم يزالا على ذلك تسمى أحدهما جمل والأخرى جميلة . وفي « معجم ما استعجم » أن أبضة على عشرة أميال من فيد ، ويمكن الجمع بين القولين بأن قول صاحب « معجم ما استعجم » بالأميال الطويلة .

ويوم أبضة من أيام العرب المعروفة ، أغارت فيه ضبة على بني فرير وبحتر من طيّء .

---

(١) « معجم ما استعجم » .
(٢) معجم البلدان .
(٣) ص ٥١٥ .

وأبضة الآن قرية ، ويضاف إليها حرة تدعى حرة أبضة (عبضة في المصور الجغرافي خطأ) تقع في الطرف الشرقي الجنوبي من جبل سلمى ، غرب بلدة فيد ، كما يضاف إليها جبل يدعى جبل أبضة يفصل بينه وبين سلمى من الجنوب حرّة تقع بلدة طابة في طرفها الغربي الشمالي .

وقد عدّها الأستاذ سليمان الدخيل من ديار الأسلم من شمّر ومنهم سكانها الآن وهي تبعد عن مدينة حائل قاعدة الجبلين مئة وعشرة أكيال ، في الجنوب الشرقي .

٣ — أجأ — ص ٢١٨ — قال حاتم :

أرى أجأ من وراء الشقيق والصّهو زوّجها عامر

— في خبر سيأتي ذكره في الكلام على الصّهو :

وقد بسطت القول عن جبل أجإ هذا في كتاب «المعجم الجغرافي» المتقدم ذكره[١] بما لا يتسع له المجال هنا .

٤ — أظايف : — ص ٢٤٥ : قال حاتم :

إذا الرّيح جاءت من أمام أظايف وألوت بأطناب البيوت صدورها

أظائف : جبل في ناحية طيّء .

وأورد المحقق في الحاشية قول ياقوت : أظايف بالمهملة والمعجمة ، ولا أدري

أأحدهما تصحيف أم هما موضعان ، وبالظاء المعجمة ذكره نصر وقال : جبل فارد لطيّء ، أخلق أحمر ، على مغرب الشمس من تنغة وكانت تنغة منزل حاتم الطائي . انتهى .

وأضيف إلى هذا :

(١) هذا الوصف لجبل أظايف في كتاب نصر الاسكندري الذي لا يزال مخطوطاً .

---

(١) ٤٧ — ٥١ .

(٢) كان مما أوردت في كتاب «المعجم الجغرافي»[١] عن أضايف هذا بعد كلام نصر.

وقال الهجريّ: وظايف جبل شرقي أجا، مطلع الشمس، به قبر حاتم، ليس قربه جبل. انتهى.

وكثيراً ما تبدل الألف واوا مثل أضاخ ووضاخ. فوظايف هنا هو أظايف من قبيل تسهيل الهمزة واوا.

وقال المرقّش في قصيدة في «المفضليات»[٢]:

بودّك ما قومي على ان هجوتهم إذا أشحذ الأقوام ريح أظايف

وأورد ياقوت هذا البيت بالطاء المهملة، ثم لما ذكر (أظائف) قال: (تقدم في الهمزة والطاء المهملة، ولا أدري أحدهما تصحيف أم هما موضعان).

وأقول: الصواب بالظاء المعجمة كما ينطق الآن[٣]، ولا يزال معروفاً، هو جبيل صغير، من سلسلة الجبال التي تقع شمال أجا، بينه وبين النفود، وعن يمين ذلك الجبيل جبل أكبر منه يدعى القاعد، ويبعد أظايف عن مدينة حايل بما يقارب الـ ٤٠ كيلاً في الشمال الغربي منها (بقرب خط الطول ٤٥/ ٤١ْ وخط العرض ٥٥/٢٧ْ).

أمّا لماذا خصت الريح التي تأتي من جهة أظايف بالبرودة فلأنّ الجبل يقع بالنسبة لقرى أجا في الشمال الغربي وريح تلك الجهة هي أشد الرياح برداً في الشتاء، ثم إن جهته مكشوفة لهبوب الرياح، بخلاف الجهات الأخرى.

٥ ـــ بسيطة ـــ ص ٢٧٦ ـــ قال حاتم:

---

(١) ص: ٩٦.
(٢) «شرح المفضليات» للأنباري ٤٧٦.
(٣) غير أن العامة يحذفون الهمزة فيقولون (ظايف).

وحـنّوا إلى فتّ بجنبَيْ بسـيطـة كما حـنّ للإكلاء نـيب صـوادر

وشرحه محقق الديوان فقال : فتّ : لم أجد موضعاً بهذا الاسم .

وبسيطة فلاة على طريق طيّء إلى الشام .

والإكلاء : مصدر أكلأت الأرض أي كثر كلأها .

فثّ ــ بالثاء المثلثة وتقدم الكلام عليه .

أما بسيطة هذه فهي فلاة واسعة وتخترقها طرق إلى الشام من بلاد طيء ، ومن جهات خيبر ومن شمال الحجاز .

وهناك بسيطة أخرى على مقربة من سواد العراق .

وقد ورد ذكر البسيطتين اللتين لا تزالان معروفتين في شعر المتنبي .

وأكتفي بإيراد ما يتعلق ببسيطة التي يغلب على الظنّ أنّ حاتماً قصدها .

في «معجم البلدان» أيضاً : (بسيطة بلفظ تصغير بسطة ــ أرض في البادية بين الشام والعراق ، حدّها من جهة الشام ماء يقال له أمر ، ومن جهة القبلة موضع يقال قعبة العلم ، وهي أرض مستوية ، فيها حصا منقوش ، أحسن ما يكون ، وليس بها ماء ولا مرعى ، أبعد أرض الله من السكان ، سلكها أبو الطيب المتنبي لما هرب من مصر إلى العراق ، فلما توسطها قال بعض عبيده ــ وقد رأى ثوراً وحشياً ــ : هذه منارة الجامع وقال آخر منهم وقد رأى نعامة : وهذه نخلة . فضحكوا فقال المتنبي :

بسيطة ــ مهلاً ــ سقيت القطارا تركت عيون عبيدي حيارى
فظنّوا النّعام عليك النّخيل وظنّوا الصّوار عليك المنارا
فأمسك صحبي بأكوارهم وقد قصد الضّحك منهم وجارا

وقال نصر : (بسيطة فلاة بين أرض كلب وبلقين ، بقفا عفر ، وقيل على طريق طيء إلى الشام) . وأقول :

بسيطة هذه ــ وتعرف (البسيطة) ، موضع لا يزال معروفاً ، وقد يسمى :

(بسيطا) بالألف كما في شعر شاعر عاميّ يدعى الهربيد :
(اللّي لهم بأقصى بسيطاً مدالي) .

والبسيطة هذه تقع بقرب غربي وادي السّرحان ، وتمتد بامتداد الوادي من وادي حدرج إلى قرب نهاية الوادي من الناحية الجنوبية (أي من الدرجة ٣٠/ ١٩ْ إلى الدرجة ٣٠/ ٢٠ْ عرضاً شمالياً وغرباً ومن الدرجة ٠٠/ ٣٨ْ إلى الدرجة ٣٥/ ٣٨ْ طولاً شرقياً) .

وتمتد بسيطة هذه غرباً بحيث يمرّ بها الطريق من الشام إلى تبوك ، وفيها هناك منزلة لحجاج الشام ، قبل ذات الحاج ، للمتجه إلى تبوك تدعى العرائد ، والقاع أيضاً ، وهي واقعة شرقيّ حالة عمار ، بينها وبين المدوّرة . وفي البسيطة هذه يقول صلاح الدين الصفدي ، في رحلته «حقيقة المجاز إلى الحجاز» .

سرنـــا بــــركب كــــبير لم يـقـطـع السّير خـيـطـه
كـــنـــا بـقـاعـات بســط نلهـــو بـقـــاع بسـيـطـة

٦ — بلطة : ص ٢٩٧ — من الشعر المنسوب لحاتم ولغيره :

فهل أنا ماش بين شوط وحيّة وهل أنا لاق حيّ قيس بن شمرا
وكنت إذا ما خفت يوماً ظلامةً فـإنّ لها شـعـبـاً ببلـطة زيمرا
نيافا تزلّ الطّير عن قذفاته يظلّ الضّباب فوقه قد تعصّرا

وفي الحاشية ما يشير إلى أن الأبيات نسبها ابن النحاس لامرىء القيس . وذكر أنها تروى لحاتم . شوط : في ديار بني ثعل ، من أحد جبال طيء .

وحيّة : موضع في ديار بني ثعل .

بلطة زيمر : موضع بجبلي طيء .

وأكتفي بإيراد ما قلته عن بلطة في «المعجم الجغرافي» .

بلطة : — بضم الباء وإسكان اللام بعدها طاء مهملة وآخره هاء — قال الهجريّ : قال الرّزنيّ : بلطة وشوط — مضمومة الشين — ومسطح فرعان من أجإ لجرم ، فهما

اليوم لدرماء) وقال : (ومن شعاب أجإ : تُوَارِن — غير معجمة الراء — وحقل ، وبلطة — بفتح الباء وضمها وحضن ، ورميض ، معجمة الضاد ، وثرمداء : مثل الذي في اليمامة)[1] .

وقال نصر[2] : (بلطة : عين بها نخل ، ببطن جوّ ، من مناهل أجإ) .

وفي «معجم ما استعجم» بلطة : موضع بجبل طيء قال امرؤ القيس :

نزلت على عمرو بن درماء بلطة فيا خير ما جار ، ويا حسن ما محل

ويشهد لك أنه أرض أنه أتي به في موضع آخر مضافاً إلى زيمر — قال :

وكنت إذا ما خفت يوماً ظلامة فـإن لها شـعـباً ببـلـطـة زيمرا

جعلهما اسماً واحدا .

وفي «معجم البلدان» : (بلطة : موضع معروف بجبل طيء ، وهوكان منزل عمرو بن درماء الذي نزل به امرؤ القيس .. وقال :

نزلت على عمرو بن درماء بلطة فيا حسن ما جار ، ويا كرم ما محل

وقال أيضاً :

وكنت إذا ما خفت يوماً ظلامة فـإنّ لها شـعـباً ببـلـطـة زيمرا

قال أبو عبيد السكوني : بلطة : عين ونخل وواد من طلح ، لبني درماء في أجإ ، وقد ذكرها امرؤ القيس لما نزل بها على عمرو بن درماء فقال :

ألا إنّ في الشّعبين شِعْبٍ بمسطح وشعب لنا في بطن بلطة زيمرا

وقال سلام بن عمرو بن درماء الطائيّ :

إذا ما غضبت أو تقلّدت منصلي فَلَأْياً لكم في بطن بلطة مشرب

---

(١) «أبو علي الهجري» ص ١٨٣ — ٢٠٧ .
(٢) كتاب نصر.

فــإنــكــم والحقّ لــو تــدعونــه كما انتحلت عرض السّماوة أهيب
كسنبسنا المدلين في جو بلطة ألا بئس ما أدلوا به وتقربوا

وحدث نفطويه قال : قدمت امرأة من الأعراب إلى مصر ، فمرضت ، فأتاها النساء يعللنها بالكعك والرمان وأنواع العلاجات فأنشأت تقول :

لأهل بلطة إذ حلّوا أجارعها أشهى إلى القلب من أبواب سودان
جاؤا بكعك ورمّان ليشفيني يا ويح نفسي من كعك ورمّان

وفي كتاب «التكملة» للصّغاني[1] بعد إيراد قول امرىء القيس :—

وكنت إذا ما خفت يوماً ظلامة فـإن لها شـعـبـاً ببلطة زيمرا
منيف تزلّ الطّير عن قذفاته يظلّ الضّباب فوقه قد تعصّرا

بلطة : اسم واد . وزيمر موضع أضاف الأول إليه .

وأقول بلطة : شعبة في جوف أجإ ، فيها عين تسقي نخيلات قليلة[2] ، وسيل هذه الشعبة يفضي إلى وادي الرّصف ، فوادي حايل وتبعد عن مدينة حايل بـ٣٢ كيلاً ، وتعتبر من متنزّهات حايل :

قال عبد العزيز بن عبدالله الجريفاني شاعر شعبى يعدد متنزهات حايل :

وبـلـطـة ومـعـهـا جو قـالوا : عـليها نو
السّـيـل جـاهـا تـو والـكـل مـليـان

وعندما زرت مدينة حايل في شهر المحرم سنة ١٣٨٤ (أنظر العرب س٢ ص ١٠٥٧) دعاني الأستاذ محمد بن عبدالله آل مبارك مدير التعليم إلى العشاء ، فطلبت أن يكون في ذلك الموضع ، فأنعم وأفضل ، ودعا جماعة من رجال العلم والفضل منهم الأستاذ عبد الرحمن الملق ، والشيخ علي الصالح .

---

(١) ٤ — ٥٤٧ .
(٢) وقدر الدخيل نخلها بـ ٤٠٠ .

وقد أمضيناها سويعات لا تُنْسَى مع أولئك الإخوة ، وفي ذلك الموضع الذي يضفي عليه جلال الذكريات القديمة جمالا وروعة .

ثم زرت المكان في شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٥ — ولكنني وجدت ماء العيين ضعيفاً ، والنخيلات مهملة ، وكان الوقت عصراً ، فأحسست بالوحشة لخلوّ المكان وتغيره .

٧ — بواعة : ص ٢٧٥ — قال حاتم :

وأرسلت الأشوال حول بواعة عرين وترعى بالرّداه العشائر

نقل محقق الديوان قول ياقوت : بواعة صحراء ، عندها ردهة القرينين ، لبني جرم . انتهى .

وهذا القول من كتاب نصر الاسكندري ، ولم يزد عليه ياقوت بشيء .

وقال الهجريّ : بواعة جبال لجرم من طيّء ، ثم دفعت عنها اليوم ، وهي لدرماء وزريق ومعن — والكل من طيء — وفي كتاب نصر : (بواعة صحراء عندها ردهة القرينين لجرم) . وبواعة لا تزال معروفة . قال موزل[1] : (وفيما بين وادي الشعبة وجوّى رشيد[2] تقع تلال أم لحم والبويب وصعنب وضراف وبئر الأطرم والقرانين وبئر البواعة) .

وأضيف : يظهر أن اسم بواعة كان يطلق على صحراء واسعة ذات جبال ، أما الآن فيطلق الاسم على جبل يقع غربي جبال الصّهو المتصلة بأجا من الناحية الغربية بميل نحو الشمال ، غرب بلدة موقق بما يقارب خمسين كيلاً ، وهو بقرب قرية فيضة ابن سويلم في الجنوب الشرقي منها بما يقارب عشرة أكيال ، ويشاهد منها رأي العين ، ويبعد عن حايل بما يقرب من ١٣٠ كيلاً في الجنوب .

---

(١) «العرب» ص ٥٦٦ س ٩ .

(٢) لم أجد أحداً يعرف جوى رشيد هذا ، ولكن موقعه مرسوم على الخريطة يخترقه وادي سقف .

وبقرب الجبل بئر تسمى بواعة أيضاً .

٨ — تنغة — ص ١١٢ : (ودفن حاتم بتنغة ، وهي منهل في بطن وادي حائل) والمصدر «معجم البلدان» مع ذكر عوارض بأنه جبل عليه قبر حاتم على ما في الهامش نقلاً عن ياقوت .

وجاء في الديوان (ص ١٧٤ :) أن الخيبريّ مرّ بقبر حاتم بمكان يقال له تنغة ، وحوله أنصاب من حجارة ، كأنهن نساء نوائح .

وهنا إشكالان أحدهما يتعلق بتحديد موقع تنغة قرية حاتم . والثاني : موقع قبره حيث لدينا عنه ثلاثة أقوال ، ثالثها ما تقدم عن الهجري بأنه في أظايف .

أما عن تنغة فجهل ضبط الاسم مع غرابته من الأسباب التي ساعدت في خفائه ، ولنستعرض ما ورد عن المتقدمين مما وصل إلينا عنه ، مما أوردته في «المعجم الجغرافي» .

تنغة : قال نصر : (باب تلعة وتنغة ونبعة وبتعة : أما بفتح التاء ويليها لام : ناحية قريبة من اليمامة .

وما بعد التاء نون ثم غين معجمة : قرية من حضرموت عند وادي برهوت .

وأيضاً في ديار طيء حيث قبر حاتم ، وقيل : بضم التاء وصحف فقيل بالثاء . وبخط أبي الفضل : تنغة منهل في بطن وادي حائل لبني عدي ابن أخزم وكان حاتم نزله .

وأما بفتح النون وسكون الباء الموحدة وعين مهملة : بلد بعمان ، وأيضاً : من جبال عرفات .

وما أوله باء موحدة مفتوحة يليها تاء ساكنة عليها نقطتان : جبل لبني نصر بن معاوية ، فيه قبور لقوم عاد) . انتهى وأورد ياقوت في «معجم البلدان» ما يتعلق بالموضع الذي في حائل وضبطه بضم أوله والغين المعجمة .

وفي «ديوان حاتم» : (قبر حاتم بمكان يقال له تنغة ، وحوله أنصاب نوائح من

حجارة كأنهن نساء) . انتهى ومطبوعة الديوان الأولى كثيرة الأخطاء فلا يوثق بها .

ويورد موزل[1] : ما ذكره ياقوت من أن حاتماً دفن في المكان الذي عاش فيه في تنغة في وادي حايل ، ويستسخف ما ذكر ياقوت من أنه ولد في قرية بيست في برقة في شمال إفريقية قائلاً : من السخف أن رجلاً من قبيلة طيء التي تسكن وسط الجزيرة العربية التي لا تعرف قرية بيست قد ولد هناك في نهاية القرن السادس .

وكنت كتبت[2] حينما زرت مدينة حايل أوّل مرة في محرم سنة ١٣٨٨ كلمة بعنوان (في مرابع حاتم الطائي) حاولت فيها تحديد القريّة ورجحت أن يكون موقعها السويفلة أسفل مدينة حايل على مقربة منها ، وكان هذا قبل مشاهدة وادي تُوارِن حيث يعتقد السكان هناك أن قرية حاتم كانت فيه . فلما شاهدته وشاهدت المكان الذي ذكرت أن تنغة قرية حاتم تقع فيه اتضح لي :

١ ــ أن المكان الواقع شرقي حايل كان موضع بلدة معمورة قديماً ، ولكنه غير حصين ، فالوصول إليه لا تحول دونه جبال ، وخاصة من أعلى الوادي ومن أسفله حيث الأرض متسعة ، ومن الميسور تطويقه من الجهتين والانحدار إليه من جبلي السمروا‌ين إذ من السهل صعودهما .

٢ ــ أن وادي تُوَارِن ــ وهو أحد شعاب أجا ــ داخل في الجبل ، وهو ذو اتساع عند مدخل الجبل ، ولكنه بعد مسافة قصيرة ، يتقارب أنفان بارزان من الجبل فيضيق ما بينهما حتى يصعب اجتيازه للجيش الغازي ، وخاصة إذا وجد عنده من يحميه من الرجال الذين يتخذون من طرفي الجبل موقعا للحماية .

٣ ــ أن حاتماً ذكر قرب قريته من مواسل[3] فقد ذكر صاحب «الأغاني»[4] أن ملك الشام المحرق من آل جفنة أراد من حاتم أن يبايعه فقال حاتم : إن لي أخوين ورائي

---

(١) «شمال نجد» حاشية ص ٨٣ الأصل الإنجليزي .

(٢) «العرب» الثانية ص ١٠٦٤ .

(٣) هو غير مويسل .

(٤) «الأغاني» ج ١٦ ــ ١٠٥ط : السياسي .

فإن أذنا بايعتك ، وإلّا فلا . قال : فاذهب إليهما فإن أطاعاك فائتني ، وإن أبيا فائذن بحرب . فلما خرج حاتم من عند الملك قال أبياتا منها :

أتاني من الدّيّان أمس رسالة وغدرا بجيّ ما يقول (مواسل)

ومواسل هذا هو ما يعرف بالرعيلة من أعلى قمم أجا . وهو مشرف على شعب تُوَارِنُ ، ويبعد عن الموقع الذي أسفل مدينة حايل .

ولهذا فإن تنعة قرية حاتم هي إلى أن تكون في شعب تُوَارِن أقرب من أن تكون في غيره من المواضع ، لكون هذا الشعب من أحصن المواقع وفي داخله متسع من الأرض ، فيه آثار عمران قديم ، وفيه آبار وبساتين ، كما أن فيه من الشعاب والأمكنة ما يصلح ليكون مرعى للإبل فيما لو حوصر أهله .

وقد تكون القريّة غير تنعة التي هي قرية حاتم إذ القرية كانت معروفة في صدر الإسلام كما ورد في خبر أورده ابن جرير[1] في الكلام على خروج الحسين رضي الله عنه على يزيد .

ويرى موزل أنها السويفلة التي قامت مدينة حايل مقامها ، فبعد أن كانت تدعى قريّة حايل ، نسبة للوادي حذفت كلمة (قرية) وبقي اسم (حايل) .

ويتناقل السكان في مدينة حايل منذ زمن أن حاتماً كان يسكن في تُوَارِن ، ويرون أن قبره هناك ، وهذا يستلزم تحديده .

تُوَارِن : في «معجم البلدان» ـــ بضم التاء والراء ـــ قرية في أجا أحد جبلي طيء ، لبني شمّر من بني زهير . وقال الهجري[2] : (ومن شعاب أجا توازِنُ ، غير معجمة الراء) .

وفي «معجم ما استعجم» : تُوَازِن ـــ بضم أوله وكسر الزاي المعجمة ، وبالنون

---

(1) تاريخ ابن جرير ق ٢ طن ٣٠٤ طبع أوروبا .

(2) ص ١٨٣ .

بعدها — جبل باليمن قال الطرّماح :

إلى أصل أرطاة يشيم سحابة على الهضب من حيران أو من تُوَارِن

وحيران : جبل هناك أيضاً .

وأقول : في هذا الكلام ثلاثة أخطاء :

١ — تُوَازِن بالراء لا بالزاي ، ولا يزال الموضع معروفاً .

٢ — ليس توارن باليمن بل في غربي جبل أجا من بلاد طيّء متصل بالجبل .

٣ — حبران بالباء الموحدة لا بالياء وهو جبل معروف الآن .

وقد عول صديقنا الدكتور عزة حسن علي ما جاء في « معجم ما استعجم » في تحقيقه « ديوان الطرماح » فقال — بعد أن أشار إلى ورود البيت في « معجم ما استعجم » واعتماد نصه[1] : (الأصل المخطوط : حبران وتُوران ونراهما تصحيفاً) انتى ، والواقع أن التصحيف هو ما في «معجم ما استعجم» .

وقال ابن دخيل — عن شمر الذي عرفت به القبيلة : [2] (ولما مات دفن في تُوَارِن ، بجبل فيه قبر حاتم الطائي المشهور في الكرم ، وإنما دفن هناك لأنه في وقته أتي بمآثر حاتم الطائي في العرب[3] .

وتُوَارِن الآن اسم واد يبعد عن مدينة حايل ٤٩ كيلاً ، أسفل الوادي — إذ الاسم يطلق على وادٍ من أشهر أودية أجا الشمالية ، ويمتدّ الوادي في الجبل ثمانية أكيال ، ومدخله ضيق ثم تتسع جنباته ، وتكثر روافده ، وتقع قرية توارِن في وسط الوادي ، وهي قرية قليلة المنازل والبساتين . وقرب مدخل الوادي آثار حصن لا تزال بعض

---

(١) ص ٣٢٢ .

(٢) «القول السديد» ص ٨١ نسخة المتحف العراقي .

(٣) أنظر عن قبر حاتم مجلة «العرب» ص ١٠٦٢ س ٢ .

جدرانه قائمة ، يقارب طول ما بقِي منها خمسة أمتار ، أساسها وأسفلها مبني بالحجر وأعاليها بالطين ، وهو مربع تقريباً عرضه ٣٧ خطوة ، وعرض الأساس يقرب من المترين وله باب في الجهة الشمالية .

وكأنه بني للحيلولة دون دخول الوادي .

ويحوك السكان حوله حكايات ، ويزعمون أن القصر لجدهم زميل ، وآخرون ينسبونه لحاتم الطائي ، وبعد هذا القصر بما يقرب من أربعة أكيال في أعلى الوادي تقع القرية . وفيها قصر خرب مبني بالطين تجاوره من الغرب مقبرة إسلامية ، وفيها قبران طولها مفرط يقارب عشرة أمتار ، يزعمون أن أحدهما قبر حاتم الطائي ، وليس من المستبعد أن تكون قرية بني عدي بن أخزم — قوم حاتم — وأنها سكنت في وادي تُوَارِن ، فالمكان فيه آثار عمران قديم من أبنية وآبار .

وجبل عوارض الذي قيل : إن قبر حاتم فيه ليس بعيداً عنه ويقع شماله .

ومدخل الوادي ضيّق ، بحيث لو وقف عنده عدد قليل من الرجال لمنعوا من يحاول الدخول ، ثم إن الوصول إلى مدخل الوادي يمرّ بمنعطفات أسفله ، وهي على اتساعها تتيسّر حمايتها . والوصول إلى قرية حاتم وقومه كان صعباً ، كما يفهم من كلمة : (لقد جهل مداخل سبلّات) وقد يكون المقصود الوصول إلى جبل أجا كلّه ، كما أشرت إلى ذلك في الكلام على جبل (سابل) ..

وَحَصَانَةُ جبل أجَإٍ ترجعُ إلى ضِيق مداخل شِعَابِهِ ، وقد ذكر الوزيرُ المغربيُّ في أول كتاب « الإِينَاسِ في علم الأنساب » أنَّ ذَا الْحَصِيرَيْنِ ، وهو ممَّنْ مدحهم حاتِمٌ ، كانَ إذا جاءَهُمْ عَدُوٌّ ، يَسُدُّ مَدْخَلَ وادِي السَّلْفِ — الذي يخترق وسط الجبل — يَسُدُّهُ بِجِسْمِه ، مُتَوَقِّياً حَصِيرَيْنِ مُقَيَّرَيْنِ ، يَقِيَانِهِ تَأْثِيرَ الْحِجَارَةِ في جِسْمِهِ .

قبر حاتم :

إنَّ الكلام[1] في هذا البحث منصبّ على محاولة تحديد المواضع الواردة في شعر حاتم الطائيّ ، لأنّ جلّها واقع في داخل بلادنا ، وقراء هذا البحث يتطلعون إلى معرفتها . ولهذا لم نقصد نقد تحقيق الديوان .

اما الكلام على قبر حاتم فنحن أمام أربعة أقوال :

١ — أنه في تنغة قريته على ما ذكر نصر وياقوت .
٢ — أنه في جبل عوارض على ما ذكر الزمخشري والبكري وياقوت والجوهري والفيروز آبادي .
٣ — أنه في جبل أظايف على ما ذكر الهجريّ .
٤ — أنه في وادي توارن ، على ما هو معروف عند أهل هذه الجهة .

وليس من مرجّح لأحد هذه الأقوال سوى الرجوع الى أقدمها أو أكثرها شيوعاً ، وهما القولان الأول والرابع ، ومن الممكن الجمع بينهما بالقول بأن تنغة في وادي توارن .

٩ — تيماء :

رجع محقق الديوان الفاضل إلى النصوص القديمة في تحديد موقع تيماء ، وهي نصوص فيها من السعة والإطلاق ما يجعلها لا تفيد الباحث في هذا العصر.

وتيماء أصبحت الآن بلدة من بلدان المملكة العربية السعودية مشهورة ومعروفة . وقد أوفيت الكلام عليها في كتابي «في شمال غرب الجزيرة» وقسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»[2] .

١٠ — ثرمد :

ص ٢٨٥ — وقال حاتم :

وسال الأعالي من نقيب وثرمد   وأبلغ أناسا أنّ وقران سائل

(١) مجلة «العرب» — المجلد الثالث عشر — ص ٤٧٧ .
(٢) : ٢٧١ .

وأن بني دهماء أهـــل عـوالص إذا خـطـرت فوق القسيّ المعابل

وقال محقق الديوان[1] : نقيب شعب من أجا ، وثرمد : شعبٌ بأجا أيضاً — مضى الكلام عليه ، ووقران : شعاب في جبال طيء — كما ذكر ياقوت .

عوالص : جبال لبني ثعلبة من طيء (ياقوت) .
وثعلبة يعرف بجرم .
وأقول : يطلق اسم ثرمد — الآن على : —

(١) واد ينحدر من أجا ، صوب الشمال الشرقي ، حتى يصبّ في وادي مشار ، وفي وادي ثرمد نخل وفروعه : ثرامد والعليا ورميض وكلها فيها نخل ، ولا سكّان في ثرمد ولا ماء ، ونخله يشرب من المطر .

ويبعد عن مدينة حائل بنحو عشرين كيلاً .

(٢) ويطلق اسم ثرمد أيضاً على هضبة من هضاب أجا منها ينحدر أحد فروع الوادي المذكور .

١١ — جديات — شاهده في الصهو :
وقال محقق الديوان : أما جديّات ومصاخر فلم أجدهما[2] .
وأقول : يظهر أن الشاعر جمع موضعاً يسمى جديّة بما حوله ، وذلك من عادة الشعراء . وجديّة ذكر المتقدمون أنه من جبال طيء في نجد . وأورد ياقوت لرجل من طيء :

وهل أشربنّ الدّهر من ماء مزنة على عـطش مما أقـرّ المواقـع
بقيع التّناهي ، أو بهضب جديّة سرى الغيث عنه وهو في الأرض ناقع

وجديّة الآن تطلق على ماء في أجا في شرقيه لا يزال معروفاً .

---

(١) في ص ٢٥١ على قول حاتم :
الى الشعب من أعلى ستار فثرمد فبلدة مبنى سنبس لابني عمر
(٢) ص : ٢٧٥ .

١٢ — جو : ص ١٨٩ — وقال حاتم :

ليالي نمشي بين جوّ ومسطح نشاوى ، لنا من كل سائمة جزر

وأورد المحقق قول البكري : جوّ موضع في ديار طيء ، قال امرؤ القيس : تظل لبوني بين جو ومسطح .

وما أكثر المواضع في ديار طيء !!

وجوّ هذا من أشهر الأودية الواقعة وسط هضاب أجا ، وأعظمها ، وقد ذكر المتقدمون أنه كان فيه قرية ، وآثار الآبار الموجودة الآن فيه والمزارع تدل على أنه كان معموراً .

وفي أثناء هذا الوادي غيل جار عليه نخل .

وهو ينحدر من أعالي هضاب أجا الوسطى ، ويتّجه نحو الشمال ، وترفده شعاب منها الحمرة وصحا وصحّى . ويفيض في طرف النّفود (الرمال) من دون قريتي قنا وأم القلبان . وانظر عن جو كتاب «شمال المملكة»[1] .

١٣ — حالة :

وجّهت فيما سيأتي صحة كلمة حالة بدل كلمة (الحلبط) . وحالة موضع يقع على طريق المتجه إلى الشام (شرق الأردن) من الحجاز ، أو شمال نجد ، واقع في حدود المملكة العربية السعودية ، المتاخمة للحدود الأردنيّة ، وقد أصبح الآن بلدة ، وكان قديماً من منازل بني القين على ما ذكر المتقدمون ، وقد ورد في كتبهم معرّفا ، وفي بعضها مصحّفا (خالة) بالخاء ، ويدعى حالة عمّار أيضاً عند المتأخرين . وانظر كتاب «شمال المملكة» .

١٤ — حامر :

ص ١٩٩ — قال حاتم :

ألا ليت أن الموت كان حمامه ليالي حلّ الحيّ أكناف حامر

---

(١) ٣٥١ — ٣٥٢ .

وقال المحشّى ــ في الهامش : حامر موضع على الفرات ما بين الكوفة وبلاد طيء ــ البكري : ٢ ــ ٤٩١ .

وأقول : حامر من أشهر أودية شمال الجزيرة ، لا يزال معروفاً ، له روافد كثيرة ، تنحدر فروعه من غرب وادي بدنة ، شرقي بلاد الجوف ، ويتّجه مشرّقاً حتى يقرب من نهر الفرات (يقع فيما بين خطي الطول ٠٠/ ٤٠ْ وخط العرض ٠٠/ ٣١ْ و٥٠/ ٣١ْ) .

١٥ ــ حقــل :

ص ١٩٦ ــ قال حاتم :

قال أبو صالح قال ابن الكلبيّ : قال أبو خيران الطائيّ : حقل وذباب واديان .
وفي التعليق : حقل قرية لبني درماء من طيء في أجإ ــ ياقوت ــ وفي البكريّ : بين حفل : وقال هو موضع في ديار طيء ، واستشهد ببيت حاتم هذا .

ذباب : لم أجد موضعاً بهذا الاسم ، ولعل الصواب دباب ــ بفتح أوله كما في «الأغاني» وهو ماء بأجا وأيضاً جبل في ديار طيء لبني شيعة ابن عوف بن سلامان بن ثعل .

وأضيف : قال الهجريّ[1] : فيما نقل عن الرزّني الطائي ــ : أجأ أكبر الجبلين ، لبني عقدة بن سنبس ، ومن شعاب أجا : توارن ــ غير معجمة الراء ــ وحقل ، والأرخ ــ معجمة الخاء ــ وشوط ــ بضم الشين ، وبلطة ــ بفتح الباء وضمّها ــ وحضن ــ معجمة الضاد ــ وثرمداء مثل الذي في اليمامة . انتهى .

فحقل إذن : من شعاب أجا ــ أوديته ــ وكثيراً ما يكون في الأودية قرى ، لوجود المياه فيها .
أما دباب فسيأتي الكلام على هذه الكلمة .

(*) مجلة «العرب» ــ المجلد الثالث عشر ــ ص ٦٠١ .

(١) «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» ص ١٨٣ .

١٦ ــ الحلبط :

ص ١٩٤ ــ من قول حاتم يخاطب الحارث بن عمرو :

إنّما بينـنا وبينك فاعلم سير تسع للعاجل المنتاب

فثلاث من الشّراة إلى الحلـ ـبط ، للخيل جاهدا والرّكاب

وثلاث يردن تيماء رهوا وثلاث يغرزن بالأعجاب

وفي التعليق على (الحلبط) : لم أجد في معاجم البلدان مكانا بهذا الاسم ، ولعلها الخلبت ــ مع إبدال الطاء خاء ، وهو اسم للأبلق الفرد الذي بتيماء ، بلد بأطراف الشام .

وفي «الموفقيات» : الحالة . وفي «الأغاني» : الحلة وما في «الأغاني» موافق لما قاله البكريّ في معجمه ، قال يخاطب بهذا الحارث بن أبي شمر ، فذكر أن بين جبلي طيء والشراة تسعاً ، وأن من الشراة إلى الحلة بأرض الشام ثلاثا . انتهى .

وأضيف : لا شك أن كلمة (الحلبط) كلمة محرفة وان صوابها ما جاء في كتاب «الموفقيات» : الحالة . وليست الحلة ــ كما جاء في «معجم ما استعجم» والحالة ــ وتعرف الآن باسم (حالة) و(حالة عمّار) وتبعد عن الشراة ــ جبال الشام ــ نحو ثلاثة أيام ، ومثلها من تيماء ــ للخيل والإبل بالسير المجدّ .

١٧ ــ حية :

سبق ذكرها في الكلام على (بلطة) .

وأضيف : ورد في شعر امرىء القيس ــ على ما نقل ياقوت :

فهل أنا ماش بين شوط وحيّة ؟ وهل أنا لاق حي قيس بن شمّرا؟

وفي شعر عوف بن مالك القسري[1] :

(١) «شمال المملكة» ص ٣٠٩ و٤٧٩ .

خلاد : موضع في بلاد طيء . وفي طبعة ليبزج : بجلاد . انتهى .
وأضيف : قال ياقوت في «معجم البلدان» : خلاد بالضم وتخفيف اللام ودال

وإني لحام بين شوط وحيّة كما قد حميت الخيمتين وخيمرا

كذا أورد ياقوت مع أنه ذكر أنه من جبال طيء فما دخل القسري — أو النّصري — به ؟

وحيّة — هذا — من أودية أجا الكبيرة ، فيه نخل ، ينحدر من وسط الجبل ، متّجهاً إلى الشمال الغربي حتى يقف في أرض تدعى الفتخاء ، وهي قاع العبد ، عبد موقق ، والعبد جبيل أسود صغير ، بقرب قرية موقق .

ووادي حيّة لقبيلة السّويد من شمّر ، وفي أعلاه نخل ، ويبعد عن مدينة حائل غرباً بنحو ٥٠ كيلاً[١] .

وقد يصحف اسم حيّة باسم (جبّة) بالجيم بعدها باء موحدة فهاء وكلا الموضعين في بلاد طيء ، وللتفريق بين الموضعين : ما كان مقروناً بشوط فهو حية — بالحاء المهملة والمثناة التحتية ، لتقارب الموضعين ، وما أضيف إلى الرّمل أو ما يتصل به كجودة المرعى والبعد عن الأنيس فهو جبّة ، بالجيم بعدها موحدة — وهذه تقع في النفود — رمل عالج — وكان مربّا للوحش ، ولهذا يكثر ذكر وحش جبّة .

١٨ — خلاد :

ص ٢٧٨ — قال حاتم :

ولقد بغى بخلاد أوس قومه ذلاً ، وقد علمت بذلك سنبس

وقال المحقق : هو أوس بن سعد ، وكان قد قال للنعمان بن المنذر : أنا أدخلك بين جبلي طيء حتى يدين لك أهلها . فبلغ ذلك حاتما فقال هذا الشعر «الأغاني»[٢] .

(١) ورد في «شمال المملكة» ص ٤٨٠ — (٢٥٠) تطبيع خطأ .
(٢) ١٧ — ٣٩٢ .

مهملة : أرض في بلاد طيء ، عند الجبلين ، لبني سنبس ، كانت بئراً ثم غرست نخل ، وحفرت آبار ، فسميت الاقيلبة . انتهى .

وهذا الكلام هو نصّ كلام نصر ، نقله ياقوت — رحمه الله — نقلاً ولم يشر إلى ذلك .

وجاء في كتاب نصر أيضاً : الأقيلبة مياه في طرف سلمى ، أحد جبلي طيء ، وهو من الجبلين على شوط فرس ، وهو لبني سنبس ، وقيل : هي معدودة في مياه أجا .

ونقل ياقوت هذا الكلام ، ولم يوضّح مصدره .

وقال نصر أيضاً : مشار : شعب لبني عبد عامر ، بطن من بني ثعلبة ابن سلامان تسيل إلى الأقيلبة من شرقيها انتهى .

ويلاحظ أن قول نصر عن الأقيلبة أنها في طرف سلمى لا يتفق مع قوله : إن شعب مشار يسيل إلى الأقيلبة . إذ شعب مشار في جبل أجا ولا يزال معروفاً .

وجبل سلمى بعيد عنه وعن مشار ، وسيول أوديتها لا تتصل بأودية أجا .

وإذن فكلمة (سلمى) لا شك أنها خطأ ، ولعل الكاتب أراد أن يكتب أجا فكتبها .

ولكي نتصوّر موقع الأقيلبة بالنسبة لأجا ينبغي أن نعرف موقع وادي مشار الذي يسيل إليها ، يصبّ وادي مشار من فروع أجاء الشرقية الشمالية ، من شعاب أشهرها ثرمد والرفاعي وخضع ، وأعلى مشار يدعى (أباعديّ) فيه نخيلات قليلة متوغل موقعها في الجبل ، على غير ماء .

ويتجه الوادي صوب الشرق حين يخرج من الجبل ، ويدع مدينة حايل جنوبه حتى يلتقي بوادي الأديرع عند قرية السّويفلة ، الواقعة أسفل مدينة حائل[1] .

وعلى هذا يمكن القول بأن خلاد — التي عرفت باسم الأقيلبة أيضاً كانت تقع أسفل

---

(١) أنظر عن مشار «شمال المملكة» ١٢٢٨ .

وادي مشار ، في شرقي أجا ، شمال موقع مدينة حائل ، على مقربة من السّويفلة — إن لم تكن في موقعها — .

والسّويفلة كانت البلدة الأولى قبل حائل ، وكانت مقر إمارة آل عليّ حكام جبلي شمّر ، قبل آل رشيد .

ومفهوم القصة والشعر الواردين في «ديوان حاتم» أن المقصود بخلاد وادي مشار الذي هو من المداخل الموصلة إلى وسط أجا ، فحاتم يصف أوسا بأنه أراد إذلال قومه بني سنبس ، حيث أراد أن يدل النعمان بن المنذر الملك على المكان الذي يدخله إلى جوف الجبل ، وكانت سنبس تقيم في شعابه التي في جوفه ، كما تقدم النقل عن الهجري ، ولا تزال إحدى تلك الشعاب تحمل اسم أحد أفخاذ سنبس وهو (عقدة) التي أصبحت قرية مشهورة .

١٩ — دباب :

تقدم شاهده في حقل ، ويفهم منه أنه غير بعيد من حقل ، فلبون حاتم (بين حقل وبينْ هضب دباب) .

وقد أشار المحقق الفاضل إلى أن الدّال معجمة مضمومة ، في مخطوطة الديوان وقال : لعل الصواب دباب أي بفتحها مع إهمالها — وأورد نصّا على ذلك من كتاب «الأغاني» وقد ورد في كتاب نصر ، وفي «معجم البلدان» أيضاً . ويلاحظ :

(١) أن كلمة (شيعة) الواردة في ذلك النّص صوابها (سبعة) بالسين المهملة والباء الموحدة كما في كتاب «مختصر الجمهرة» وكتاب «النسب» لِأَبِي عبيد القاسم بن سلاّم .

وفي (سبعة) هذا ورد المثل : (عمل عمل سبعة) على أحد الأقوال ، كما في «القاموس» وشرحه «تاج العروس» .

(٢) أما دباب الذي ذكر ابن الكلبي أنه هو وحقل واديان ، فقد ذكر الأستاذ سليمان الدّخيل — وهو من الأدباء المعاصرين — في كتابه «القول السديد ، في إمارة آل رشيد» أنه من القرى الداخلة في أجا ، وقدّر نخل تلك القرية بثلاثة آلاف نخلة ، وهو

يبالغ في تقديره ، ولم أجد في تلك الجهة من يعرفه ، ولكن (من حفظ حجّة على من لم يحفظ) ومن اتصلت بهم من أهل تلك الجهة معرفتهم بالمواضع التي داخل الجبل محدودة .

وشعر حاتم صريح في أنه من شعاب أجا .

٢٠ — رخــة :

ص ٢٧٦ : قال حاتم :

بزخّة من جرم يمّنون جيفة ولم ينجهم من آل بولان واتر

وعلّق المحقق : زخّة موضع في بلاد طيء لم يحدده ياقوت .
كذا ورد الاسم (زخّة) بالزاي في البيت وفي «معجم البلدان» لياقوت .

وجاء في «معجم ما استعجم» : زخّة — بفتح أوله وتشديد ثانيه : موضع بين قنا ويثقب . قال نهيكة الغطفاني :

عصب دفعن من الأبارق من قنا بجنوب رخّة فالرّفاق فيثقب

وهذا الذي ذكر البكريّ هو الصواب ، فرخّة — بالراء والخاء المعجمة بعدها هاء — جبل لا يزال معروفاً ، وهو بين جبلي قنا ويثقب ، غرب جبل أدَبِيٍّ ، في الشمال الشرقي من يثقب ومن قرية الحليفة ، ويجاوره من الشمال جبل الرّخيخ — بالتصغير — (يقع جبل رخّة بقرب خط الطول ٥٨/ ٤٠° وخط العرض ١٠/ ٢٦°)[١] .

وهو جنوب غرب حايل بنحو مئتي كيل .

٢١ — الــرداة :

كذا ورد الاسم في الديوان المطبوع[٢] وسيأتي شاهده في الكلام على الصّهو .

---

(١) كتاب «شمال المملكة» : ٥٧٣ — ٥٧٤ .
(٢) ص ٢٧٥ .

وقال المحقق الفاضل : والرداة لم أعرف ما هي انتهى لا أستبعد أن يكون صواب الكلمة (الرداه) جمع ردهة ، ومن معانيها أنها أرض خشنة شبه أكمة ، فحاتم يذكر أن قبيلة محارب تدّيرت الصّهو والمواضع التي ذكرها ، وأرسلت أشوالها حول بواعة ، وصارت عشائرها ترعى بالردّاه ، فالصّهو في جبل أجا ، وكذا جديات ونبتل بقربه .

أما مضاخر وبواعة ، فغرب الجبل خارجان عنه .

والرّداه — لعلها — الآكام الكثيرة المنتشرة بقرب بواعة ومضاخر .

٢٢ — الـريان :

ص ٢٦٧ — وقال حاتم :

لشعب من الرّيّان أملك بابه   أنادي به آل الكبير وجعفرا

أحبّ اليّ من خطيب رأيته   إذا قلت معروفاً تبدّل منكرا

وقال محقق الديوان : الشّعب هو ما انفرج بين جبلين . والريَّان : جبل بين بلاد طيّء وأسد .

آل الكبير : أهل الكبير في «الموفقيّات» .

آل الوحيد في «ديوان زهير» . آل الوليد : في اللسان وسيأتي ذكر الريَّان عند ذكر مواسل انتهى .

القول بأن الريان جبل بين بلاد طيء وأسد — وإن ورد عن بعض المتقدمين[٢] — لا يتفق مع كون حاتم ذكر أنه يملك بابه ، وينادي به بعض قومه ، فهو لا يفعل ذلك إلاّ في منعة داخل بلاد قومه ، واسم (الريّان) يطلق على مواضع كثيرة ، بعضها لا يزال معروفاً ، في غرب الجزيرة وجنوبها ووسطها وشمالها ، أما الذي في بلاد طيء — الوارد في شعر حاتم — فقد قال عنه نصر في كتابه : الريّان جبل أسود عظيم ، في بلاد طيء ، يوقدون فيه النّار ، فترى من مسيرة ثلاث . وقيل : من أطول جبال أجا .

---

(١) ص : ٢٧١ .

(٢) البكري في «معجم ما استعجم» .

وقال ابن سيده في «المخصص»[1] : الريّان : أحد جبلي طيء ، وعلّق محققه الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي بما نصّه . لقد ضلّ عليّ بن سيدة في (وادي تخيب) . ومن المعلوم أن جبلي طيء إذا أطلقا عني بهما أجأ وسلمى ، باتفاق أهل العلم ، ولطيّء جبال كثيرة منها الريّان — كالديّان — فهو من باب فعلان ، لا فعلى وإياه أزاد عليّ فقصر :

أراد طريق العنصلين فياسرت ... به العيس في نائي الصوى متشائم

وقال زيد الخيل في جبلهم الريّان :

أتتني لسان لا أسر بذكرها ... تصدّع منها يذبل ومواسل

وقد سبق الريّان منها بذلّة ... فأضحى وأعلى هضبه متضائل

إنتهى كلام الشنقيطي .

ومن الملاحظ في أسماء الأماكن التوسّع في إطلاقها ، بحيث يطلق الاسم على جبل وعلى ما يتصل به من شعب أو واد ، وهكذا الحال في اسم الريّان ، فالوصف الذي أورده نصر لهذا الجبل ينطبق على أبرز قمّة من قمم أجا ، تعرف الآن باسم (الرعيلة) . وأما اسم الريّان فإنه يطلق الآن على واد ينحدر من ذلك الجبل ، فيه عين ذات نخل ، فقد توسّع في الاسم فبقي يطلق على الوادي المنحدر من الجبل المذكور ، وغيّر اسم الجبل ..

زخـّة : (أنظر رخّة) فيما تقدم .

٢٣ — ستار :

سيأتي شاهده عند ذكر سقف ، وقد ذكر نصر أن الستّار جبل بأجإ ، وعنه نقل ياقوت ، ولكنهما ذكراه معرّفاً .

ويطلق اسم ستار — بدون تعريف — الآن على واد من أودية أجإ ، في الشمال الغربى منه ، فيه نخل .

---

(١) ٦ — ١٨٤ .

والعامة ينطقون سينه ساكنة فيتوهم من سمعهم أن الاسم (أستار) بالألف ، كما فعل الأستاذ سليمان الدّخيل ، حيث كتبه (الأستار) وقال : إنه من القرى الخارجة عن أجا .
والواقع أنه من أودية أجا التي تنحدر منه .

على أن البيت الذي ورد فيه اسم (ستار) من شعر حاتم روى أيضاً باسم (مشار) كما نقل محقق الديوان عن «اللسان» ولعل هذه الرواية أقرب إلى الصواب حيث عطف عليه ثرمد ، الذي هو أحد روافد وادي مشار ، كما تقدم .

٢٤ — ستيرة :

ورد هذا الاسم في شعر حاتم الآتي في سقف ، مما يفهم منه قرب الموضع من سقف وعمودان والغمر ولم أر له ذكراً في غير ذلك مما اطّلعت عليه من المصادر ، وأخشى أن يكون تصحيف سفيرة — بالفاء بدل التاء — اذ سفيرة بفتح السين وكسر الفاء وبالياء فراء مهملة فهاء : على ما ذكر نصر : ناحية من بلاد طيّء وقيل : صهوة لبني جذيمة من طيء يحيط بها الجبل ، ليس لما بها منفذ ، بحصن بني جذيمة . ومثل هذا الكلام في «معجم البلدان» وكلمة (بحصن) ليست معجمة الصاد في الكتابين ، والصواب إعجامها إذ (حضن) هذا جبل لا يزال معروفاً[1] ، والصهوة قرية لا تزال معروفة ، تقع شماله على مقربة منه .

وسقف تنحدر بعض فروعه من جبل حضن ، مما يؤيد صحة القول بتصحيف كلمة (ستيرة) .

٢٥ — سقف :

٢٥١ — وقال حاتم :

بكيت وما يبكيك من دمن قفر	بسقف إلى وادي عمودان فالغمر
بمنعرج الغلاّن جَنْبَيْ ستيرة	إلى دار ذات الهضب فالبرق الحمر

(١) أنظر تحديده في «شمال المملكة» .

قال أبو صالح : الغُلَّانُ : واحدها غالّ ، وهي أودية غائصة ، تنبت الشجر والطلح . والهضب : واحدها هضبة .

الى الشّعب من أعلى ستار فثرمد فبلدة مبنى سنبس لابنتي عمرو

قال أبو صالح : وزعم بعض الطائيين أنه جبل عندنا معروف . وأظن اليمانيّ قال : ستار وثرمد موضعان وهو أيضاً شجر ، وقيل : هو جبل .

وفي الحاشية : (خ م) : بسقف بفتح السين خطأ ، وفيها أيضاً : عموران . خطأ . وعمودان جبل ...

ستار : جبل بأجا ، وفي « اللسان » : مشار وثرمد اسم شعب بأجا ، لبني ثعلبة من بني سلامان من طيء ياقوت .

وعلق المحشي : على قول اليماني : ستار وثرمد : في الأصل : مسار .

سقف : جزم المحقق الفاضل بأنّ ضمّ السين فيه ــ كما في إحدى النسخ ــ خطأ ولعله عوّل على ما جاء في « معجم ما استعجم » على أن ياقوتاً في « معجم البلدان » قدّم الفتح ، وفي « تاج العروس » نص على أنه يضمّ ويفتح وهو الآن لا ينطق إلا بالفتح ، وهو واد ينحدر من جبل حضن ــ كما ذكر الهجري حيث قال ما نَصُّهُ :

سألت أبا هريرة المرّي الغطفاني عن سقف فقال : سقف ذي القصّة عن رمّان[١] ، من أرض طيء ، يسيل هو ورمّان من حضن . انتهى[٢] .

ويطلق الآن اسم سقف على واد وعلى قرية تقع في ذلك الوادي ، وعلى جبل متصل بهضاب حضن ، ويبعد عن مدينة حائل بنحو مئة كيل في الجنوب الغربي ، وأنظر لوصفه كتاب « شمال المملكة »[٣] .

---

(١) لعل (عن) : (يمين) .
(٢) ٣٢٤ .
(٣) ٦٧١ ــ ٦٧٣ .

٢٦ ــ سلامـان :

ص ٢٦٩ ــ قال حاتم :

إذا حال دوني من سلامان رملة   وجدت توالي الوصل عندي أبترا

ونقل محقق الديوان كلام البكري : سلامان ماء لبني شيبان على طريق مكة إلى العراق ــ واستشهد ببيت حاتم .

وأضيف : الماء الذي بقرب طريق مكة إلى العراق هو سلمان ــ بإسكان اللام ــ وهو الذي كان في بلاد بني شيبان ، ولا يزال معروفاً الآن ، داخل الحدود العراقية المتاخمة لحدود المملكة العربية الشرقية .

ولكن ما دخل هذا الموضع البعيد عن بلاد طيء ، وأيّة صلة له بشعر حاتم وهو لم يذكره وإنما ذكره سلامان بفتح اللام بعدها ألف ؟!

ذكر الأستاذ سليمان الدّخيل أنّ سلامان اسم قرية من قرى أجا ، قدّر عدد نخلها بألف وست مئة . وأنا لم أعرفها ، وما كل ما في أجا عرفته ، ونقل ياقوت عن السّكوني قوله : السلامية ماء لجديلة بأجا .

ومهما يكن فما أرى حاتما أراد سلمان ــ المعروف الآن باسم (السلمان) .

٢٧ ــ سميراء :

ص ٤٢ : (وكانت طيء حين نزحت من الجنوب نزلت سيراً وفيدا في جوار بني أسد) .

وكلمة (سير) هنا صوابها (سميراء) وهو اسم واد وأصبح يطلق على بلدة مشهورة تقع جنوب غرب بلدة فيد ، لها ذكر كثير في وصف طريق الحاج العراقي الكوفي . وانظر كتاب «شمال المملكة»[1] .

---

(١) ٦٩٣ ــ ٦٩٥ .

٢٨ — الشقيق :

شاهده سيأتي عند ذكر الصّهو — ويظهر أن المراد بالشّقيق في قول حاتم الرمل العظيم الواقع شمال جبل أجا .

وانظر كتاب «شمال المملكة»[١] .

٢٩ — شوط :

ص ٢٦٦ — قال حاتم :

حننت إلى الأجبال أجبال طيء وحنّت قلوصيّ أن رأت سوط أحمرا

وفي الحاشية : تحنّ الى : البكريّ . وحنّت قلوصي . كذا أيضاً في «سرح العيون» والأصحّ أن تكون بالجيم ، لذكره السوط ، وكذلك هي في «الموفقيات» : وجنت جنوناً . وفيه (ص ٤١٧) : أحمر . قال عمّي : رجل من العرب كان يسوق لحاتم ، إذا وفد على الملوك . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنّى : أحمر اسم رجل كان يعمل السياط في الجاهلية . وجنّت جنوناً . شوط أحمر : البكري . وقال : شوط أحمر موضع تلقاء بلاد طيء ، واستشهد بالبيت . انتهى .

وتقدم شاهد كلمة (شوط) عند ذكر بلطة وحيّة .

وشوط — وينطق الآن بضم الشين — : واد من أودية أجا ، يقع شمال وادي حيّة ، وغرب وادي توارن ، وينحدر من الجبل متّجها الى الغرب ، حتى يصبّ في قاع يدعى قاع الصّير ، في لغف النفود ، شرقي قرية الحفير ، ويبعد عن مدينة حايل بما يقارب خمسين كيلاً[٢] .

٣٠ — الصهو :

ص ٢١٨ — جاء في ديوان حاتم : وسارت محارب حتى نزلوا أعجاز أجا —

(١) ٧٤١ — ٧٤٧ .

(٢) أنظر عن شوط كتاب «شمال المملكة» : ٧٥٢ — ٧٥٣ .

وكانت منازل بني بولان وجرم — بأموالهم ، فخافت طيّء أن يغلبوهم عليها ، فقال حاتم يحضهم :

أرى أجأ من وراء الشّقيق ، والصّهو ، زوجّها عامر
وقد زوّجوها وقد عنّست وقد أيقنوا أنها عاقر

أي لا ينزلها أحد . قال خالد : كان عامر بن جوين جاء بمحارب فأنزلهم أجأ ، فكأنه زوّجها . ضربه مثلاً .

ونقل محقق الديوان عن «معجم البلدان» : الصهو موضع بجلق رأس أجا ، وهو من أواسط أجا مما يلي المغرب ، وهي شعاب من نخل ينجاب عنها الجبل ، الواحدة صهوة وهي لجذيمة من جرم طيّء .

وقال حاتم أيضاً — ٢٧٥ :

ألا هل أتى قومي بأن محارباً تدبّر منها الصهو(؟) باد وحاضر
وحلّت بلا جار مباءة نبتل وحلّت جدّيات ، وحلّت مصاخر
وأرسلت الأشوال حول بواعة عزين ، وترعى بالرداة(؟) العشائر

كلمة (بجلق أجا) غير واضحة ، وهي في مطبوعة «معجم البلدان» (بحاق أجا) وهذه أغرب .

وأوضح منهما ما جاء في كتاب نصر ، ومثله في «معجم البلدان» : الصّهو رأس أجا ، وهو من أوسط أجا مما مغرب الشمس ، وهي شعاب بين نَجْل ينجاب عنها الجبل : الواحدة صهوة ، وهي لجذيمة من جرم طيء . انتهى .

وذكر الهجريّ الصهو ، ووصف جودة تمره[1] .

والصّهو لا يزال معروفاً ، وهي أودية تقع غرب أجا منفصلة عنه ، من شعاب حضن الغربية الشمالية .

---

(١) «أبو علي الهجري» : ٣١٢ .

أما التي في وسط أجا فهي قمّة من قممه ، ينحدر منها واد ذو نخل ، يسمى الصّهوة .

ويظهر أن مراد حاتم الصّهو الواقع غرب أجا ، كما يفهم من خبر نزول محارب أعجاز أجا .

وتقدم الكلام في (تدبر) و(الرداة) وأنهما (تديّر) و(الرداه) .

٣١ — عُوَالص :

شاهده في ثرمد :

وعلى ما ذكر ياقوت : جبال لبني ثعلبة من طيء ، وثعلبة هو جرم .
ومنازل جرم على ما يفهم من كلام المتقدمين تقع غرب أجا خارجة عنه .

٣٢ — الغمـر :

تقدم شاهده عند ذكر سقف .

والغمر يطلق على مواضع ، أشرت الى بعضها في كتاب «شمال المملكة»[(١)] ولكن الوارد في شعر حاتم هو القريب من سقف ، وهذا على ما حدّده المستشرق موزل في كتابه «شمال نجد» يقع في طرف رمّان الغربي الشمالي ، غرب قرية المهاش في أعلى وادي المديسيس ، أحد روافد وادي الشعبة (الثلبوت قديماً) على بعد عشرة أكيال من سقف جنوبه .

٣٣ — قراقـر :

مرّ ذكره في الكلام على أباير .
وقال حاتم[(٢)] :

---

(١) من ص ٩٩٧ إلى ١٠٠٤ .
(٢) ديوانه : ٢٧٥ .

وهم سلبوا زيداً غداة قراقر رواحله ، والموت بالنّاس حاضر

قراقر يطلق على مواضع [1] : أحدها الأرض الواقعة شرق مدينة حائل التي تقع فيها قرية بقعاء ، حيث تنتهي سيول أجا هناك .

وقراقر أيضاً : الوادي الآن المعروف باسم وادي السّرحان .

وقراقر أيضاً : من أسماء ذي قار ، الذي حدثت فيه الوقعة بين العرب والفرس بقرب الكوفة .

ولا يتضح ما يعنيه حاتم إلا بمعرفة الحادثة التي أشار إليها مفصّلة .

٣٤ — القريــة :

ص ٢٧٨ — قال حاتم :

حاشا بني عمرو بن سنبس إنّهم منعوا ذمار أبيهم أن يدنسوا
وتواعدوا ورد القريّة غدوة وحلفت بالله العظيم لنحبس

وقال المحقّق : بقول البكريّ : القرية لبني سدوس من بني ذَهْلٍ باليمامة .

ولكن قريّة بني سدوس هذه لبني ذُهْلٍ من بكر بن وائل ، لا لطيء الذين منهم بنو عمرو بن سنبس ، ثم هي في اليمامة بعيدة عن بلاد طيء ، ولا تزال معروفة ولكن باسم سدوس .

أما القرية المقصودة بقول حاتم فهي التي نقل المحقق عن «الأغاني» [2] اتى حاتم محرّقا فقال له محرّق : بايعني . فقال له : إن لي أخوين ورائي فإن يأذنا لي أبايعك وإلا فلا — قال : فاذهب إليهما فإن أطاعاك فأتني بهما ، وإن أبيا فأذن بحرب . فلما خرج حاتم قال :

أتاني من الريّان — الشعر— .

---

(١) أنظر عن تفصيلها كتاب «شمال المملكة» ص ١٠٧٥ — ١٠٧٧ .

(٢) ١٧ — ٣٩٥ .

فقال محرّق : ما أخواه ؟ قال : قيل : طرفا الجبل . فقال : ومحلوفه لأجلّلن مواسلاً الريط مصبوغات بالزيت ، ثم لأشعلنّه بالنار . فقال رجل من الناس : جهل مرتقى بين مداخل سبلاّت . فلما بلغ ذلك محرّقا قال : لأقدمنّ عليك قريتك ! ! ثم أتاه رجل فقال له : إنك إن تقدم القرية تهلك . فانصرف ولم يقدم . انتهى .

وهذه القرية ــ على ما يفهم من القصّة في داخل أجا ، بقرب مواسل إحدى قممه ، بل نصّ ابن الكلبي على أنها في جبلي طيء ــ كما في «معجم البلدان» وأورد فيها شعراً لامرىء القيس جاء فيه : بنو ثعل جيرانها وحماتها .

والقريّة الآن مجهول موقعها ، وقد رجّح موزل أن مدينة حايل قامت على أنقاضها ، وأن موقعها هو موقع السّويفلة الواقعة شرق مدينة حايل ، وذلك الموقع كان مكان بلدة حايل قديماً .

٣٥ ــ متالع :

ص ٢٨٧ ــ وقال حاتم :

تداركني مجدي بسفح متالع　　فلا ييأسن ذو نومة أن يغنّما

وفي الحاشية : متالع اسم لجبال عدّ ، فهو جبل بنجد ، وجبل لِغَنيٍّ ، وجبل لبني مالك بن سعد (ياقوت) .

وأقول : متالع الوارد في شعر حاتم جبل عظيم لا يزال معروفاً وهو في بلاد طيء ، وليس جبل غني المعروف الآن باسم (أم سنون)[1] ولا جبل بني سعد بن مالك من بني سعد بن زيد مناة ابن تميم ، الواقع بقرب وادي المياه ، والذي لا يزال معروفاً أيضاً[2] .

وقد أوردت ما اطلعت عليه من نصوص المتقدمين في تحديده ، وحدّدته تحديداً

---

(١) أنظر لتحديده كتاب «بلاد القصيم» ومجلة العرب .

(٢) أنظر لتحديده كتاب «المنطقة الشرقية» .

وافيا في كتاب «شمال المملكة»[1] .

٣٦ — محجر :

ص ٤١ و٤٢ : تكررت كلمة (محجّر) والجيم مكسورة ، والمعروف فتحها على اسم الفاعل ، لأن الرّمل قد أحاط بذلك الجبل .

وقال الهجريّ[2] : هو مخمّر بالفتح ومحجّر ، لا غير. وإن كان ياقوت ذكر في «معجم البلدان» (كسر الجيم وقد تفتح وهو اسم الفاعل وقد روى بفتح الجيم فيكون مبنيّاً للمفعول) انتهى ولكن الهجري من أئمة اللغة ، ولا يقاس به ياقوت ، ثم إن البكريّ ضبطه بالفتح . وقال : كل جبل أزّره رمل فهو محجّر .. ومحجّر المذكور قال عنه أبو زياد : جبل حوله رمل حجّر به[3] .

ومحجّر الآن يعرف باسم (المِسْمَى) .

وانظر كتاب «شمال المملكة»[4] لتحديد موقعه .

٣٧ — المزاج :

ص ٢٠٤ — قال حاتم :

ولو شهدتنا بالمزاج لأيقنت ... على ضرّنا أنّا كرام القبائل
عشيّة قال ابن اللّئيمة عارق[5] ... إخال رئيس القوم ليس بآيب

وعلق محقق الديوان : المزاج موضع شرقي المغيثة ، — ياقوت — وجاء في رسم المغيثة : منزل في طريق مكة بعد العذيب ، وكانت أولاً مدينة خربت ، وهي لبني نبهان . انتهى .

---

(١) ١١٨٣ — ١١٨٥ .

(٢) «أبو علي الهجري» ص ٣٦٣ .

(٣) «شرح المعلقات» للتبريزي : ٢٠٨ ولابن الأنباري : ٢٣٥ .

(٤) ١١٩١ — ١١٩٦ .

(٥) وفي «الموفقيات» : عارض بدل عارق .

ومن كلام ياقوت — مما لم يذكره المحقق : قال عمارة :

المزاج موضع على متن القعقاع من طريق الكوفة .

وأورد لجرير :

ولا تقعقع ألحى العيس قاربة   بين المزاج ورعني رجلتي بقر

وفي « القاموس » وشرحه[1] : والمزاج شرقيّ المغيثة ، بين القادسية والقرعاء أو يمين القعقاع — وفي نسخة : أو بمتن القعقاع . انتهى .

وأنا أستبعد أن يكون حاتم قصد هذا الموضع الواقع في حدود العراق لبعده عن بلاد قومه ، ولا أستبعد عدم صحة كلمة (المزاج) .

٣٨ — مسطح :

تقدم شاهده في جوّ ولكن أبا صالح صانع ديوان حاتم قال في شرح مسطح : المسطح في لغة طيّء مداس الزرع .

ونقل محقق الديوان قول صاحب « معجم البلدان » أنه موضع بعينه في جبلي طيّء . وذكر أنه لم يجد في المعاجم مسطحا بمعنى مداس الزرع[2] .

وأضيف : لا يزال مسطح الموضع معروفاً ، وهو واد من أودية أجا ، يقع في أعلى وادي ضرافة في جوف الجبل ، ويجتمع سيله — بعد أن يفضي إلى ضرافة ويخرج من الجبل — بسيل وادي حايل[3] .

٣٩ — مشار :

تقدم شاهده من قول حاتم عند ذكر سقف :

---

(١) رسم (مزج) .

(٢) ص ١٨٩ .

(٣) «شمال المملكة» : ١٢٢٦ .

إلى الشّعب من أعلى مشار فثرمد فبلدة مبنى سنبس لابنتي عمرو

وليس (ستار) ولا (مسار) كما في بعض نسخ الديوان .

وقد ورد الاسم مصحفاً في كثير من الكتب (مشان)[1] .

ومشار من أشهر أودية أجا ، يصبّ من أعاليه الشرقية ، وتجتمع فيه شعاب منها ثرمد ، ويفيض عند قرية السويفلة ، أسفل مدينة حائل ، حيث يلتقي بوادي الأديرع .

٤٠ — مصاخر :

شاهده في الصهو .

وقال المحقق الفاضل : أما جديات ومصاخر فلم أجدهما[2] .

وأقول : صواب الاسم مضاخر — بالضاد المعجمة بعد الميم وبالخاء المعجمة أيضاً .

قال نصر بن عبد الرحمن الاسكندريّ في كتابه[3] ، في (مفردات حرف الميم) : مضاخر هضيبات غربي أساهيب ، وهي هضاب فيها مصانه ، لبني جوين وبني صخر ، من طيّء .

ومضاجر لفزارة .

واستدرك بهذا الكلام صاحب «تاج العروس» على صاحب «القاموس» ولم يزد على ما هنا[4] .

وأساهيب المذكورة تعرف الآن باسم أساهيم — بالميم — وكثيراً ما تعاقب العامة بين الحرفين ، فيقولون : الرقب في الرقم .

---

(١) أنظر كتاب «شمال المملكة» : ١٢٢٨ .

(٢) ص : ٢٧٥ .

(٣) الورقة : ١٤١ مخطوطة المتحف البريطاني .

(٤) رسم (ض خ ر) .

ويفهم من تحديد نصر أن الموضع يقع غرب بلاد طيّء ، بحيث تلتقي ببلاد فزارة . إذ أساهيم من جبال سلمى .

٤١ ـــ مواسل :

ص ٢٨٤ ـــ قال حاتم :

أتاني من الريّان أمس رسالة وعدوى(؟) وغيّ(؟) ما يقول مواسل
هما سألاني : ما فعلت ، وإنني كذلك عمّا أحدثا أنا سائل
فقلت : ألا كيف الزمان عليكما فقالا : بخير ، كلّ أرضك سائل

وقال محقق الديوان : الريّان جبل مضى ذكره في القصيدة رقم ٦٨ هامش[1] :

وقوله : عدوى وغيء : مضطرب المعنى .

ومواسل : اسم قنّة في جبل طيّء انتهى .

ولكن المحقق الفاضل لم يبين أي جبل لطيّء هذا الذي مواسل من قننه .

وقال الهجري : هذا شرح أسماء مواضع في بلاد طيّء : في قوله : بالصّهو صهو مواسل : هو مويسل في أجإ ، وهو شعبة فيها النخل والضّرف ـــ وهو التّين ـــ لبني زريق ، فإذا أضفت إليه قلت زريقي ، وكان لجذيمة ، والنّسبة إلى جذيمة هذه جذيمي إنتهى[2] .

وفي « الأغاني »[3] أتى حاتم محرّقاً ، فقال له محرّق : بايعني . فقال : إنّ لي أخوين ورائي ، فإن يأذنا لي أبايعك وإلا فلا . قال : فاذهب إليهما ، فإن أطاعك فاتني بهما ، وان أبيا فأذن بحرب . فلما خرج حاتم قال :

أتاني من الدّيّان أمس رسالة وعدراسحي (؟) ما يقول مواسل

(١) لكنني لم أجد ما ذكر عن الريان وان كان تقدم ص ٢٦٧ .
(٢) «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» : ١٨٢ .
(٣) ١٦ ـــ ١٠٥ ط : الساسي .

هما سألاني ما فعلت وإنني كذلك عمّا أحدثا أنا سائل

فقال محرّق : ما أخواه ؟! قال :

طرفا الجبل !. فقال : ومحلوفه لأجلّلن مواسلا الرّيط ، مصبوغات بالزيت ثم لأشعلنّه بالنّار !

فقال رجل من الناس : جهل مرتقى بين مداخل سبلات .

فلما بلغ محرّقاً قال : لأقدمنّ عليك قريتك !. ثم إنه أتاه رجل فقال : إنك أن تقدم القرية تهلك .

فانصرف ولم يقدم . اهـ .

وقال البكري[1] : مواسل بضم أوله وكسر السين ، جبل تقدم ذكره في رسم الرّيّان قال زيد الخيل :

كأنّ شريحاً خرّ من مشمخرّة وجاري شريح من مواسل فالوعر

وقال واقد بن الغطريف الطائي فصغّره :

لئن لبن المعزي بماء مويسل بغاني داء إنّني لسقيم

هكذا قال ، والصحيح أنهما موضعان مختلفان[2] . انتهى .

وقال في «معجم البلدان» :

مواسل : كأنه من مسيل الماء إذا سال ـــ بضم أوله وسين مهملة مكسورة : إسم قنّة جبل أجا ، قال زيد الخيل :

أتتني لسان لا أسرّ بذكرها تصدّع عنها يذبل ومواسل
وقد سبق الرّيّان منه بذلّة فأضحى وأعلى هَضْبِهِ متضائل

---

(١) «معجم ما استعجم» .

(٢) هذا صحيح وانظر (مويسل) في كتاب «شمال المملكة» ص ١٢٨٤ و١٢٩١ .

فإنّ امرأ منكم معاشر طيّء رجا فرجا بعد ابن حيّة جاهل

وقال ياقوت[1] أيضاً : مواسل قنّة بأجأ ، وأورد قول لبيد ــ يصف كتيبة النعمان بن المنذر ــ.

كأركان سلمى إذ بدت ، أو كأنها ذرى أجإ إذ لاح فيه مواسل

وهذا البيت يفهم منه أنّ مواسل من أبرز قمم أجأ وأقرب ما تنطبق عليه الأوصاف المتقدمة من قممه ما يعرف باسم الرّعيلة .

وقد سبق توجيه القول بأنّ الرّيّان هو الرعيلة ، ولكن يلاحظ أنّ القمة التي يطلق عليها هذا الاسم تشاهد عن بعد مجتمعةً وكأنها رأس واحد ، وعند القرب منها تبدو ذات رؤوس ، ولهذا فيمكن القول بأن اسم الرعيلة يجمع ما كان يعرف قديماً بجبل الريّان وبجبل مواسل . على أنه سبقت الإشارة إلى أن الريان يطلق على واد تنحدر أعلى فروعه من الرعيلة .

٤٢ ــ نبتل .

شاهده في الصّهو :

وأورد المحقق هناك قول ياقوت : جبل في ديار طيّء قريب من أجأ .

والواقع أنّ نبتل يطلق الآن على منهل يقع في الجنوب من أجا ــ شمال قرية الغزالة بقرب الغمر ، يفصل بينه وبين أجا الحضن ، وبقرب ذلك الماء جبال ، ليست معروفة الأسماء .

فيظهر أنّ اسم الجبل كان يطلق على ماء بقربه ، ثم نسي الجبل وبقي اسم الماء للحاجة المتكررة إليه ، ومثل هذا يحدث في أسماء المواضع كثيراً .

---

(١) رسم أجا من «معجم البلدان» .

٤٣ — نقيب :

تقدم شاهده في الكلام على ثرمد وقول ياقوت : إنه شعب من أجأ .

وتقدم القول بأن ثرمد من الشعاب التي يصب سيلها في مشار .

ومن تلك الشّعاب شعب يدعى الرفاعي أعلاه يسمى النقيب — بالتعريف مع فتح النون مصغراً — فلعله الوارد في الشعر .

٤٤ — وادي القرى :

ص ١٧٩ — جاء في شرح قول حاتم — في الهامش . رمّان من وادي القرى لأربع .

نقلها عن ياقوت : وادي القرى واد بين الشام والمدينة ، وهو بين تيماء وخيبر .

وادي القرى : اسم كان يطلق على واحة ذات قرى وأودية أشهرها الآن وادي العلا ، ووادي الحجر ووادي الجزل ، وتلك الواحة تقع بين المدينة وبين الحجاز ، ولكنها لا تقع بين تيماء وخيبر ، إذ تيماء تقع بالنسبة لخيبر شمالاً ، ووادي القرى يقع بالنسبة لخيبر غرباً بميل نحو الشمال ، والمتجه من تيماء إلى وادي القرى لا يمرّ ببلاد خيبر بل يدعها ويدع حرّة خيبر كلها جنوبه ، وعلى هذا فإنّ القول بأن وادي القرى واقع بين تيماء وخيبر قول غير مستقيم ، ويمكن تخريجه بأن الطرق — في القديم — تخضع لوجود الأمن ، ولا يراعي فيها الاتجاه للقصد دائماً ، وبلاد خيبر بلاد مسكونة وهي أقرب إلى وادي القرى من تيماء ، وأقرب إلى تيماء من وادي القرى .

ولهذا كان المسافرون من تيماء يتحاشون قطع المفازة الواقعة بينها وبين وادي القرى ، فيتّجهون إلى خيبر المأهولة بطريق كثير المياه ومن خيبر يتجهون مع طريق معمور بالقرى إلى وادي القرى .

٤٥ — وقران :

تقدم ذكره في نقيب عند ذكر ثرمد :

وقال ياقوت : وقران شعاب في جبال طيّء .

وأراه شعبا من شعاب أجا ، مثل ثرمد ونقيب ، وإن كنت على غير ثقة من صحة الكلمة .

هذا عرض قصد به تحديد المواضع الواردة في شعر حاتم ، وهي تقارب ٤٤ — موضعاً ، منها ٢٧ موضعاً لا تزال معروفة وهي :

١ — أباير .
٢ — أبضة .
٣ — أجا .
٤ — أظايف .
٥ — بسيطة .
٦ — بلطة .
٧ — بواعة .
٨ — تيماء .
٩ — ثرمد .
١٠ — جديّة .
١١ — جوّ .
١٢ — حالة .
١٣ — حامر .
١٤ — حيّة .
١٥ — رخّة .
١٦ — الريّان .
١٧ — سقف .
١٨ — الشقيق .
١٩ — شوط .
٢٠ — الصّهو .
٢١ — الغمر .
٢٢ — قراقر .
٢٣ — متالع .
٢٤ — مسطح .
٢٥ — مشار .
٢٦ — نبتل .
٢٧ — نقيب .

وإحدى عشر موضعاً لا أعرفها وهي :

١ — تنعة .
٢ — حقل .
٣ — دباب .
٤ — الرداه .
٥ — سفيرة .
٦ — سلامان .
٧ — عوالص .
٨ — القريّة .
٩ — المزاج .
١٠ — مضاخر .
١١ — مواسل .

مع أن أكثر الجهات التي تقع فيها هذه المواضع معروفة .

زهـير بْن أبي سلمـى*

حَيَاته وَشِعْرُه

الدكتور إحسان النُّص ممن أحبَّ العرب فأحبَّ لحبهم الشعر الجاهلي محبة جعلته يؤثره على كثير مما قاله شعراء العصور الزاهرة ، فهو شعر الأصالة والفطرة والطبع السليم والشعور الصادق ، كما قال في مقدمة مؤلفه الجديد عن «زهير بن أبي سلمى حياته وشعره» وهذا الكتاب من أمتع الدراسات وأوفاها في موضوعه ، هو وكتاب «لبيد» للدكتور يحيي الجبوري ، فقد تحدث الدكتور النص — فيما تحدث — عن :

١ — البيئة وأحداث العصر (ص ٥/٤٤) فأورد لمحة عن بلاد نجد من حيث الوصف الجغرافي الطبيعي ، ومواطن القبائل فيها وحولها في عصر زهير . وتحدث عن الأحلاف القبلية التي لها صلة بقبيلة الشاعر ، وبالحروب القبلية في ذلك العهد .

٢ — ثم انتقل إلى سيرة الشاعر (ص ٤٦/٨١) عن نسبه وأسرته وحياته ووفاته ، وعقيدته وملامح من شخصيته .

٣ — وأفرد لشعره فصلاً خاصاً (من ص٨٥ إلى ٢٣٣) دعاه فيه (شاعر المديح ، وحكيم غطفان) وتطرق إلى أغراض شعره وتناول بالدراسة النظرات النقدية الموجهة إلى شعره من قدماء النقاد ، كما عرض لبعض هذه النظرات في بحث دعاه (فن زهير) في هذا الفصل الذي ختمه بسرد مصادر البحث وقد بلغت ستين كتاباً ، وألحق بهذه الدراسة الممتعة عن الشاعر مُصوراً يوضح منازل القبائل العربية في جزيرة العرب ، وهو من أدق المصورات التي اطلعت عليها وأصحها ، وأن كان بحاجة إلى لمسات خفيفة — في رأيي — .

ومن عادتي أن أعفي نفسي من عناء مطالعة الكتب التي لا أراها جديرة بالمطالعة ،

(*) مجلة «العرب» — المجلد التاسع — ص ٤٠٢ .

أو التي لا تتصل بما أهتم به من دراسات تتصل بتاريخ أمتنا وبأدبها وبجغرافية بلادها ، وإذا أمسكت كتاباً تستهويني مطالعته لا أنصرف عنه حتى آتي على قراءة كل ما أرغب قراءته منه ، وكثيراً ما (أشوّهُ) هوامشه بكتابة ملاحظات تتعلق بما استوقف نظري من آرائه ، وقد أُشرك القراء بالاطلاع عليها فتختلف نظراتهم حيالها ، ولا يعنيني هذا الاختلاف ، بل كثيراً ما أستفيد منه ، وإنما يعنيني أنني لا أبذل من جهدي وأصرف جزءاً من وقتي في كتابة تلك الملاحظات إلّا عندما أجد الكتاب جديراً بذلك ولعل في هذا ما يشفع لي لدى الأستاذ الجليل الدكتور إحسان ، ولعله يكون حافِزاً له لإيضاح ما في ملاحظاتي القليلة من أخطاءٍ ، وهي على قلتها يتَّصل أكثرها بتحديد المواضع ، وفي منازل بعض القبائل من الجزيرة ، والحقُّ أن المؤلف الكريم رجع إلى ما يستطيع الباحث الرجوع إليه فيما يتعلق بالمواضع ، من مؤلفات قديمة وحديثة ، وأفرغ جهده في التثبت فجاء عمله على خير صورة يستطيعها باحث اعتمد على مختلف المصادر مع قلتها ، واضطراب كثير من نصوصها ، ولهذا فإن جُلَّ ملاحظاتي تعتبر مكملة أو موضحة لما أورد الأستاذ من تحديد بعض الأمكنة وغيرها ، فأنا أردت أن أعبر عما لهذا المؤلف من قيمة في نفسي بمشاركة مؤلفه الكريم في عمله في جانب وإن كنت أقل منه معاناةً له ، وتعمُّقاً في دراسته في مختلف مصادره الكثيرة ، إلا أن معرفتي ببعض مواضع الجزيرة عن مشاهدة وخبرة قد يشفع لي في المشاركة .

١ ــ ص ٨ ــ في تحديد نجد : (ويكاد يتفق جمهورهم على جعل ذات عِرّق حدّاً لنجد من الناحية الغربية ، أما من الجهة الشرقية فيجعلون حَدَّها من ناحية الكوفة العذيب ومن ناحية البصرة عجلزة) . هذا التحديد ورد عن بعض المتقدمين ، ولكنه غريب حقاً ، ولا يتفق مع كثير من النصوص وذلك حينما نلاحظ :

١ ــ أن عجلزاً ــ عجلزة ــ يقع في إقليم القصيم ، في غربه . قال الهجري[1] : (العجالز التي ذكر : عجلزاً ، وهو ماء في الطريق بينه وبين القريتين تسعة أميال ، وإلى جنبه ماء يقال له رحب) وسماه في موضع آخر (عزلج) فقال : (رحب بثار في حساء

(١) «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» ص ٢٦٧ .

قرب عزلج)[1] وأورد للحادي في طريق البصرة :

يا ليتها قد جاوزت سواجا وعاقلا حيث انحنى وعاجا
ورامتين عُصَباً أفواجا وجاوزت عزلج والنباجا
وانفرج الوادي لها انفراجا

وأخشى أن يكون (عزلج) هنا من تحريف النساخ ، وفي كتاب «بلاد العرب»[2] : وبالقصيم عجلز ، وهي ماءة لبني مازن وهي المنصف بين مكة والبصرة . قال الراجز :

الله نجّاك من العجالز ومن جبال طخفة النواشِز

والعجالز : رحب وعجلز وما حولها من المياه ، ورحب ماء لبني مازن بالقصيم وفي «معجم ما استعجم» : عجلز : ماء في الطريق بينه وبين القريتين تسعة أميال ، وإلى جنبه ماء يقال له رحبة . وفي «تاج العروس» قال الأزهري : عجلزة : رملة في البادية ، معروفة بإزاء حفر أبي موسى ، وتجمع على عجالز ، ذكرها ذو الرمّة فقال :

مَرَرْن على العجالز نصف يَوْمٍ وأدّيْنَ الأواصــرَ والخلالا

. قال الصاغاني : لم أجد البيت في شعر ذي الرمة في قصيدته التي أولها : أناخ فريقُ جيرتك الجمالا ... في نسختي من ديوانه التي قابلتها وصححتها في اليمن والعراق ، ولكنه يقطر منه قطرات عذوبة أنفاسه ، وسلاسة ألفاظه ، وإنما هو لابن أحمر . اهـ وأرى أن قول الأزهري أن عجلز بإزاء حفر أبي موسى غير صحيح إذ لا يتفق مع النصوص التي حددت الموضع تحديداً دقيقاً . فالحربي لما وصف طريق الحج البصري من القريتين إلى مكة قال عن القريتين : (ومن ورائها بلد يقال له الرّمادة) إلى أن قال : (ثم من ورائها بثلاثة أميال موضع يقال له عجلز ، به بركة وآبار ومسجد ، وهو الذي يقال النصف من الطريق إلى مكة . ثم رامة) . أي إن عجلزا يقع بين القريتين وبين رامة والمسافة بينهما

---

(١) المصدر ٣١٤ و٣٢٥ .

(٢) ص ٣٤١ .

حسب تحديده ٢٤ ميلاً ، وعجلز إلى القريتين أقرب والقريتان وإنْ جهلت عينهما فإن موقعهما معروف ، فقد ذكر الحربي وغيره أن أهلِ القريتين يستعذبون الماء من عنيزة على ميلين منهما . وأورد صاحب «المناسك»[١] . أيضاً في أرجوزة جرير بن حازم الجهضمي البصري في وصف طريق البصرة قوله — بعد ذكر القصيم والقريتين —:

ثم مَضَتْ نحو كثيب (عَجْلز)	تنحطُّ في السير الوحيِّ الموجز
فَسِرْنَ في لبث على الكثيب	تَعْسِلُ فيه عَسَلانَ الذِّيب
تشِرف فيه تارة وتَنْحَدِرْ	دائِمَةَ النشاطِ كالعيرِ الأشِرْ
قاصدةً بي ما تخاف مَيْلاً	فوردَتْ بي (رامتينِ) لَيْلا

لم تُبق النصوص المتقدمة شكاً في أن (عجلز) يقع غرب مدينة عنيزة بينها وبين رامتين ، بقرب طرف النفود المعروف الآن باسم نفود الشُّقّيقة .

ويقول الأستاذ الشيخ محمد العبودي في كتاب «بلاد القصيم» ولا يزال مخطوطاً : (الظاهر أن الزريب هو عجلز ، ويقع الزريب قبلة القريتين ، بقرب الضفة الشمالية من وادي الرمة ، على بعد سبعة أكيال من مجراه ، والزريب ماء قديم ، فيه مزارع صغيرة ، ويدل على قدمه آثار العمران القديمة . وأضيف : قد يكون عجلز — في الأصل يطلق على مكان فيه ماء ثم توسع فيه حتى شمل ما حوله ، ومن ذلك النفود الواقع حول رامة . ومهما يكن فالموضع غرب القصيم والقول بأنه حدّ نجد من جهة البصرة يخرج القصيم والدهناء وكل ما شرقها من بلاد الله الواسعة عن مُسَمَّى نجد ، عند المتقدمين ، في الوقت الذي يجعل ذلك المسمَّى يمتدُّ شرقاً حتَّى مشارف الكوفة إذ يجعل العُذيب هو حد نجد من هذه الناحية ، وهذا في غاية التناقض فما هو المخرج ؟! إن القول بأن حَدَّ نجد من جهة البصرة هو (عجلز) منسوبٌ للأصمعي ، وإيراده بنصه قد يوضح المقصود منه في كتاب «بلاد العرب»[٢] (وقال الأصمعي : إذا جاوزت عجلز من ناحية

---

(١) ص ٦٣١ .

(٢) ص ٣٣٧ .

البصرة فقد أنجدت ، وإذ بلغت من ناحية الكوفة سَمِيْراء أو دونها فقد أنجدت إلى أن تبلغ ذات عرق) وهذا النصُّ واضحٌ لا لبس فيه ولا غموض ، وهو يخرج القصيم وجبلي طيءٍ وما حولها فالدهناء وكل ما يقع شرقها عن مسمى نجد ، من ناحية البصرة ومن ناحية الكوفة ، إذ يجعل الحدّ سميراء البلدة المحاذية لعجلز في الشمال . وكأنه يضيف كل ذلك إلى العراق . وإذن فهو لا يقصد التحديد الجغرافي وإنما يقصد التحديد الإداري ، ومما يزيد هذا إيضاحاً أن الخلافة إذ ذاك كانت قوية ، وكانت تعنى عناية كبيرة بالمحافظة على طرق الحج ، وقد أوجدت إمارة في بلدة (فيد) الواقعة شرقي سلمى على مرحلتين من سميراء شرقاً ، وكان يتولى الإمارة في فترة من ذلك الزمن محمد بن عبد الملك الأسدي الشاعر ، القوي الصلة برجال تلك الدولة .

ومهما يكن فإن إخراج ذلك الحيِّز الطويل العريض من نجد من الناحية الجغرافية غير صحيح وهو لا يتفق مع اعتبار حدّها العذيب المتاخم للكوفة ، أما التحديدات الإدارية فهي تختلف بإختلاف الأزمنة . والتحديد الذي أورده الأستاذ الدكتور إحسان ملفق من تحديدين أحدهما إداري وهو الشق المتعلق بالبصرة والآخر جغرافي .

٢ — ص ٩ و١٠ — وردت كلمة الرُّمة مشددة الميم والصواب تخفيفها كما تنطق الآن وكما وردت في الشعر القديم :

أنّى اهتديت والفجاجُ مظلمهْ   لراكبين نازلين في الرُّمَة[١]

وأورد الهمداني[٢] من قصيدة :

فُجعنا بفقدك يا بن الكرا   مِ ، كما بأبيك ببطن الرمه

وقد ذكر بعض المتقدمين تشديدها ولكن لم أرَ ما يؤيد هذا . وانظر مجلة « العرب »[٣] .

(١) «بلاد العرب» ص ٦٩ .
(٢) «الاكليل» ج ١٠ ص ١٤٧ .
(٣) ص ٨٣٤ س ٦ .

٣ ــ ص ١٠ ــ عن جبل رمان أنه إلى الجنوب من جبلي طيءٍ ، وفي ص ١٨ : أنه إلى الجنوب الشرقي من سلمى . والمشاهد أن سلسلة جبال رمان بالنسبة لسلسلة جبال أجا تقع في الجنوب ، ولكنها بالنسبة لجبل سلمى تقع غرباً ، وكأنها امتداد له ، بميل نحو الشمال (تقع سلسلة جبال رمان بين خطي الطول ١٥/ ٤١ْ و٤٥/ ٤١ْ وخطي العرض ٤٠/ ٢٦ْ و٠٠/ ٢٧ْ وتقع سلسلة جبال سلمى بين خطي الطول ٠٠/ ٤٢ْ و٣٠/٤٢ْ وخطي العرض ٤٥/ ٢٦ْ و٣٥/ ٢٧ْ تقريباً) .

٤ ــ ص ١٦ ــ: (والقبائل التي استوطنت نجداً تكاد تكون كلها مضرية باستثناء قبيلة طيء) ثم ذكر أسماء بعض تلك القبائل ، ومنها (أشجع) وذكرها ص ٢٠ من البطون الغطفانية التي تتصل بلادها من القصيم حتى حرتي ليلى والنار ولكن الباحث في منازل أشجع يجدها واقعة في الحجاز في حرة خيبر وفي سفوحها وبينها وبين المدينة ، والمتقدمون يعدونها بين القبائل التي تسكن الحجاز[1] مجاورة لقبيلة جهينة ، ويذكرون من بلادها :

١ ــ الأشمذان[2] وهما جبلان لا يزالان معروفين في منتصف الطريق بين خيبر وبين المدينة[3] .

٢ ــ إضَم كما في معجم البكري وياقوت وتخالطهم جهينة ، واضم مجتمع أودية المدينة ، ويقع شمالها ويفضي إلى البحر.

٣ ــ الثاملية ، قال عنها ياقوت : بين الصُّراد ورحرحان ، وقال البكري : بين المرورات وبين الصُّرَّاد ، والمرورات لا تزال معروفة[4] غرب وادي ساحوق ، وكذا رحرحان .

٤ ــ الجرُّ قال عنه ياقوت : (موضع في الحجاز) وأشار إلى وقعة جرت بينهم وبين

---

(١) : «معجم ما استعجم» ص ١٠ و٣٨ .
(٢) المصدر ص ١٥٩ و«معجم البلدان» .
(٣) أنظر في شمال غرب الجزيرة ص ٤٨١ .
(٤) أنظر مجلة «العرب» ص ١٤٥ س ٩ .

سُليم فيه مما يدل على قربه من ديار سليم .

٥ ــ حُليف جبل بينهم وبين ذبيان على ما ذكر البكري وقال : ذيالة قُنَّة من قنن الحرّة بين نخل وخيبر تناغي حُلَيفاً وأعياراً وهي بينهما .

٦ ــ الحيل : صحراء عن يسار الحرة بينها وبين المدينة على ما في « بلاد العرب » .

٧ ــ خبرةُ : ذكر ياقوت أنها ماء لبني ثعلبة بن سعد في حمى الربذة وعنده قليب لأشجع ، ويفهم من كلام الهجري[1] أن الخبرة هذه بقرب جبل رحرحان .

٨ ــ الخُبَيْتُ : قال البكري : إنه على بريد من المدينة . وقال ياقوت : ماء بالعالية ، تشاركهم فيه عبس .

٩ ــ زهمان ماء لهم فوق الحاجر على ما ذكر في « بلاد العرب »[2] .

١٠ ــ الصلعاء : عدها ياقوت من بلادهم ، وذكر أنها بين الحاجر والنقرة ، وحدّدها صاحب « المناسك » فقال[3] : (على ثلاثة عشر ميلاً من الحاجر ، وهي أرض مستوية لا ترى فيها جادَّة) .

١١ ــ الصهباء : قرب خيبر على ما ذكر البكري وغيره .

١٢ ــ المرورات : لأشجع ، وهي أرض خشنة ذات جبال وآكام لا تزال معروفة ، غرب الربذة ، ليست بعيدة من رحرحان وهي بقرب الصلعاء جنوبها ولا تزال معروفة .

١٣ ــ نخل : ويشاركهم فيه غيرهم ، وسيأتي تحديد هذا الموضع .

١٤ ــ النواشر : قال البكري : قارات بأعلى وادي المياه لبني ثعلبة وأشجع ، والفدافد رواب في أرض جَهَادٍ بين رحرحان والخشبة لبني ثعلبة . ويفهم من كلامه تقارب الموضعين . والخشبة جبال متصلة برحرحان شرقه معروفة .

---

(١) أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع » ص ٢٤٦ .

(٢) ص ٢٤٤ .

(٣) ص ٣١٩ .

١٥ يمْؤود : حساء بأعلى الرُّمة ، بينهم وبين بني مرة — على ما ذكر البكري .

هذه أهم المواضع التي ذكر البكري وياقوت أنها من منازل أشجع ، ومنها يتضح أن بلادهم تقع في حرة خيبر — التي قال صاحب «بلاد العرب» عنها : (وجُلُّ الحرّة لمرة وغطفان ، وبها لأشجع حق) وفي سفوح تلك الحرة شرقاً وغرباً ، إلى أعالي حمى الربذة وغرب الحاجر ، فيما حول النقرة ورحرحان ، ومنازلهم تجاور منزل بني ثعلبة بن سعد وبني مرة وعبس وغيرهم من إخوتهم من غطفان ، لكنهم لا يتوغلون في نجد مثل بني عبدالله بن غطفان .

وقد وضع اسم أشجع في المصور الجغرافي بجوار بني عبدالله بن غطفان فيما بينهم وبين حرّة ضَرغد ، شمال النقرة في الضغن ضغن عَدَنة في المكان الذي ينبغي أن يوضع فيه اسم إخوتهم بني مرة حيث جبل أول[1] والموضع الصحيح لهم ما بين جبل رحرحان شمالاً حتى الموضع الذي وضع فيه (بنو سليم) .

٥ — ص ١٩ — عن الحاجر : (ويستخلص من بعض الأخبار أن الحاجر كان من مياه بني عبدالله بن غطفان .. ولكن ثمة خبراً آخر يفيد أن الحاجر كان لفزارة) وفي ص ٥٢ : (والحاجر كان يتاخم بلاد عبدالله بن غطفان من جانب وبلاد فزارة وذبيان من جانب آخر ، والأرجح أنه كان لعبدالله بن غطفان ، لأنه كان لهم في الإسلام ، وقد رأينا بعض الرواة ينصُّون على أنه كان لهم في الجاهلية أيضاً) ا.هـ. ويحسن هنا تحديد موقع الحاجر ، إنه يقع في جوٍّ واسع في مجرى وادي الرمة حيث التقاء هذا المجري بوادي الثلبوت المعروف الآن باسم وادي الشعبة[2] شرقي هجرة أُنشئت حديثاً اسمها (البعايث) ويظهر أن اسم الحاجر يشمل موقعها في القديم (بقرب خط الطول ٤٨/ ٤١ْ وخط العرض ٠٠/ ٢٦ْ) وإذا كنت في الحاجر فأقرب الجبال المشهورة منك في جهة الشرق جبل قَطن ، وفي الشرق بِمَيْلٍ نحو الجنوب جبل عكاش ، وفي الجنوب جبل طميَّة والجبال المحيطة بها ، وفي الشمال الغربي قنوان ، وكل هذه الأعلام معدودة في القديم

---

(١) أنظر «العرب» ص ١٤٩ س ٩ .

(٢) أنظر «العرب» ص ١٧٩ س ٧ .

من بلاد غطفان على اختلاف بطونها ، وباستثناء بني عبدالله وبني عبس من بين تلك البطون فإن منازلها ترتفع من الحاجر غرباً على ضفاف وادي الرمة وجنوباً وشمالاً منه في الأودية المنحدرة من الحرار ، وفي جوف تلك الحرار . أما بنو عبدالله وبنو عبس فمنازل هاتين القبيلتين تنتشر حول الحاجر ومنه شرقاً وشمالاً وجنوباً ، مما لا يتسع المجال لتفصيله ، ولكنها لا ترتفع إلى منازل بطون غطفان الأخرى في حرار الحجاز وما يقربها ويظهر أن سكنى بي عبدالله[1] بن غطفان الحاجر كان قديماً فقد أورد الحربي في كتاب «المناسك»[2] ما نصه : (... أخبرني حرسي بن عبد الخالق بن شبيب بن رقيبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى عن أبيه عن جدّه أن الحاجر كان اسمه المنيفة ، وأنه كان لغني فغلب عليه الحاجر ، وإنما سمته الحاجر منذ أن كان في آخر الجاهلية ، وقال في ذلك رجل من بني عبدالله بن غطفان يقال له سليل بن الحارث كانت له امرأة من بني سحيم ابن عبدالله بن عطفان ، فكأنهم اتهموه أن يكون سبّ أصهاره فاعتذر من ذلك فقال :

فمن يذكرْ بلاد بني سحيمٍ بمقلية فلست بمن قلاها
هُم منعوا المنيفة من غنيٍّ وحاجِرَها ، وهم أحموا حماها

ثم ذكر نزول النابغة وهو غلام مع عمه الحاجر وهو ماء قديم جاهلي ، وأورد قول علي بن محمد الشاعر :

أقول لصاحبي والعيس تهوي بنا بين المنيفة والغمار[3]

ومما تنبغي ملاحظته أن منازل القبائل كثيراً ما تتداخل بسبب القربى ، أو الحلف أو الجوار .

٦ — ص ١٩ —: (وإلى الغرب منها — الربذة — على مسافة بريدين جبل رحرحان) وهذا التحديد للهجري[4] وهو دقيق في تحديده . ثم أورده الدكتور — ص

(١) أنظر بحثاً عن هذه القبيلة في «العرب» ص ١٦١/ ١٧٥ س ٦ .
(٢) ص ٣١٧ .
(٣) وأنظر «المناسك» أيضاً ص ٦٠٣ .
(٤) «أبو علي الهجري» ص ٢٤٢ .

٢٠ حاشية ـــ : (يستظهر ابن بليهد أن الربذة هي قرية الحناكية اليوم ، وجعل موضع رحرحان جنوب الربذة ، وجعله حمد الجاسر غربي الربذة . وأضيف :

١ ـــ لا يزال رحرحان معروفاً ، أما الربذة فبإجماع من حددوها تقع جنوب غرب جبل ماوان الذي لا يزال معروفاً أيضاً ، وأنها المرحلة الثانية من منهله الذي لا يزال معروفاً للمتجه إلى مكة مع الطريق الكوفي[1] ، وأن المراحل التي بعد-الربذة هي السليلة ، فالعمق ، فالمعدن ، وكلها معروفة الآن ، والطريق لا تزال آثاره القديمة واضحة ، وله مصور جغرافي معروف مطبوع باسم (دَرْب زبيدة) .

أما الحناكية التي قال الشيخ محمد بن بليهد – رحمه الله– إنها الربذة فإنها تقع شمال هذه المواضع بمسافات بعيدة ، وتقع غرب الربذة بما لا يقل عن مائة كيل ، والحناكية تقع في طريق المتجه إلى المدينة من شمال نجد ، من القصيم وحائل ، وذلك الطريق كان طريق الحج العراقي قديماً إلى المدينة ، قبل طريق الحاجر فالنقرة ، وكان ذلك الطريق بعد قطعه وادي الرمة مغرباً يتجه إلى الرقم[2] . ثم السعد ، ثم النخيل ، ثم الشقرة ـــ أو الطرف ـــ ثم المدينة ، والنخيل هو أحد روافد وادي الحناكية يعترض الطريق بعدها للمتجه إلى المدينة ، بعد مسيرة عشرة أكيال ولا يزال معروفاً ، وفي أعلى الوادي قرية بهذا الاسم ، أما الحناكية فاسمها القديم نخل وهي متسع من الأرض تحيط الجبال به من أكثر جهاته ، كإحاطة الحنكين بالفم ، ولعل هذا هو أصل تسميتها ، وهي حديثة أما اسمها القديم فهو نخل ، والحناكية مجموعة من القرى في مجتمع شعاب تنحدر من الجبال القريبة منها ، ومن أطراف حرَّة خيبر الجنوبية ، ومن سلسلة جبال رحرحان وما بقربها بحيث يكون وادي الحناكية من أعظم أودية تلك الجهة ، يتجه صوب الجنوب فترفده أودية النخيل ، فالطرف (الصويدرة) فالشقرة وأودية كثيرة أخرى ثم ينعطف نحو الغرب حيث يجتمع بوادي العقيق في منخفض من الأرض يعرف الآن باسم قاع حَضَوْضَى .

---

(١) أنظر عن تحديد الربذة «العرب» ص ٤١٨/ ٥٤٦/ ٦٢٥/ ٧٢٤ وانظر «المناسك» ص ٣٢٥ ـــ وما بعدها .

(٢) أنظر «العرب» ص ١٥٠ ـــ ١٥٢ س ٩ و«المناسك» ٥١٨ .

وإذا كنت في الحناكية (البلدة) فإنك تشاهد جبل رحرحان جنوبك قصداً ، بمسافة تقرب من ٣٠ كيلاً ، وان كنت في موضع الربذة ويعرف الآن ببركة أم سُليم غرب بئر النفازي فإن رحرحان[1] يقع منك غرباً قصداً ، وهو طرف من سلسلة جبال يطلق على الشرقي منها — وهو أعظمها — جبال الخشبة ، وعلى الشمالي جبال المعتمة ، واسم رحرحان يطلق على طرفها الغربي ، ورسم في بعض الخرائط (رهرهان بالهاء خطأ) .

والموضوع لا يحتاج إلى تفصيل أكثر من هذا ، وكل من طالع كتب «المسالك» يتضح له خطأ القول بأن الحناكية هي الربذة ، ومن ألقى نظرة على مصور المملكة العربية السعودية اتضح له طريق الحج القديم ، وشاهد موقع جبل رحرحان ، حيث حددته .

٧ — ص ٢٤ — عدَّ المؤلف الكريم قريتي تُمَير ومبايِض من قرى الوشم وهما من قرى سُدَير ، في جبل طويق .

٨ — كما عدَّ من إقليم سُدَير اللهابة وثادقاً . واللهابة منهل يقع شرق الدهناء بل شرق الصمان أيضاً بعيداً عن سدير ، ولا يزال معروفاً .

أما ثادق فهو أيضاً غير معدود في إقليم سُدَير ، وتدعى منطقته باسم (المِحْمل) بكسر الميم لوقوعه وما حوله من القرى في سفح طويق (العارض) في منبسط من ذلك السفح ، أشبه ما يكون بالمحمل الذي يوضع فوق دفتي البعير لركوب الضعيف الذي لا يتمكن من الثبات على الرَّحْل ، وثادق هذا هو غير ثادق الوارد في شعر زهير[2] .

٨ — ص ٤٢ : (جَبَلَةُ : هضبة حمراء بين الشُّرَيف والشَّرَف) هذا التعريف صحيح حينما كان الشُّرَيف والشرفُ معروفين ، أما الآن فإن جبلة معروفة وهما مجهولان ، إنها هضبة حمراء تقع في الشمال الغربي من بلدة الدوادمي ، وعلى مسافة تقرب من ٥٠ كيلاً ، وتقع غرب هجرة عَرجَة يفصل بينها وادي الرِّشاء المعروف قديماً باسم وادي

(١) أنظر «العرب» ص ١٣٢/ ١٣٣ س ٩ .
(٢) أنظر تحديد هذا في «العرب» ص ٣٩٠/ ٣٩٦ س ٥ .

التَّسْرِير ، وأقرب القُرى منها قرية القُرَين الواقعة في الجنوب الغربي منها ، وقرية مُشْرِفة الواقعة غَرْبها وقرية الحَيْد في الشمال الغربي منها ، وهي تشاهد رأى العين من القرى الثلاث ، وتقع هجرة نِي (نفء قديماً) شمال جبلة بمسافة تقرب من ٣٠ كيلاً وأقرب الجبال منها النَّشاش وجبل جُمْران شرقها ، وجبلا مُنْيَة وحِلِّيت غربها ، أما جبل النير فيقع في الجنوب الغربي منها ، وشرقه جبل ثهلان ، بعيدين عنها (تقع جبلة بقرب خط الطول ٥٠/ ٤٣° وخط العرض ٤٥/ ٢٤°) وهي هضبة ململمة صغيرة ليست مرتفعة .

٩ — تكررت كلمة (حلاوة) ص ٤٧ و٧٣ و٨٠ — والحاء ينبغي اعجامها خاء (خلاوة) كما في مخطوطة «جمهرة النسب»[١] لابن الكلبي و«المقتضب»[٢] لياقوت بخطه — والخطأ ناشيء عن مطبوعة «جمهرة النسب»[٣] لابن حزم ، وأخطاؤها كثيرة ، كما ورد — ص ٧٣ — رباح في آباء الشاعر وهو رياح — بالياء المثناة التحتية .

١٠ — ص ٥٢ — : (وكانت ديار فزارة إلى الجنوب والى الغرب من ديار بني عبدالله بن غطفان ، وكان بنو مرة يخالطون بني فزارة في منازلهم) . الواقع أن منازل فروع غطفان من الصعب تمييز بعضها عن بعض ، ولكن منازل بني مُرّة متوغلة في الحرة وشرقها شمال غرب بلاد بني عبدالله بن غطفان على ما يفهم من كلام المتقدمين الذين ذكروا من بلادهم أول[٤] بين ضرغد وبين الجبلين .

١١ — ص ٦٨ حاشية — (أبرق العزَّاف مكان قرب الجواء على طريق الربذة إلى المدينة) والمصدر كتاب الهجري . وفي (مصور جزيرة العرب) رسم اسم الجواء في موضعين موضع قرب الصَّمان غربه ، والآخر شمال مدينة بريدة — قاعدة القصيم — وأُحِبُّ أن أضيف بأن الجواء المشهور يقع شمال القصيم إقليم واسع وهو الوارد في الشعر كثيراً ، ولا يزال معروفاً ، أما الذي ذكر الهجري فجبل متصل بجبل رحرحان ، وأبرق

---

(١) ص ٢١٣ نسخة المتحف البريطاني .

(٢) نسخة دار الكتب المصرية .

(٣) ص ٢٠١ سنة ١٣٨٢ .

(٤) أنظر «العرب» ص ١٤٩ س ٩ .

العزّاف الذي ذكر ماء لا يزال معروفاً ولكنه يُدْعَى أبرقية ، ويضرب المثل بِجنّهِ ، وأنظر مجلة « العرب »[1] .

١٢ — ص ٨٩ — في شجرة نسب مزينة في أجداد معن بن أوس عَدِي — في موضعين — وصواب الاسمين عِدَاء — كما في « المقتضب »[2] بخط ياقوت و« مختصر جمهرة النسب »[3] وأَنشد الهجريّ في النوادر[4] لغزلان الشامي السلمي في نساء مُزنيات — من قصيدة — :

أوانس من حَيَّـي عِـدَاءٍ كلَيْهما طوامح بـــالأزواج غير غوان

وقال الهجري : قال معن بن أوس العداوي — عداء مزينة — في إبله :

وتَرْمي بها العوجاءُ كُلَّ ثنيَّةٍ كـأن لها بَوًّا بِنَهبَى تعاوِلُهْ

قال أبو علي[5] : كل ما في العرب بنو عداء فالنسبة اليه عِدائي إلا عِدَاء مزينة فالنسبة إليه عداوي .

١٣ — ص ١٥٦ : (نرى زهيراً يعدِّد في معلقته ومطولاته طائفة من المواضع وكلها من بلاد غطفان وأسد في نجد : حومانة الدراج والمتثلم والرقمتان والرسُّ والرُّسيس ومنعج وثادق وغيرها) . والواقع أن في شعر زهير أسماء مواضع لا تقع في بلاد القبيلتين تتضح من دراسة ذلك الشعر ، ومنها : منعج : وهذا يقع في بلاد غني بين أضاخ وإمَّرة ، وعدّه صاحب « بلاد العرب »[6] من بلاد بني أبان من دارم من تميم ، والظاهر أنهم حلوه بعد ضعف غني ، أما ما ذكر نصر من أنه للضباب فمنشأ هذا أن الضباب وغنيّاً

---

(١) ص ٨٥٦ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ س ٦ .
(٢) الورقة ٣٣ نسخة دار الكتب المصرية .
(٣) مخطوطة مكتبة راغب باشا في اصطنبول .
(٤) نسخة دار الكتب المصرية .
(٥) أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ص ٣١٧ .
(٦) أبو علي الهجري ص ٣٧١ .

تتجاور منازلهم . ولا يتسع المجال لتحديد كل المواضع الواردة في شعر زهير ، مما هو خارج عن بلاد أسدٍ وغطفان مثل : بِرْك — البقيع (أو النقيع) ثهمد ، الحجون ، الحزن ، الحفر ، دومة أو (رومة) ركك ، الرمل ، السِّرّ ، السِّيُّ ، شرج ، شَرَوْرَى ، ظلم ، عالج ، فيد ، قرقرى ، القريات ، الهدم .

١٤ — ص ١٣٨ هامش : (جرثم من مياه بني أسد) . هذا التعريف صحيح في الأيام التي كانت قبيلة بني أسد معروفة ، ومعروفة مياهها أما الآن فقد جُهْلت فأصبح ذلك الماء بحاجة إلى تعريف ، وقد اهتدى إلى تحديد موقعه عالم غربي تشيكوسلوفاكي هو المستشرق الويس موزل في كتابه ، «شمال نجد»[١] ويعرف الآن باسم الجرثمي .

١٥ — ص ١٥٧ : على قول زهير : كأنَّ عيني وقد سال السَّليل بهم : (السليل : واد بنجد) ا.هـ ولكن ما أكثر أودية نجد ! ! وأعرف واديين أحدهما يدعى السُّلَيْل بضم السين واسكان الياء ، والثاني السَّلِيْل بفتح السين وكسر اللام — فالأول يقع بين جبل أبان الأبيض وبين وادي الرمة ، وترفده سيول أبان ، ويصبُّ في وادي الرمة مقابلاً لوادي ثادق ، وقد ذكر هذا الوادي صاحب «بلاد العرب»[٣] وأن أسداً وعبساً اقتتلتا فيه وأورد فيه من شعر عقبة بن سوداء :

ألا يا لَقَوْمى للهموم الطوارق ... ورَبْع خلا بين السليل وثادق

وسكان هذا الوادي المضابرة من هُتَيم . وليس من المستبعد أن يكونوا من عبس[٣] (يقع هذا الوادي قرب خط الطول ٥٠َ/ ٤٢ْ وخطي العرض ٣٠َ/ ٢٤ْ و٤٥َ/ ٢٤ْ) ويغلب على الظنَّ أنه هو الوارد في شعر زهير لقربه من المواضع التي يذكرها كثيراً في شعره ، والثاني يقع في عالية نجد يقطعه طريق الحج البصري بعد مجاوزة الربذة فيرد منهلاً فيه يدعى السَّليلة لا يزال معروفاً ، ويبعد هذا عن الربذة ٢٣ ميلاً تقريباً ، وهي قبل منهل العمَق المعروف بـ١٨ ميلاً ، ووادي السليل هذا في بلاد بني سُليم في العهد

---

(١) مجلة «العرب» ص ١٩٨ س ٩ .

(٢) ص ٤٥ و٧٢ .

(٣) أنظر عن هتيم كتاب «في شمال غرب الجزيرة» ص ٢٢٦/ ٢٣٠ .

القديم ، ويتجه سيل هذا الوادي مغرباً حتى يصبُّ في وادي العقيق (يقع بقرب خطي الطول ١٥/ ٤١° و٣٠/ ٤١° وخطي العرض ٠٠/ ٢٤° و٣٠/ ٢٤°) ويطلق اسم السليل على غير هذين الواديين[1] .

١٦ــ ص ١٦١ حاشية : (الجوُّ وشَرج وسلمى والأشرف وقطن : مواضع من بلاد غطفان وأسد وطيء) وهذا صحيح ولكن أين من يعرف منازل تلك القبائل الآن بعد زوالها ؟ إن المؤلف الكريم غير مطالب بأن يقول أكثر من هذا إذ ليس بين يديه ما يرجع إليه في تحديد تلك المواضع تحديداً يطابق واقعها اليوم ، وأنا حينما أحاول ذلك ، أحاوله مدفوعاً بالرغبة بأن تكون الاستفادة من هذا الكتاب تامة ، وأن أشارك في هذه الدراسة الممتعة عن شاعر يعتبر شعره سجلاً للتعريف بكثير من المواضع التي تعترض الباحث في الأدب والتاريخ والشعر كثيراً ، يظهر من الأبيات التي أوردها الأستاذ الدكتور أن الظعُن التي وصفها الشاعر ارتحلت من مكان قريب من سلمى في شرقيّها ، وقد يكون أحد الموضعين اللذين ذكرهما في قصيدته الكافية :

ثم استمروا وقالوا إن موعدكم ماء بشرقي سلمى ، فيد أو ركك

والمتجه من أحد هذين المكانين نحو الوجهة التي ذكرها الشاعر : (للاشراف أو قطن) يدع شَرْجا عَنْ شماله ، وجوَّ سَلْمَى يمينه . وشَرْجُ ماءٌ لا يزال معروفاً ، إذا كنت في قرية فيد الواقعة في سفح جبل سلمى من الجهة الشرقية فإنَّ شرجاً يقع شرقاً منك على خط مستقيم ، في منبسط من الأرض يدعى السَّعيرة ، يبعد عن قرية الكهفة قرابة ٣٠ كيلاً شرقها أيضاً ، وعليه يَمرُّ طريق المتجه إلى شرق القصيم من حايل (يقع بقرب خط الطول ٢٩/ ٤٣° وخط العرض ١٥/ ٢٧° تقريباً) .

أمَّا جوُّ سَلْمى فأرى أن الشاعر لم يقصد موضعاً يسمى بهذا الاسم ولكنه أراد أحد الجواء الواقعة شرقيَّ سلمى بقربها ، وقد يكون جوَّ فيد والجوُّ معروف لغة ، وسَلْمَى أحد الجبلين ، لا يزال معروفاً باسمه ، ولا يُجهَل موقعه . وأرى الشاعر أراد بالاشراف

(١) أنظر «أبو علي الهجري وأبحاثه» ص ٣٠٢ و٣٢٥ .

الوصف لا موضعاً بهذا الاسم وأن صواب البيت (للاشراف من قطن) أي الأماكن المرتفعة حول جبل قطن ، فهو يصف ضعائنه بأنهن ارتحلن من تلك الأمكنة المنخفضة بقرب سلمى شرقها ، فاتجهن صوب العالية من الأماكن المرتفعة .

أما قطن فهو من أذكر جبال نجد وأعرفها ، جبل ململم مستدير ، إذا كنت في الحاجر فإنه يقع شرقك بميل نحو الشمال على مسافة لا تتجاوز ٣٥ كيلاً ، وتراه إذا كنت في قرية الفوَّارة غربك غير بعيدٍ ، واذا كنت في قرية عقلة الصقور الواقعة في بطن وادي الرمة حيث التقاء وادي مُبهل الأجرد به ، فإن قطناً يقع منك في الشمال الشرقي رأى العين على مسافة تقرب من عشرة أكيال وجبل قطن كان قديماً من جبال عبس (يقع بقرب خط الطول ١٥/ ٤٢° و٢٠/ ٤٢° وخط العرض ٠٠/ ٢٦° يقسمه نصفين) .

١٧ ــ ص ١٦٦ حاشية : (صارة اسم موضع) ويحسن أن يضاف : صارة آكام وأرض مرتفعة تقع شمال غرب عيون الجواء ، تمتد من مرتفع من الأرض يدعى جال الأسودة نحو الغرب ، مسافة تقرب من ٢٠ كيلاً . ويحفُّ طريق القصيم الشرقي المتجه إلى حائل بصارة ، بينها وبين جبل عنيزة الواقعة شمال ساق (ساق الجواء) ويسير الطريق جنوبها محاذياً لها حتى لا يكون بينه وبين قرية المكحول أكثر من ٣٠ كيلاً ، (تقع صارة ــ صارات ــ بقرب خط الطول ٠٠/ ٤٣° و٢٨/ ٤٣° وخط العرض ٣٠/ ٢٦° تقريباً) .

١٨ ــ ص ١٩٢ ــ ورد هذا البيت لزهير :

لَئن حللْتَ بِجَوٍّ في بني أسَدٍ   في دِيْنِ عَمْرٍو وحالتْ بيننا فَدَكُ

وفي الحاشية : (جو : واد في بلاد بني أسد) . وجوهنا تصحيف خو ــ بالخاء المعجمة ــ في «تاج العروس»[1] : (ويوم خو لبني أسد معروف قال زهير : لئن حللت ــ البيت ــ قال أبو محمد الأسود : من رواه بالجيم فقد أخطأ .. وقال نصر : خو وادٍ يفرغ ماؤه في ذي العشيرة لبني أسد) اهـ . وكأنَّ نصراً أخذ هذا مما في كتاب

(١) مادة «خو»

« بلاد العرب »[1] الذي حدَّد وادي خوٍّ تحديداً دقيقاً يحسن الرجوع إليه ، وقد حقق الأستاذ محمد العبودي موقع وادي العشيرة المذكور وأنه الوادي المعروف الآن باسم المباري — من المباراة — وهذا يقع بين جبلي قطن والتين ، شمال الأول وجنوب الثاني ، بين وادي مُبْهل (المحلاني الآن) ووادي الجُرَير (أي بقرب خطي الطول ١٠/ ٤٢° و١٥/ ٤٢° وخطي العرض ٥/ ٢٦° و١٨/٢٦°)[2] .

١٩ — ص ٢٠٠ و٢٠١ : — على قول زهير :

أُحابِيْ بـه مَـيْـتـاً بـنـخـل وابتغي إخـاءك بـالـقـول الذي أنا قائل

وقوله :

إنَّ الـركـاب لـتـبـتـغي ذا مِرَّةٍ بجنوب نَخْلَ إذا الشهور أحلّت

(نخل : اسم موضع حيث دُفِن سنان) . قلت فيما تقدم — رقم ٦ — إن الحناكية اليوم هي ما كان يعرف قديماً باسم نخل ولا أزيد الآن شيئاً لأنني على ثقة مما أقول ، ومن بحث كما بحثت وصل إلى ما إليه وصلت .

٢٠ — ص ٢٣١ — عبّر الأستاذ الدكتور عن عدم اطمئنانه إلى صحة نقد الأصمعي إذ قال : سألت بجنبات فيد عن ركك فقالوا لي : ما هنا ركك ، ولكن ركّ فعلمت أن زهيراً احتاج فضعف ، واستدل على عدم اطمئنانه بما في كتاب الهجري : وسألت الأشجعي عن ركك فقال : ماءة في شعب سلمى ، بين نبهان شرقياً . ولكن ألا يرى الدكتور الكريم أن الهجري لم يضبط الاسم ، وقد يكون الأشجعي عبَّر عما فهم من إطلاق ذلك الإسم على تلك الماءة ، لا بالاسم الذي يطلق عليها في ذلك العهد ، ومما يؤيد صحة نقد الأصمعي ان اسم الماءة التي أصبحت الآن قرية هو (رك) لا ركك . والأخير يطلق أيضاً على موضع في الحجاز بقرب قرن ، الوادي وهذا ذكره بعض شعراء

---

(١) ص ٧٣ .

(٢) أنظر مجلة «العرب» ص ٢٢ س ٧ .

الحجاز كابن أبي ربيعة وأبي دهبل الجمحي ، أما الذي ذكر زهير فلا شكّ أنه ركٌّ الواقع شرقي سلمى .

٢١ — وبعد هذا المرور السريع بين ثنايا هذا الكتاب القيِّم نقف قليلاً لإلقاء نظرة على (مصوَّر مواطن القبائل في الجزيرة) الذي بذل الدكتور الفاضل جهداً عظيماً في التعمق في البحث والدقة وفي التحري حتى برز من أوثق ما رسم لبيان منازل القبائل قبل الإسلام ، وإن لم يكن شاملاً لجميعها والإشارة إلى مواضع قليلة في هذا المصور ما هي سوى دليل على إحاطة المؤلف الكريم بموضوعه إحاطة تامة :

١ — وقع اسم فهم وعدوان شمال هذيل وغرب ذات عرق بينها وبين جبال السراة . ويلاحظ :

(١) : أن منازل عدوان كانت ولا تزال جوار ثقيف شرق الطائف .

(٢) : منازل فهم كانت ولا تزال أيضاً تقع غرب ثقيف في سفح سراة الطائف الغربية ، مجاورين لهذيل ، وقد خالطوهم الآن حتى ظن بعض الباحثين أنهم بطن منهم .

(٣) : موقع السراة ليس متاخماً لساحل البحر ، بل يفصل بينهما تهامة التي تمتد بامتداد البحر شمالاً وجنوباً .

٢ — بنو سليم وضع اسمهم في ثلاثة مواضع : في حَرَّة كشب ، وهذه الحرة في بلاد بني عامر لبني هلال منهم ، ومعروف تجاور بني سليم وبني عامر في المنازل . والموضع الثاني : حرّتهم المعروفة الآن بحرة رهاط ، وتكاد أن تكون وسفوحها الشرقية هي جُلُّ بلادهم . والموضع الثالث : بين حرّة خيبر ، وبين منازل مزينة وبلي غرباً ، مجاورين لبني عذرة من جهة الشمال ، وهذا الموضع من بلاد غطفان ، ولا تصل بلاد سليم قبل الإسلام إلى هذه الجهة .

٣ — منازل مزينة تقع مجاورة لسليم من الشمال والغرب ، غرب المدينة وليست بين بواط (بواطة خطأ) ورَضوى ، فهذه الجهة من منازل جهينة حتى عصرنا الحاضر ،

ومزينة في منازلها القديمة ، جبل ورقان وما حوله .

٤ ــ منازل عنزة قبل الإسلام كانت في نجد متفرقة ، ولم تتصل بالعراق إلا في عصور متأخرة ، ومع أن الباحث قد لا يستطيع تحديد أمكنة خاصة لهذه القبيلة ، إلا أنه قد يستشف مما ذكره المتقدمون :

(١) أنها كانت مع قومها ربيعة في ظواهر نجد والحجاز حتى وقعت حرب البسوس وقتل جسَّاس ، فلحقت عنزة وضبيعة بقبيلة بكر بن وائل ، ولم تزل الحروب تنقلهم من بلد إلى بلد[١] :

(٢) انتشرت بكر ــ ومعها عنزة وضبيعة باليمامة فما بينها وبين البحرين[٢] . ويظهر أن أفخاذاً من عنزة استقرت باليمامة وتحضرت ، كبني هِزَّان الذين لا يزالون يسكنون وادي نعام في جبل العارض ، وهؤلاء هم الذين قتلوا حيان بن عتبة العامري في الرداع في جهة العرمة في العهد الجاهلي ، وبقيت أفخاذ أخرى منتشرة مع بكر غرب البحرين وكان من منازل عنزة في هذه الجهة[٣] ومياهها ثيتل وركيّة لقمان بقرب ثاج والوريعة والشَّيطان ــ مثنى شَيِّطٍ ــ بفتح الشين وكسر الياء المثناة التحتية مع تشديدها وبعدها طاء . وقد انتشرت بطون من تميم في هذه الجهات قبيل ظهور الإسلام ، فأغارت قبيلة بكر ــ ومعها عنزة ــ على بني تميم في أول ظهوره في عهد النبي (ص) فكان يوم الشيِّطين الذي يقول فيه رُشيد بن رميض العنزي :

وما كان بين (الشيطين) ولعلع لنسوتنا إلاَّ مناقل أربع
فجئنا بجمع لم يرَ الناسُ مثله يكاد له ظهر (الوريعة) يظلع

إلى أن قال :

تقصَّعُ يربوع بسرَّة أرضنا وليس ليربوع بها متقصع

---

(١) «معجم ما استعجم» للبكري ص ٨٤/ ٧٦ .
(٢) أنظر المصدر السابق ص ١٤٨ و١٠٣١ «العرب» ص ٩٠١/ ٩٠٢ س ٧ .
(٣) أنظر «معجم ما استعجم» و«معجم البلدان» .

فقوله صريح بأن هذه المواضع من بلاد عنزة ، والشيطان والوريعة لا تزال معروفة[1] .

(٣) يظهر أن بطوناً من عنزة بقيت في الحجاز ، ولم تغادره مع قبائل ربيعة ، وان كان الباحث لا يجد لها ذكراً في أول العهد الإسلامي ، وهذا من أغرب الأمور ، إذ لم يُعهد أن قبيلة بلغت أرياف العراق أو الشام ثم عادت راجعة إلى أعلى الجزيرة ، بحيث يصح القول بأن قبيلة عنزة التي في الحجاز عادت اليه بعد انتقالها مع قومها ، فالهمداني يذكر من حوادث القرن الثاني الهجري أن قبيلة حرب لما صارت إلى جبل قدس من الحجاز ، وجدت عنزة هناك بين من وجدت من القبائل (وأن عنزة ناصبت قبيلة حرب الحرب ، والذي هاج أن رجلاً حربياً وآخر عنزياً امتريا في جذاذ نخل فعدا الحربي على العنزي فضربه ضربة بَتَك بها يده ، فعدت بنو حرب يومئذ وهم ستمائة رجل فأجلوا من بالبلدة من عنزة إلى الأعراض من خيبر)[2] . ويذكر ياقوت أن عنزة هم أهل وادي خيبر[3] كما يذكر نصر قبله أن حرَّة النار كانت لغطفان ثم صارت — في عهده — لقبيلة عنزة . بل لا تزال خيبر إلى هذا اليوم لهذه القبيلة ولها في الحجاز وادي الحِجر أيضاً ، وهناك إشارة في كتاب «أسماء جبال تهامة» لعرام بن الأصبغ يفهم منها أن قبيلة عنزة في القرن الثالث كانت من بين القبائل التي تسكن الجبال القريبة من مكة شرقها[4] . وكل ما تقدم يحمل على القول بتفرق قبيلة عنزة ، وعدم اجتماعها في بلاد واحدة .

٥ — هجر : ليس داخل شبه جزيرة قطر بل هو ما يعرف الآن باسم (الأحساء) .

٦ — حفر بني العَنْبَر حدث في القرن الأول الهجري ، أمر بحفره أبو موسى الأشعري ، وكان ينسب إليه ، ثم عرف بحفر بني العنبر بعد ذلك .

---

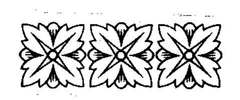
(١) «الكامل» لابن الأثير ٦٥٤/١ ط : بيروت .

(٢) «الاكليل» ٣٠٤/٣٠٣/١ .

(٣) «معجم البلدان» عرض .

(٤) أنظر «معجم البلدان» — شوان .

وبعد : فأراني أطلت القول ، وأوردت أكثره غير مُدعمٍ بالدليل ، وما ذلك إلا لأنني أثق بأن المؤلف الجليل أرفع من أن آخذ بيده في كل موضعٍ ، ولولا منزلته الكريمة في نفسي لما بذلت في مطالعة كتابه الممتع ما طالعت ، مدفوعاً بالرغبة في الاستفادة ومجاذبة الحديث في موضوعات أصبح الحديث حولها مدعاة للسخرية في عصرنا و(كلٌّ ميَّسرٌ لما خلق له) .





ديوان
شعر الحادرة*

وأعاد أستاذنا الدكتور ناصر الدين الأسد نشر «شعر الحادرة» في المجلد الخامس عشر من «مجلة معهد المخطوطات»، مُحقَّقاً مقَدَّماً بدراسة عن الشاعر وشعره، وعملٌ يقوم به الدكتور الأسد وأمثاله من محققي علمائنا المعنيين بصيانة تراثنا جَمْعاً ودراسة ونشراً هو من القوة والكمال بحيث لا يتطرق الشك إليه، غير أن من عادتي أن أعابث أساتذتنا معابثة أقصد من ورائها الاستزادة من علمهم، وإطلاع قراء العرب على الجديد من آثارهم. ومن ذلك :

١ ـــ ص ٢٧٢ : (وكانت منازل غطفان كلها في الحجاز... وجميع الأماكن التي تذكر في شعرهم أو تنسب إليهم إنما تقع في هذه الرقعة من أرض الحجاز) حقاً أن أكثر فروع غطفان ممن يسكن الحجاز، ولكن حصر منازل القبيلة في الحجاز غير صحيح، وإن فهم من كلام البكري ذلك وهذا هو الإيضاح :

أ ـــ بنو عبْس من غطفان ومنازل هؤلاء في وسط نجد، في غرب القصيم في جهات قطن، وتتصل جنوباً بحدود حِمَى ضرية المعدود في كبد نجد وترتفع إلى ماوان وما حوله، وشمالاً تخالط بني أسد، وقد حدد منازلهم لغدة الأصفهاني في «بلاد العرب»[1]، وكثير من المواضع التي ذكرها عروة بن الورد العبسي تقع في نجد.

ب ـــ بنو عبدالله بن غطفان كانوا يسكنون نجداً على ضفاف وادي الرمة ولا تتصل منازلهم بالحجاز، ولهذا لما هجا أحد الشعراء كعب بن زهير ابن أبي سُلمى، عَيَّره بكون أخواله أتوا به إلى نجد، فأحلَّوه وادي مُبْهل، وهو مزني حجازي ـــ قال مزرد بن ضرار :ـــ

(*) مجلة «العرب» ـــ المجلد السادس ـــ ص ٢٣٢.

(١) من ص ٢٧١ الى ٣٨٨.

وأنت امرؤٌ من أهل قُدُسٍ وآرةٍ أحَلَّتْكَ عبدالله أكناف مبهل[1]

ومع أن زهيراً عاش في أخواله بني عبدالله بن غطفان فإن جل المواضع التي ذكرها تقع في نجد .

جـ ـــ لو استعرضنا شعر الشماخ بن ضرار الغطفاني لوجدناه يذكر فيما يذكر من المواضع : أبانان ، أدبي ، أريك ، بسيان ، تبالة ، ثادق ، رامة ، رحرحان ، رقد ، ساجر ، سجا ، سنام ، صارة ، عالج ، غَضْوَر ، غول ، الغيل ، فلج ، فيد ، القنان ، قَنوان ، ماوان ، منعج . وكل هذه المواضع في نجد ، ولا تزال معروفة ، ولهذا فإن شعراء غطفان قد يذكرون من المواضع ما ليس في الحجاز .

٢ ـــ ظن الدكتور الكريم أن « مختصر جمهرة النسب » مخطوطة خزانة راغب باشا في اصطنبول ، المصورة في معهد المخطوطات ، ظن أن هذا الكتاب مختصر كتاب « النسب الكبير» لابن الكلبي ، وصرح بهذا في ص ٢٩٧/ ٣٥٠/ ٣٨٧ وهذا غير صحيح ، فابن الكلبي له مؤلفات في الأنساب منها «جمهرة النسب » وقسم منه مخطوط في المتحف البريطاني وله مختصرات منها « المقتضب في جمهرة النسب » لياقوت ، ومخطوطته بقلم مختصره في دار الكتب المصرية ، ومنها «مختصر جمهرة النسب» مخطوطة خزانة راغب باشا ، ومن مختصراتها كتاب « النسب » لأبي عبيد القاسم بن سلام ومنه مخطوطة في مكتبة مانيزيا في تركيا ومن مؤلفات ابن الكلبي في النسب كتاب « النسب الكبير» أو « نسب معد واليمن الكبير» ومنه قسم في مكتبة دير الاسكوريال ، والخلط بين كتابي « الجمهرة » و« النسب الكبير» وقع فيه كثير من الباحثين كالدكتور المنجّد في « فهرس الكتب المصورة في معهد المخطوطات » قسم التاريخ ، والدكتور جواد علي في مقال له عن « الجمهرة » نشر في المجلد الأول من « مجلة المجمع العلمي العراقي » والدكتور ورنر كاسكل حينما نشر الكتابين بعد تحويرهما ودراستهما ، وغير هؤلاء ، غير أن القاء نظرة

(١) «معجم ما استعجم» ـــ ١٠٥١ ـــ الطبعة الثانية .

فاحصة على الكتابين تبين الاختلاف بينهما لا من حيث الزيادة والنقص بل من حيث الترتيب في ذكر أنساب القبائل ، وخاصة في أنساب قحطان ، مما لا يتسع لذكره المجال ، بل أكتفي بالجزم بأن أي دارس للكتابين يتضح له هذا بأدنى تأمل ، مع أن «النسب الكبير» منسوب في المخطوطة إلى الكلبي محمد بن السائب لا إلى ابنه هشام صاحب «الجمهرة» ولا خلاف في أنه أخذ مؤلفات أبيه فزاد فيها وتصرف ونسبها إلى نفسه ، وفي مخطوطة «الجمهرة» في المتحف زيادات لمحمد بن حبيب نقلها عن ابن الأعرابي وغيره .

٣ ــ ص ٣٠١ : (عانتهم تجري) وعلى التاء سكون والصواب ضمها وإسكان الميم ، لا ضمها ، وهذا تطبيع .

٤ ــ ص ٣٤٥ : (جؤيَّة بن نصر الجرمي أحد بني ثعلبة) كيف يكون جرمياً ، وهو من بني ثعلبة من غطفان ، وجرم من قضاعة من قحطان ، أرى صواب الكلمة الحزيمي نسبة لحزيمة ــ بالحاء المهملة المفتوحة ، والزاي المكسورة ــ بن رزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد ، وهم رهط الحادرة الشاعر وقد جاء هذا الإسم مصحفاً خُزيمة ــ ص ٢٩٦ ــ ٢٩٧ وقد ضبطت الكلمة في «مختصر الجمهرة» ضبطاً واضحاً ، وكتب فوقها كلمة (صح صح) ، وكذا في «جمهرة النسب» لابن الكلبي ، وجاء في كتاب «الإيناس» للوزير المغربي[1] : في قضاعة : حزيمة بن نهد .. وفي ربيعة : حزيمة بن طارق .. وفي قيس : حزيمة بن رِزَام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

وزاد الله أستاذنا الحبيب الدكتور ناصر الدين الأسد قُوّةً ونشاطاً ليضيف إلى تراثنا بجهده وعمله الكثير الممتع .

---

(١) ص ١٦- مخطوطة دار الكتب .



ديوان
زيد الخيـل الطـائي*

— ١ —

وأتحف «العرب» أستاذنا الجليل الدكتور علي جواد الطاهر بنسخة من «ديوان زيد الخيل الطائي» صنعة الباحث المحقق الدكتور نورى حمودي القيسي ، صنعه فجمعه من أمهات كتب الأدب والتاريخ ، وحققه ، وشرح غريبه ، وجعله الحلقة الثانية من (دواوين صغيرة) مطبوعاً مما جمع ، وجاء الديوان في ١٣٦ صفحة في (مطبعة النعمان) في النجف ، بمساعدة (وزارة التربية)(١) . وما هذه الكلمات التي أريد كتابتها سوى تعبير صادق عن إعجابي بما يبذله العلماء والباحثون في العراق في سبيل إحياء التراث العربي ، فحياهم الله ، وزادهم قوة وتوفيقاً .

وزيد الخيل — بل زيد الخير كما سماه رسول الله ﷺ — من الأبطال الأفذاذ ، لا بصفته شاعراً فحسب ، والاهتمام بدراسة كل ما يتصل بحياته اهتمام بجانب من جوانب حياة أمتنا ، ولهذا عنيت بقراءة الديوان ورأيت أن خير ما أعبر به من تقدير للأستاذ الدكتور القيسي إلحاق إضافات يسيرة بذلك الديوان ، وهي وإن لم تضف إلى عمل الأستاذ الجليل جديداً إلا أن في بعضها ما أراه مكملاً لجوانب من الدراسة الشاملة لحياة هذا الشاعر الكريم ، وخاصة ما يتعلق بتحديد بعض المواضع الواردة في شعره ، وأكثرها حدّدتها في أحد مؤلفاتي منذ زمن(٢) ، فكانت مطالعة الديوان حافزاً للرجوع إلى ما كتبته عنها وتنحصر في :

أ — حول نشأته : كان يحسن إيراد نسبه كاملاً ، لأنه يعين على معرفة بعض من

(*) مجلة «العرب» — المجلد التاسع — ص ٦٠٧ .

(١) لم يذكر تاريخ النشر ولكن مقدمة الديوان كتبت في ١٩٦٨/٧/٧م .

(٢) هو «شمال المملكة» أحد أجزاء «المعجم الجغرافي الحديث للمملكة السعودية» .

ورد لهم ذكر في شعره . ومن أمثلة ذلك أن البيت[1] : كررت على أبطال سعد ومالك ، ورد بصورة أخرى فقد قال ابن الكلبي : وولد نبهان ابن عمرو : سعد ونابل ، ولولدهما يقول زيد الخيل في غارة أغارها[2] :

كررتُ على رُجَّال سعدٍ ونابلٍ ومن يَدعُ الداعي إذا هو نَدَّدَا

وها هو نسبه : زيد الخيل بن مهلهل بن يزيد بن منهب بن عبد رُضا بن المختلس بن ثوب بن كنانة بن عدي بن مالك بن نابل بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طي يقال لبطنه الذي هو منه بنو المختلس[3] .

٢ ــ وأم زيد الخيل تدعى : قوشة بنت الأزنم الكلبية من تيم اللات بن رفيدة ، قال بجير بن أوس الطائي يردُّ عليه :

تمَّنيتَ أن تلقى بجيراً سفاهةً فلاقيته يَعْدُو به الورد مُعْلما
فألقيت مَرْبُوعاً ــ كما قلت ــ مأزما ووليت يا زيدَ بن قوشة[4] معدما

وتجدر الإشارة إلى وقوع المهاجاة بين زيد وبين شاعرين آخرين غير هذا هما ابن شيماء وكعب ابن زهير الذي ذكر ابن عبد البر أنه هجاهُ لأنه اتهمه بأخذه فرس له[5] وهذه الناحية تستحق البحث .

٢ ــ أشار الأستاذ الجليل إلى أبناء زيد بقوله : (ثلاثة : عروة وحريث ومهلهل .. وقيل : كان له من الولد : مكنف وحريث ، أسلما وصحبا النبي ﷺ وشهدا قتال الردة) . وكلمة (وقيل) صيغة تمريض ــ تضعيف للقول ــ فأشهر النسابين يجزمون

---

(١) ص ٤٣ من الديوان .
(٢) «النسب الكبير» : ١٧٤ و«النسب» لأبي عبيد القاسم بن سلام الورقة ٤٩ .
(٣) النسب الكبير ١٧٤/١٤٦ و«المقتضب» الورقة ٩٠ب مخطوطة دار الكتب و(نابل) ضبطه ابن الوزير ضبط قلم في موضعين (ناتل) وضع فوق أحدهما (ت صح) . ولكننا عولنا على ابن دريد في «الاشتقاق» .
(٤) «تاج العروس» قرش .
(٥) «الاستيعاب» ٥٤٤/١ ــ هامش «الاصابة» طبعة مصطفى محمد بمصر.

بهذا . قال ابن الكلبي : (وابنه مكنف بن زيد الخيل ، وبه كان يكنى ، وحريث بن زيد كان فارساً ، وعروة بن زيد شهد القادسية وقسّ الناطف ومهران)[1] . وفي «الجمهرة[2] » لابن حزم : (وبنوه مكنف وعروة وحنظلة وحريث) ولمنكف في حروب الردّة مواقف مشهودة[3] .

٣ — وقع لزيد الخيل حوادث كان لها أثر في حياته منها شهوده حرب الفساد وقد طعن في تلك الحرب ، طعنة عَمْرو بن صخر بن أشنع — من جديلة طيء — فارس البقيرة ، وحرب الفساد هذه قال عنها ابن الكلبي[4] : فولد خارجة بن سعد بن فُطرة بن طيء جُندبَ وحوراً ، وهم أهل السهل ، أمها جديلة بنت سُبيع من حمير إليها ينسبون ، والسهليون هم الذين تفرقوا في حرب الفساد ، فلحقوا بحاضر حلب ، فتزوجوا إلى الأنباط ، فكانت المرأة يكون لها أولاد من غيرهم فينسبون إلى إخوتهم ، ثم اختلطوا معهم ، وفسدوا فهم لا يعرفون منهم فهم أهل السهل اليوم .

وقال الأصفهاني[5] : — عن حروب طيء بينها — فتحزبت حزبين حزب جديلة وحزب الغوث ، وكانت هذه الحرب أربعة أيام بينهم — يقصد وقعات — ثلاثة منها للغوث ، ويوم لجديلة ، فأما اليوم الذي كان لجديلة فهو يوم ناصفة وأما الثلاثة الأيام التي كانت للغوث فإنها يوم قارات حوق ، ويوم البيضة ويوم عِرنان ، وهو آخرها وأشدها ، وكان للغوث ، فانهزمت جديلة هزيمة قبيحة وهربت ، فلحقت بكلب وحالفتهم ، وأقامت فيهم عشرين سنة)اهـ. وقد تكون تلك الحروب مما سبب وقوع التهاجي بين زيد وبين جبلة بن كلثوم — ابن شيماء — .

قال ابن الكلبي :[1] عن شمجى بن جرم : كلثوم بن ربيعة بن عمرو بن أشيم ،

---

(١) «النسب» ص ١٧٤ .
(٢) ٤٠٣ ط : ثانية .
(٣) أنظر «الاصابة» لابن حجر .
(٤) «نسب معد واليمن الكبير» لابن الكلبي ، ص ١٥٢ — مخطوطة الاسكوريال و«الأشتقاق» : ٣٨٥ و«مختصر الجمهرة» ص ٢٦٢ مخطوطة راغب باشا .
(٥) «الأغاني» : ١٢٧/١١ ط : الساسي .
(٦) «النسب الكبير ص ١٨٣ والأول في «النسب» لأبي عبيد ، و«الاشتقاق» : ٣٩٤ .

وجبلة ابنه الذي يقال له ابن شيماء وهي سبية من كلب ، الذي يذكره زيد الخيل فقال :

نبئت أنَّ ابنا لشيماءَ ها هنا   تغنَّى بنا سكران أو متساكرا
إذا المرء صرت (؟) أمه وتقيلت (؟)   فليس حقيقاً أن يقول الهواجرا[1]

والبيت الأول في «الديوان»[2] في القصيدة التي آخرها :

ونحن ملأنا جوَّ موقق بعدكم   بني شمجى خطيّة وحوافرا

فأجابه جبلة بن مالك بن كلثوم — ابن شيماء —[3] :

ما إن ملأتم جَوَّ موقق بعدنا   ولا جَبْهَا إلا غريباً مُجاورا
مجاور جيرانٍ أسأت جوارهم   فألفوكَ مشؤوم النقيبة فاجرا
ورثت من اللخناء قوشة غدرةً   ومهبلها قد كان قبلك خادرا

قوْشة : أم زيد الخيل .

ولكن يجب أن يلاحظ أن ابن شيماء ليس من جديلة ، بل من الغوث ، فهل انضم قومه جرمٌ إلى جديلة في تلك الحروب ؟ هذا يحتاج إلى بحث .

ويتجلى لزيد الخيل في تلك الحرب التي كانت من أسباب تفريق تلك القبيلة موقف رائع من مواقف الإصلاح والنبل . قال عدي بن حاتم : إني لواقف يوم البحاميم والناس يقتتلون إذ نظرت إلى زيد الخيل قد حصر ابنيه مكَنَفناً وحريثاً في شعب لا منفذ له ، وهو يقول : أي بُنيَّ أبقيا على قومكما ، فإنَّ اليومَ يوم التفاني ، فإن يكن هؤلاء أعماما فهؤلاء أخوال[4] — قال عدي : فقلت : كأنك قد كرهت قتال أخوالك . قال : فاحمرَّت عيناه غضباً وتطاول إليَّ ، حتى نظرت إلى ما تحته من سرجه فخفته ،

---

(١) «النسب الكبير : ١٧٣ و«النسب» لأبي عبيد : ٤٧ «المقتضب» : ٨٧ .

(٢) ص ٦٢ .

(٣) «معجم البلدان» — موقق — (٤/٦٨٨ ط وستنفلد) .

(٤) يظهر أن بني كلب آزرت جديلة فاشتركت معها في الحرب ، فكلب أخواله وبنو جديلة أعمامه .

فضربتُ فرسي وتنحيتُ عنه ، واشتغل بنظره إليَّ عن ابنيه ، فخرجا كالصقرين[1]

جـ ــ ومما رأيته من الشعر منسوباً إليه مما لم أجده في الديوان ، وهو قليل جداً بالنسبة لما جمعه الأستاذ الجليل مما يدل على شدة تقصيه في البحث والتنقيب .

١ ــ أورد الهمداني من شعره[2] :

فأبنا في سراة الحيّ قيس	مُجَنّبةً بأعضاد الركاب
وما تخفى عليك وجوه قيس	كأن عيونها حدق الكلاب
وكل كريمة الجدَّين خَوْدٍ	يزين الكف منها بالخضاب
إذا اتصلت دعت أفناء قيس	وخَصَّت منهم غلب الرقاب

ويظهر أنها من القصيدة الواردة في ص ٣٥ من الديوان .

٢ ــ وقال في يوم اليحاميم أحد أيامهم مع جديلة[3] :

تجيء بني لأمٍ جيادٌ كأنها	عصائب طيرٍ يوم طَلٍّ وحاصب
فإن تنجُ منها لا يَزَلْ بك شامة	أناء حيا بين الشجا والترائب
وفرَّ ابن لأمٍ واتقانا بظهره	يُردعه بالرمح قيس بن عازب
وجاءت بنو معن كأنَّ سيوفهم	مصابيح من سقف فليس بآيب
وما فرَّ حتى أسلم ابنُ حمارس	لوقعةٍ مصقولٍ من البيض قاضب

٣ ــ وقال الوزير المغربي[4] : وفي بني شكل (بن الحريش كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) هؤلاء يقول زيد الخيل ، الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وعلى وآله زيد الخير :

---

(١) «الكامل» لابن الأثير ٦٣٦/١ .

(٢) الدامغة الورقة الـ١٧٧ ب .

(٣) «الكامل» لابن الأثير : ٦٣٦/١ ــ طبعة صادر : بيروت .

(٤) «الايناس» مخطوطة المتحف البريطاني ص ١١٩ .

لو كنتُ أنهضُ في ململة شُمَّ المناخر من بني قرطِ
أو من بني شكل الذين هُم منعوا الحريم بأذرع سُبْطِ
لكنما قومي هم حَذَفٌ[1] يرعينَ في أشَبٍ من الخبطِ

٤ ــ وقال ابن الكلبي[2] : أوس بن صاعد ــ من بني مالك بن دنان من حيان ابن ثعلبة بن عمرو ابن الغوث : ــ الذي يقول له زيد الخيل :

وهل أنت إلا تيس مَعْزٍ بصهوةٍ يَنِبُّ على خلاته ويبول

ب ــ ملاحظات يسيرة حول نصوص وردت في (مطبوعة) الديوان لم أرها تنفق مع ما اطلعت عليه . ولا شكّ أن أستاذنا الجليل الدكتور القيسي لم يشرف على تصحيح تجارب الطبع ، ولهذا كثُرَ التطبيع في الديوان ووقعت فيه كلمات قد يكون غيرها أصح منها ، وهذا ما سندع الحديث عنه الآن ، وقد نعود إليه في آخر كلامنا عن هذا الديوان .

جـ ــ وعن المواضع في شعره[3] : قال الأستاذ : (ومن يتصفح ديوانه يجد كثرة المواضع في شعره ، فهو يذكر الكلاب وأجا وسلمى وروضات الرباب ، والصعيد ، وذا شطب وذا الرمث وشرق والمطالي ... ويحدد هذه المواضع) . وأضيف :

١ ــ حبذا لو وضع الأستاذ الجليل فهرساً لأسماء هذه المواضع ، ليسهل للباحث الوقوف عليها .

٢ ــ ذو شطب ورد في موضعين من الديوان بهذا النص[4] : (بذي شطب أغشى الكتيبة) . و(بذي شطب يحادث بالصقال) ولم أره في غيرهما والظاهر أنه يقصد السيف لا اسم موضع .

---

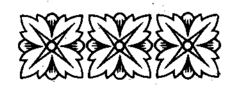
(١) في الهامش : (حذف جداء صغار) .
(٢) «النسب الكبير» ص ١٧٣ وفي «النسب» لأبي عبيد : (وأوس بن صاعد الذي كان يهجوه زيد الخيل ، وهو من شمَجَى) .
(٣) ص ١٦ .
(٤) ص ٤٥ و٨٩ .

٣ — استخرجت أسماء المواضع فبلغت ٦٥ موضعاً :

منها : ٢٢ موضعاً ليست في بلاد طيء وهي : إراب ، أرل ، البطاح ، جرثم ، الجوف ، دجلة ، الدوّ ، السُّليل ، ضلفع ، عبقر ، العين عين التمر ، القصيم ، القنان ، الكلاب ، لبن (لبنى) ، المدينة ، المطالي ، مكة ، الملح ، النِّير ، يذبل ، اليمامة .

ومنها ٤٢ موضعاً في بلاد طيء أو بقربها لا تزال معروفة ، وهي أُبضة ، الأجاول ، أجا ، الأحوران ، أفعى ، الجبلان ، حُبران ، الريَّان ، سلمى ، طابة ، الغمر ، فرتاج ، فردة ، فيد ، القفيل ، قنا ، متالع ، مُحَجَّر ، مواسل ، موقق .

ويبقى ٢١ موضعاً ليست معروفة . وسأحاول تحديد كل المواضع في حديث آخر .





شعر
المتوكّـل اللّيثـي*

الدكتور يحيي الجبوري من أنشط علماء عصرنا في مجال الدراسات الشعرية وخاصة ما يتصل بالشعراء المتقدمين من العرب ، فقد بذل جل عنايته في هذه الناحية ، وكان من أوائل إنتاجه كتاب «شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه» يحوي دراسات وافية عن شعراء تلك الحقبة من الزمن وفصولا ممتعة عن شعراء المدينة ومكة والطائف وعن شعراء اليهود في الحجاز ، وشعر البادية المتأثر في الإسلام ، كما يحوي الكتاب دراسة عن شعر المخضرمين ومبلغ تصويره للأحداث الإسلامية .

وليس المقام مقام تفصيل الحديث عن هذا الكتاب الممتع ، وإنما المقصود الإشارة إلى اهتمام الدكتور الجبوري بهذا الجانب من أدبنا العربي .

وكأن الدكتور الجبوري رأى الحاجة ماسة إلى نشر ما يستطاع نشره من الشعر في تلك الحقبة التي اتخذ من أهلها موضوعاً لدراسته وما يقرب منها من الزمن ، ومن ثم قام بتحقيق أشعار عدد من الشعراء المخضرمين ومن بعدهم وخاصة شعراء الحجاز ، وكان من آخر ما قام الدكتور بتحقيقه شعر المتوكل الليثي ، ومع جودة شعر هذا الشاعر إلا أنه لم يصل إلينا مجموعاً كاملاً ، بل اختار صاحب كتاب «منتهى الطلب» قصائد قال عنها أنها المختار من شعره وأنه اختار أكثر شعره[1] .

وقد قال ابن الكلبي عن المتوكل هذا في كتاب «جمهرة النسب»[2] : هو أشعر بني كنانة في الإسلام .

لقد عمد الدكتور الجبوري إلى ما اختاره صاحب «منتهى الطلب» وهو سبع

(*) مجلة «العرب» — المجلد السادس — ص ٢٣٥ .

(١) ص ٢٤٦ شعر المتوكل الليثي .

(٢) ص ٩٦ مخطوطة المتحف البريطاني .

قصائد ، فاعتبره أصل شعر هذا الشاعر ، بعد أن وضع له مقدمة جاءت في ٦٠ صفحة تحدث فيها عما له صلة به من حيث ترجمة الشاعر نفسه ، والإشارة إلى مميزات شعره ، وإلى مصادره ، ثم أضاف إلى ما تقدم ما عثر عليه من شعر الشاعر أو مما نسب له ولغيره من الشعراء ، وختم عمله بفهارس مفصلة لذلك الشعر.

ومن عادتي عندما أطالع كتاباً أن أعلِّق ما يعنُّ لي من ملاحظات على هوامش الكتاب ، وكان مما علقت أثناء قراءتي «شعر المتوكل الليثي» بعد أن بسطتها وأضفت إليها ما زادها :

١ ــ في هامش «مختصر جمهرة النسب» ص ٣٦ ــ نسخة خزانة راغب باشا في اصطنبول ــ نقلاً عن كتاب «النواقل» لابن الكلبي فيما يظهر : (نق : أن المتوكل الليثي ــ وذكر نسبه ــ كان عَبْداً لعُدَس بن عمرو الليثي ، أصاب أمَّه في الجاهلية ، فولدت المتوكل عندهم ، فلما قضى عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ بأن يفدى من كان من العرب من أشباهه فافتدى قال معين الليثي :

ما كنت من ليث ولا من بكر ... العبد عبد عدس بن عمرو

فيقال أن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ لهذا الشعر فكه ولم يُترك أحد من العرب ملك أيام عمر إلا فكّ كذا في «نق» وفيه نوع تناقض بأن قال : إنه لما افتدى قال الشاعر كذا . ثم قال : إن الشعر كان موجب افتدائه . وأظن الصواب ترك الفاء من أول افتدى ، وقد انصلح الكلام ، ويكون : قال معين ابتداءً ، لا جواب لمّا . انتهى ما في هامش «المختصر» .

ولعل هذا يوضح لنا ما ذكره الأستاذ الدكتور في المقدمة من أن معن بن حمل هاجي المتوكل ، ويوضح لنا الأبيات التي منها :

فلو شئتم أولاد وهب نزعتهمُ ... ونحن جميعاً شملنا أخوان
نهيت أخاكم عن هجائي وقد مضى ... له بعد حول كامل سنتان

ومعروف أنه يقصد هنا وهب بن عمرو بن لقيط بن يعمر بن عامر بن ليث ،

ووهب هذا هو الأب الرابع للمتوكل كما أنه الأب الثالث لمعن بن حمل . ومعن ورد في مخطوطة مختصر الجمهرة معين في موضعين والنسخة متقنة الخط .

٢ — ص ١٦ المقدمة (يقول الدكتور لم يبرز من أسرته من يفخر به ويزجي إليه جياد قصائده) مع أننا نجد ابن الكلبي «جمهرة النسب»[١] عندما ذكر عباس بن عبدالله بن مسافع بن وهب ، وهو أخو جد المتوكل قال عنه : (وهو الذي ذكره المتوكل في شعره) فهذا يدل على أن الشاعر مدح بعض أقاربه .

٣ — ص ٧٤ : (ذو المجاز موضع بمنى كان منه سوق في الجاهلية) وأقول : لا صلة لذي المجاز بمنى فذو المجاز — على ما حدده المتقدمون — : سوق لهذيل عن يمين الموقف من عرفة ، قريب من كبكب ، على فرسخ من عرفة[٢] . وهو وادٍ لا يزال معروفاً ، ينحدر من جبل كبكب ومن جبل سعد وما حولها ، ويتجه صوب الجنوب حتى يلتقي بوادي عرفات في طرفها الشمالي ، ثم يتجه الوادي مجنباً حتى يلتقي بوادي نعمان ، التي يتجه غرباً حتى يصب في البحر جنوب جدة .

٤ — تكرر في ص ٧٥ و٢٣٦ أن منى موضع بمكة ، ومعروف موقع منى من مكة وأنه خارجها .

٥ — ص ١٣٢ : (شمام : اسم جبل ، وهو في بلاد بني قشير ، وقال ابن الأعرابي : شمام لبني حنيفة ، ويقال : له رأسان يسميان ابني شمام) .

وأقول : القول بأنه في بلاد قشير له وجه من الصحة لمجاورة هؤلاء لقبيلة باهلة التي ذكر المتقدمون أن الجبل في بلادهم[٣] . ولكن كونه في بلاد حنيفة من أغرب الأقوال وأبعدها عن الصواب ، وأخشى أن تكون كلمة (حنيفة) مصفحة أو محرفة . وبالإجمال فجبل شمام — أو ابنا شمام — هو رأسان بارزان من سلسلة جبال العرض — عرض

---

(١) : ص — ٩٦ .
(٢) «أخبار مكة» للأزرقي ١٢٤/١ طبعة مكة .
(٣) أنظر «بلاد العرب» للغدة ص ٢٣٦ و«معجم البلدان» .

باهلة قديماً وعرض القويعية حديثاً — والرأسان متجاوران وأصلها واحد ، يشاهدان من بلدة عَرْوَى رأي العين ، في شمالها ، وقد حرَّف العامة الاسم إلى (إذني شمال) وكثيراً ما يحرفون الأسماء فيقولون في (أسنان بلالة) : ثنايا بلال ، وهو طرف من جبل العرمة بين الرياض والخرج ، ويسمُّون قرما : ضرما — وهكذا — (ويقع جبل شمام بقرب الدرجة ٣٥/ ٤٤ْ طولاً و٠٠/ ٢٤ْ عرضاً) .

٦ — ص ١٣٥ : (حوشب بن زيد) هو حوشب بن يزيد كما في «مختصر الجمهرة» ص ١٤٧ ، ويلاحظ أن جمهرة أنساب العرب لابن حزم المطبوعة كثيرة التصحيف .

٧ — ص ١٤٠ : (أقاحي جمع الأقحوان وهو البابونج نبت طيب الريح حواليه ورق) . وأقول الشاعر مثل ثنايا صاحبته بأقاحي الرمل ، والأقاحي نبات لا يزال معروفاً في نجد ولكن العامة يحرفون اسمه فيقولون قحويان ويقول شاعرهم في وصف ثنايا صاحبته :

أبو ثنايا كنها حب رمان أو قحويان طاغيٍ في مسيله

أي كالأقحوان النابت في مجرى السيل بحيث طغى وتكامل نموه ، والمتقدمون من اللغويين ، وهم كثيراً ما يجهلون أسماء نباتات جزيرة العرب ، فيسترشدون بالأعراب لمعرفتها ، فإذا رأى العربي (الأعرابي) نباتاً يشبه النبات المسؤول عنه قال هو مثل هذا ، فيظن العالم اللغوي أنه هو النبات بعينه ومن ثم يطلق اسم النبات المعروف عند الحضر على النبات المعروف عند البادية ، ومن هنا يقع الخطأ ، ومن هذا القبيل كون المتقدمين عرفوا الأقاحي بأنه هو البابونج ، وهو القراص أيضاً ، ووصفوه بطيب الرائحة وهذا القول فيه ما فيه ، فالأقحوان نبات بري ينبت في فصل خاص هو الربيع ، وينبت في الأراضي الرملية بدون استنبات بخلاف البابونج ثم هو ذو شجيرة أصغر من البابونج ، فشجيرته لا تتجاوز الشبر في الغالب بخلاف البابونج ، وميزة الأقحوان بزهره المحاط بُويرقات بيضاء لامعة البياض يضرب ببياضها المثل في وصف الأسنان ، والبابونج كما هو معروف منه نوع ذو زهر أبيض وله نوعان آخران زهرهما ذهبي اللون وأصفر فاقع ثم أن البابونج له رائحة عطرة وهو يستعمل في علاج بعض الأمراض بخلاف الأقحوان ،

وقد ظن المتقدمون بأن الأقحوان أيضاً هو القراص ، وفرق كبير بين القراص وبينه ، فالقراص ذو زهيرة صفراء تؤكل وهي حرّيفة الطعم (حارة) وطعم زهرة الأقحوان مرة لا تستساغ أكلاً والقراص ينبت في الرياض وما بقربها من الأمكنة التي تجتمع فيها المياه وقت المطر ، والبدو يسمونه القريص كجميز ، وقال صاحب «التاج» : إنه القراص بلغة العامة ولا أظن هذا صحيحاً فهو معروف عند البادية بهذا الاسم منذ القدم ، أما بعض الحضر فيسمونه القرقاص ، والأقحوان ينبت في الأمكنة الرملية وعلى جوانب التلاع والأودية .

ورأيت ابن البيطار في كتابه يقول : (الأقحوان عند العرب هو البابونج المعروف في مصر وهو الكركاش) وأرى أن الكركاش هو القرقاص والغريب أنه لم يذكر القراص ولا الكركاش في كتابه في الموضع المخصص لهما ، وبالإجمال فإن الأقحوان المعروف في نجد يغاير البابونج ويغاير القراص في الشكل وفي اللون وفي الطعم .

وحبذا لو عنيت الجامعات العلمية في البلاد العربية بدراسة نبات البادية دراسة علمية تزيد الباحثين معرفة بها .

ولقد استشكلت يوماً ما قاله علماء اللغة في شرح قول لبيد في معلقته : فعَلى فروع الأيْهُقان — من أن مقصوده النهق — بالنون — وهو عندهم الجرجير البريّ ، ووجه الاستشكال أن الشاعر لو قصد النهق — بالنون — لقال : الأنهقان . وأمرٌ آخر ، فالجرجير البري يسمّى اليَهَق — بالياء المثناة التحتية ، لا بالنون — ولا يزال بعض الحضر في شمال نجد في جهات حايل يسمون الجرجير مطلقاً اليَهق — بالياء — وكنت ظننت أن الخلاف هنا ناشىء عن تصحيف من أحد متأخري علماء اللغة ، حتى رأيت الدينوري ذكره في حرف النون — النهق — ورأيت مخطوطة «التكملة» للصاغاني بخطه كذلك . وعندما أبديت شكي في صحة كلمة النهق — بالنون — لبعض العلماء من أهل عصرنا لم يرتح لرأيي بحجة أن أولئك العلماء من المتقدمين لا ينبغي الإقدام على تخطئتهم على أية حال من الحالات فأظهرت له أخطاء كثير منهم في تصحيف أسماء المواضع حتى لدى بعض علماء الحديث الذين كانوا يحتاطون أكثر من غيرهم في النقل ، كما نرى لبعضهم

في ذكر غزوة العُشيرة ، هذا الاسم الذي ورد محرفاً بصور مختلفة ، مع أنه لا يزال معروفاً ، ذكرت هذا الاستطراد لأدلل على شدة الحاجة إلى دراسة كل ما يتعلق بالشعر العربي القديم دراسة تقوم على أساس علمي قويّ .

٨ ـــ ص : ١٩ : (قِطَان : أرض في ديار تغلب) ثم الشاهد من شعر القطامي ، وهذا في شرح قول المتوكل :

رقودُ الضحى ، رَيَّا العظام كأنها مهاةُ كِنَاسٍ من نِعَاجِ قِطان

وبيت القطامي في وصف ثور وحشي : (ألفَ الدكادِك من جَنوب قِطانا) .

وجاء في شعر الحُطيئة : (خروج الظِباء من حِراج قطان) .

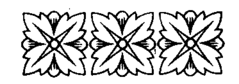
وهذه الأقوال تدل على أن الموضع مَرَبّ للوحش من ظباء وَبَقَرٍ ، ولكن كونه في بلاد تغلب موضع شك ، ولعله ناشيء من أن القطامي تغلبي ، ولهذا قال البكري ما أورده الدكتور ، والواقع أنَّ هذا الموضع قد حدده الهجري فقال : قطان بين السي وحضن ، وحضن جبل عظيم في عالية نجد لا يزال معروفاً ، والسي هو طرف مما يعرف الآن باسم ركبة ، وقطان واد لا يزال معروفاً يقع شرقي جبل حضن وشرقي الطرف الشمالي من ركبة ، ويجاور وادي قطان من شرقه موضع يدعى الرحا يضاف إلى قطان ، جاء في شعر تأبط شراً :

ألا مَن مُبلغٍ فتيان قومي بما لاقيت عند رحا قطان

وورد اسم قطان هنا بطان في «معجم البلدان» ، وأراه تصحيفاً ، وكان قطان وما حوله إلى عهد قريب من أشهر المواضع التي تألفها الظباء ثم انقطعت بسبب كثرة مطاردتها بالسيارات وصيدها . والخلاصة أن قطاناً المذكور في الاشعار المتقدمة يقع في عالية نجد ، وهو واد لا يزال معروفاً ـــ وكثيراً ما يقع من المتقدمين الوهم في تحديد الأمكنة عندما يضيفون المكان الوارد في شعر شاعر إلى قبيلة ذلك الشاعر .

٩ ـــ ص ٢٥٣ : (شاكر قبيلة نسبة إلى شاكر بن ربيعة) يحسن أن يقال قبيلة من همدان لا تزال معروفة باليمن .

هذه أهم الملاحظات التي خطرت بذهني عند مطالعة ما جمعه أستاذنا الباحث المحقق الدكتور يحيي الجبوري عرضتها لا ثقة مني بكل ما جاء فيها ولكن من عادتي عندما أعجب بكتاب أحب أن أشارك مؤلفه أو محققه أو جامعه مشاركة تدل على اهتمامي بذلك الكتاب ، وتقديري لعمل من ينسب إليه ، وللدكتور الجبوري الاكبار والتقدير على جهوده الموفقة في جمع شتات شعرنا القديم .





ديوان أبي دهبل الجمحي*

أبو دهبل وهب بن زمعة الجمحي القرشي من مشاهير الشعراء الإسلاميين عني المتقدمون بجميع شعره وروايته، وقد وصل إلينا ديوانه برواية أبي عمرو الشيباني حققه الأستاذ عبد العظيم عبد المحسن في جامعة البصرة، ونشر سنة ١٣٩٢[١]، ولشعراء الحجاز في القرن الحادي عشر الهجري عناية بشعره، فقد عارض قصيدته الميمية منهم علي بن معصوم صاحب السلافة وأحمد الجوهري وغيرهما[٢] وسنوردها كاملة، وهو يصف بها رحلته من مكة إلى وادي البرك، وقد بالغ في وصف ناقته وسرعتها في قطع المراحل مبالغة دفعت أحد من سمع ذلك الوصف أن يقول: ماكنت إلا على الريح ؟!

فقال: يا ابن أخي إن عمك إذا هَمَّ فعل، وهي العجاجة أما سمعت قول أخي بني مُرَّة:

إذا أقبلت قُلت مشحونةً ... أقلَّتْ لها الريح قِلْعاً جَفُولا
وإن أدبرْت قلْت مذعورة ... من الرُّمْدِ تَتبع هيقاً ذمولا
فمرت على كُشُبٍ غدوة ... ومرتْ فُويق أرِيكٍ أصيلا

أما القصيدة فهي:

ألا علق القلبُ المتيم كلثما ... لجوجاً ولم يلزم من الحبّ ملْزَما
خرجتُ بها من بطن مكة بعدما ... أصات المنادي للصلاة واعتما
فما نام من راعٍ ولا ارتدَّ سامر ... من الحي حتى جاوزت بي (يلملما)
ومرتْ ببطن (الليِّث) تهوى كأنها ... تُبادر بالإدلاج نَهْباً مقسَّما

(*) مجلة «العرب» — المجلد التاسع — ص ٢٩٨.

(١) أنظر «العرب» ص ٧٢٠ س ٧.

(٢) أنظر «نفحة الريحانة» ج ٤ ص ٣٣٠، «سلافة العصر» ص ٢٥٢ «وفوائد الارتحال» ١٤٢/١.

وجَازَتْ على (البَزْواء) والليل كاسرٌ جناحين بالبزواء وَرْداً وأدهما
فما ذرَّ قرنُ الشمس حتى تبينت بـ (عُلَيبَ) نخْلا مشرفاً ومُخَيَّمَا
ومرت على أشّطان (دوقة) بالضحى فما خزرت للماء عيناً ولا فَماً
وما شربتْ حتى ثَنَيْت زِمامها وخفت عليها أن تُحَزَّ وتُكلّما
فقلت لها : قد تِعْتِ غيرَ ذميمةٍ وأصبح وادي (البِرْك) غيثاً مديَّما

والمواضع المذكورة فيها هي :

١ ـــ يلملم : وهذا وادٍ لا يزال معروفاً ، وهو محل ميقات حجاج اليمن .

٢ ـــ اللِّيث (بكسر اللام) وادٍ عظيم ينحدر من تهامة ويصب في البحر وعند مصبه ميناء معروفة بهذا الإسم .

٣ ـــ البزواء : وقد وقع الذين تعرضوا لتحديد هذا الموضع في الخلط بين ما ذكر أبو دهبل هنا ، وبين موضع آخر يدعى البزواء أيضاً يقع بين رابغ وبين بدر ، في الطريق إلى المدينة ، ولم يلاحظوا أن أبا دهبل يصف سفره من مكة نحو الجنوب ، فهذه البزواء جنوب مكة بعد الليث وقبل عُلَيبَ .

٤ ـــ عُلَيب : بضم العين المهملة واسكان اللام بعدها ياء مفتوحة ، فباء موحدة ، وادٍ ينحدر من السراة حتى يصب في البحر مخترقاً تهامة ، ولا يزال معروفاً .

٥ ـــ دوقَةُ : ما أكثر ما جنى التحريف والتصحيف على هذا الاسم بحيث أصبح دومة ، ودوحة ، وروقة ، ورونق . ولا أدري لِمَ اختار المحقق الفاضل لديوان أبي دهبل كلمة (دومة) وفسرها بأنها من قرى غوطة دمشق وذكر تحريف ما عداها[1] ولم يذكر دَوْقة ـــ بالدال المهملة بعدها واو ساكنة فقاف فهاء التي هي الصواب ، مع أنها لا تزال معروفة . إنها واد من أشهر أودية تهامة ينحدر من السراة متجهاً صوب الجنوب الغربي حتى يخترق تهامة ويفيض في سهل منبسط فيما بين اللّيث وبين الأحْسبة ، ويقابله

(١) أنظر عن هذا التصحيف «الأغاني» ١٠٦/٣ و«نفحة الريحانة» ٣٣٤/٤ و«ديوان أبي دهبل» ١٠٨.

في البحر جزائر صغيرة منها جزيرة السِّرين ، ويقع وادي دوقة هذا فيما بين خطي الطول ٥٥/ ٤٠ْ ، و١٥/ ٤١ْ وبقرب خطي العرض ٣٥/ ١٩ْ و٠٠/ ٢٠ْ .

٦ ـــ البِرْك : بكسر الباء واسكان الراء بعدها كاف ـــ وهذا من الأودية التّهامية وبقرب مصبه في البحر ميناء بهذا الاسم ، (بقرب خط الطول ٣١/ ٤١ْ وخط العرض ١٤/ ١٨ْ) ويقع جنوب البرك على مقربة منه وادٍ صغير يُدْعَى ذَهْبان ذكره أبو دَهْبل في قصيدة أخرى ، كما ذكر مواضع أخرى كثيرة لا يزال أكثرها معروفاً ، منها بيش ، جازان الجحفة ، الحجون ، حضن ، حلي ، دهلك ، ركك ، رمع ، سردد ، سهام ، عسفان ، المهجم ، نجران ، يأجج وغيرهما . وقد نعود إلى الحديث عن هذه الأماكن في فرصة أخرى .

وتحسن الإشارة الى أن جُلَّ المواضع التي ذكرها أبو دهبل في شعره تقع في تهامة جنوب مكة في المخلاف السليماني وما يقربه من أطراف اليمن ، لأن الشاعر كان صديقاً لعبدالله بن عبد الرحمن بن الوليد المخزومي القرشي المعروف بالهبرزيّ ، وبالأزرق ، كثير المدح له ، وكان عبدالله والياً لعبدالله ابن الزبير على الجند ومخاليفها ، وقد مات عبدالله في عُلَيبَ فرثاه أبو دهبل بقوله :

لقد غالَ هذا القبرُ من بطن عُلَيبٍ ... فتى كان من أهل النَّدى والتكرُّمِ
فتىً كانَ فيما ناب يوما هو الفتَى ... ونِعْمَ الفتى للطارق المتيمِّمِ
سقى الله أرضاً أنت ساكن أرضها ... سحاب الغوادي من سَحيل ومُبْرَمِ [١]

وبلغ من وفاء أبي دهبلٍ لممدوحه هذا أن أوصى أن يدفن عنده [٢] . ولكثرة ذكر المواضع التهامية في شعره سبب آخر هو أنه كان منصرفاً عن بني أُمية فلما حج سليمان بن عبد الملك أمر باحضاره فلما حضر قال له أنت القائل :

فتنةٌ يشعلها ورّادها ... حطبَ النار، فدعها تشتعلْ

---

(١) : «نسب قريش» ٣٣١ .
(٢) «الأغاني» : ١٦٥/٦ .

فـإذا مـا كـان أمْنٌ فائتِهِمْ   وإذا مـا كـان خَوفٌ فاعتزل

قال : نعم . قال : وأنت القائل :

يَدعون (مَرْوانَ) كيما يستجيب لهمْ   وعند مروان حار القومُ أو رقدوا

قد كان في قوم موسى قبلهم جَسَدٌ   عِجْلٌ إذا خار فيهم خورةً سجدوا

قال : نعم . قال أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا ؟! لا والله ولا كرامة ! ! فقال : يا أمير المؤمنين إن قوماً فُتِنُوا فكافحوكم بأسيافِهِمْ ، وأجلبوا عليكم بخيلهم ورَجِلهم ، ثم أدالكم الله منهم فعفوتم عنهم . وأنا إنما فُتنت فقلت بلساني ، فلم لا يُعفى عني ؟! فقال سليمان : قد عفونا عنك . وأقطعه قطيعة بجازان ، فقيل لسليمان : كيف أقطعته هذه القطيعة ؟! قال : أردت أن أُميته وأُميت ذكره بها[1] . ولئن كانت أوبئة تهامة وسكنى القرى والاشتغال بالحراثة مما يميت المرء كما قيل : (سكان الكفور كسكان القبور) فإن شعر أبي دَهْبَلٍ كان سبباً في حياته وحياة مواضع هناك ، لولاه لماتت.

ويظهر أن الشاعر وجد في تلك القطيعة ما شغل كل أمره ، حتى رأيناه يقول :

سَقَى الله (جازاناً) ومن حَل وَليهُ   وكلَّ مَسِيل من (سهام) و(سُردُدِ)

وأنتِي التي كلفتني (البِرْك) شاتياً   وأوردتنيـــه فـانظري أيَّ مورد

فواندَماً إذْ لم أعج إذ تقولُ لي :   تقدمَّ فشيعنا إلى ضحوة الغدِ[2]

ولهذا الشاعر صبوات ، ونزوات نفس ، أورد بعض أخبارها صاحب « الأغاني » أما هذه التهامية البركيَّة فلو لم نعرف من أخبارها سوى تعلق شاعرنا بهذه البلاد تعلقاً عاد عليها بطيب الذكر ، لكفي بأن نستمطر على جدثها وابل الرضوان . وطيب الله ثرى عالم الحجاز في عصره الزبير بن بكار القرشي (١٧٢/ ٢٥٦هـ) فقد تصدى لجمع أخبار ذلك الشاعر في أحد مؤلفاته ، فوصل الينا منها طرف صالح فيما أورده صاحب « الأغاني » وغيره من مؤرخي الأدب ، كما جمع شعره في مؤلف آخر ، وصل الينا كاملاً وقام بنشره المستشرق الطيب الذكر سالم الكرنكوي (F. Krenkow ١٢٨٩ — ١٣٧٢هـ) في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية (JRAS) سنة ١٩١٠م .

(١) « الأغاني » ٦/١٦٠ .

(٢) « حذف من نسب قريش » ٩٠ .

شعر
عبدالله بن الزَّبِيْرِ

(جمع وتحقيق الدكتور يحيي الجبوري — منشورات وزارة الاعلام العراقية الحلقة الـ ٣٠ من سلسلة كتب التراث ١٧٢ ص ط : دار الحرية للطباعة — بغداد ١٣٩٤/ ١٩٧٤ م) .

لم اجد في «شعر عبدالله بن الزبير الأسدي» ما يستهويني لقراءته سوى أمر واحدٍ ، هو أن جامعه ومحققه العالم الجليل الدكتور يحيي الجبوري أفضل عليّ بنسخة منه ، وعرفاناً بجميل فضله طالعتها كلها فكان ان وضعت في هوامش بعض صفحاتها ملاحظات رأيت في إبدائها تعبيراً عن موقع هذا الكتاب من نفسي ، واعترافاً بفضل مؤلفه الدكتور الجبوري .

ورأيت نشر تلك الملاحظات وهي (جهد المقل) كما قالوا — غير أن الحافز لإبدائها التعبير — بطريقة غير مألوفة — عما أحمله للدكتور الجبوري من تقدير في زمن أصبح الناس ينظرون إلى كل ما يبديه المرء حيال أي عمل لا يعتبر إطراءً ومدحاً نظرة استهجان . وكنت أود أن أجد في هذا الشعر ما يحفزني إلى عدم الخروج عن الموضع الذي ألفت البقاء فيه والتحدث عنه وهو ما يتعلق بتحديد أمكنة الجزيرة غير أن الشعر الذي قرأته لم أجد فيه ما يفسح لي المجال ، فالمواضع التي وردت فيه لا تتجاوز العشرة ، وكلها معروفة مشهورة ، ومردُّ هذا أنه عاش في العراق والشام بعيداً عن الجزيرة ، فهو عندما يتحدث عن بعض مواضعها يتحدث حديث الجاهل بها ، فهو يدعو يَثْرب جبلاً فيقول :

تصافى عبيدُ الله والمجدُ صفوة الـ ـحليفين ما أرسي ثبير ويثْربُ[1]

---

(٥) مجلة «العرب» المجلد التاسع — ص ٧٧٩ .

(١) الديوان ص ٥١ .

ولهذا كان حديثي — عن هذا الديوان — عاماً ، ملاحظات لا تنتظم في سلك واحدٍ .

١ — الاستشفاء بدماء الشجعان من داء الكلب : وفي شعر ابن الزبير هذا — وفي غيره — ذكر هذه العادة التي كانت شائعة عند العرب منذ العهد الجاهلي في نجد إلى عهد قريب ، قال[1] :

من خيْر بيتٍ علمناه وأكرمه ... كانت دماؤهم تشفي من الكلب

وأقول : لقد بقيت هذه العادة معروفة في نجد إلى ما بعد انتشار الدعوة السلفية ، فقد وجهت أسئلة إلى العلماء منها سؤال وجه الى الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبي بطين (حول الاستشفاء بدم البرزاني — من البرزان قبيلة معروفة — من داء الكلب ، فأفتى بحرمة ذلك لأن الدم نجس ، والنجس لا يجوز التداوي به ، ومثل هذا سؤال وجه للشيخ عبدالله بن عقيل من قضاة الرياض في العام الماضي ، ونشر جوابه في جريدة « الدعوة » .

٢ — الوهط : وفي حاشية لأستاذنا المحقق الجليل[2] عن عمرو بن العاص : (وضيعته المعروفة بمصر الوهط ، قيمتها عشرة آلاف درهم) والمصدر « مروج الذهب » للمسعودي ، ويظهر أن في الجملة سقطاً فالوهَطُ ليس في مصر بل من أشهر بساتين الطائف ، ولا يزال معروفاً — وانظر عنه « الارتسامات اللطاف » للأمير شكيب ارسلان و« ما رأيت وما سمعت » لأستاذنا أبي الغيث خير الدين الزركلي .

٣ — جدعاء لا جدعان : في هامش ص ٩٦ : (مالك بن جدعان وثعلبة بن جدعان) صواب جدعان : جدّعاء — كما في كتاب « جمهرة النسب »[3] لابن حزم — الطبعة الثانية وغيره من كتب النسب .

---

(١) « الديوان » ٦١ .

(٢) ص ٧٩ .

(٣) ص ٣٩٩ .

٤ ــ جَوٌّ : قال الدكتور : (جَوٌّ. اسم اليمامة في الجاهلية ، وموضع في ديار بني أسد وفي ديار طيء)[١] . وأقول : تصحيف (خو) الموضع الذي في بلاد بني أسد تصحيف قديم ــ أي قبل تسعة قرون ! ! في كتاب «فرحة الأديب»[٢] ما نصنه :

(قال ابن السيرافي : قال زهير :

لئن حللتْ بِجَوٍّ في بني أسَدٍ   في دِيْن عَمْروٍ وحالتْ بيننا فدكُ

قال : الجوُّ الوادي . والدين : الطاعة . وعمرو بن هند : الملك .

قال (س) : هذا موضع المثل .

تلمَّحتْ بكلام كنتُ أرفعُها   عنه ، وجاءت سُلَيمى بالدَّقارير

كثيراً ما يصحف ابن السيرافي في أشياء ظاهرة ، لا يصحف فيها صبيان المكاتب ، وذلك كقوله : لئن حللت بجوٍّ في بني أسد ــ بالجيم المعجمة واحدة من تحت ، ثم تفسيره له بالوادي ، وقد أخطأ في هذا أيضاً .

والصواب : لئن حللتَ بخوٍّ ــ بالخاء المعجمة من فوق ــ وخوٌّ : وادٍ لبني أسد ، وثم قتل عتيبة بن الحارث بن شهاب . وأنشدنا أبو الندى لرامة بنت الحصين الأسدية ، وكانت جاهلية ، كما زعم ، وذكرت خوًّا وبلاداً أخرى من بلاد بني أسد :

أُلامُ على نجدٍ ، ومن يكُ ذا هوى   بنجدٍ يهجهُ الشوق شتى نزائعُه

تهجه الجنوب حين تغدو بنشرها   يمانيـة والبرقُ إن لاح لامِعُه

ومن لامنــي في حب نجدٍ وأهله   فليم على مثلٍ وأوعبَ جادعه

لعمرك لا الغمران غمرا مقلدٍ   فذو نجب غلانـه ودوافعـه

وخوٌّ إذا خَوٌّ سقتـه ذهابهْ   وأمرع منـه تينُـهُ وربائعه

وصوتُ مكاكي تجاوب موهناً   من الليل من يأرق له فهو سامعه

أحب إلينا من فراريج قريةٍ   تزاقى ، ومن جيٍّ تنقُّ ضفادعه

---

(١) ص ١٠٦ .

(٢) مخطوطتي المنسوخة عن مخطوطتي دار الكتب المصرية ص ٦٨ .

والتينُ[1] : جبل لبني أسد ، وأنشد غيره :

أرقني الليلة برق لامِعُ من دونه التينان والربائعُ
فواردات فقنا فالنائعُ ومن ذرى رمان هضب لامع

وقال العوامُ بن عبد الرحمن يذكر التينين فثناه[1] :

أحقّاً ذرى التينين أن لست رائياً قلالكما إلا لعينيَّ ساكب

وأُضيف : أنظر عن خو كتاب « بلاد العرب »[2] .

٥ — رَبّان : وفي حاشية ص ١٠٧ : (جرم بن زيان بن حلوان بن عمران بن الحاف بطن من قضاعة) وتصحيف (رَبَّان) هذا منتشر في كثير من المؤلفات ، مخطوطها ومطبوعها ، غير أن المتقدمين ضبطوه فقال ابن حبيب[3] : (وفي قُضاعة رَبّان — بالراء مفتوح مشدد — بن الحاف بن قضاعة) ومثل هذا في « الإيناس »[4] للوزير المغربي وزاد : (ربَّانُ هذا هو عِلاف ، كان أول من نَحَت رحْلاً فركبه فنسب الرحال إليه فقيل : العِلافية) .

٦ — عُودٌ لا عَوذ : قال الأستاذ الجليل[5] في شرح قول الشاعر :

ألا أبْلِغْ عبيدَ الله عني فإنّني رمَيْتُ ابنَ عَوْذٍ اذْ بدتْ لي مقاتِلُهْ

(عبيد الله هو ابن زياد . ابن عَوْذٍ : كنية عبد الرحمن بن أم الحكم ، كما يدل السّيَاق ، كان على الكوفة سنة ٥٨ بعد عزل الضحاك بن قيس ، وعُزِل عنها سنة ٥٩ هـ) . لكن جاء في « فرحة الأديب »[6] قال ابن السيرافي : قال ابن الزبير الأسديُّ :

(١) أنظر « العرب » س ٧ ص ٧٩١ .
(٢) ص ١٤٠/١٣٦/٧٣/٤٦ .
(٣) : « مختلف القبائل ومؤتلفها » ص ٧ .
(٤) ص ٨١ — مخطوطة المتحف البريطاني .
(٥) ص ١١٨ .
(٦) ص ٩٢ مخطوطتي المنقولة عن نسختي دار الكتب المصرية .

أبـلـغ يـزيـد بـن الخـليـفـة أنـني لـقـيتُ مـن الظلم الأغَرَّ المحجَّلا
فلـو أَنَّـهـا إيّـاك عضَّتْك مثلُها جررتُ على ما شئت نَحْراً وكلكلا
وكنتُ أخاك الحقَّ في كل مشهدٍ أَلَـمَّ، ولم أغـلـو بـلـحمي مِرْجَلا

ذكر ابن السيرافي — في تفسير هذه الأبيات — شيئاً من الاعراب واللغة لا يجدي على قارئه طائلاً . وكنت قد ذكرت لك أن مثل هذا الشعر إذا لم تُعْرَف قصته لم يُعرف معناه ، بَتَّةً ، هجا ابن الزبير بهذا الشعر عبد الرحمن بن عبدالله بن ربيعة بن حبيب الثقفي . وأمه أم الحكم بنت صخر ابن حرب بن أمية ، وكان على الكوفة ، وكان سبب هجائه إياه أن أُناساً من بني علقمة بن قيس بن الأعشي بن بُجْرَة قتلوا ابن عَمٍّ لابن الزبير من ولد الأشيم بن الأعشي ، فضمن عبد الرحمن لابن الزبير ديتين على القوم ، وأَبَى أن يُقيده ، فغضب عبدالله وأبى أن يقبل ، فخرج إلى يزيد بن معاوية ، وكان يزيد يبغض عبد الرحمن ، فبعث عَبْدُ الرحمن في طلبه فَرُدَّ ، فهرب منه ، فأخذ نساءه فحبسهُنَّ ، وهدم داره فقال ابن الزبير :

أبـلـغ يـزيـد بـن الخـليـفـة أنـني لـقـيتُ مـن الـظـلم الأغَرَّ المحجلا
لـقـيتُ بـقـيَّـاسٍ مـن الأمر شقَّة ويـومـا بِـجَـوٍّ كان أعنى وأطولا
وكنتُ أخاكَ الحقَّ في كل موطن ألـمَّ ولم أغـلـو بـلـحـمي مِرْجلا
ولـو أنها إيَّـاك عضَّتك مـثـلـهـا جررتُ على ما شئت نَحْراً وكلكلا
وكـنـتُ يمـيـنـاً في شمالك اينما أشـارت بـهـا كـفَّـاك حـتـى تَزَيَّلاَ
وإن ابـن عُودِ للبزيخ أناخ بي بِـجَـوٍّ لقد أثويت مثوى مُضَلَّلاَ

قيل لأم الحكم — وهي عند عبدالله — : تزوجت هذا الثقفي وأنتِ أنتِ ، وهُوَ هُو؟! فقالت زوجٌ من عُود ، خيرٌ من قُعُود .

٧ — القطار : وقال في شرح البيت :

وأصـبـحَ لما أسـلـمـتـه حـبـالهمْ ككلب القَطار حُلَّ عنه جلاجلهْ

(القطار :[1] القطعة من الإبل ، يلي بعضها بعضاً) . انتهى . قد يكون هذا صحيحاً ، ولكن وجه الإشكال الصلة بين الكلب والإبل ، فالكلب لا يقتنيه — في الغالب — من البدو إلا أهل الغنم ، وقلَّ أن يوجد عند أهل الإبل ، ثم إن الإبل التي تقطر هي تُعَدُّ للارتحال للتجار أو الحجاج جماعة ، وأية علاقة بين هؤلاء وبين الكلاب ؟ ومن ألفاظ الشتم عندنا في نجد : (الكلب القطري) ولا أستبعد وجود صلة بين الكلمتين .

وبعد نشر ما تقدم قال لي الأمير محمد بن فهد بن عبدالله بن جَلَوِيّ آل سعود أمير الأحساء حين زرت تلك البلاد سنة ١٣٩٨ : أنه يرى أن القطار هُنَا بيوت الْبَدْو ، فقد اعتادوا بناءها متقاطرة ، كل واحدٍ بجوار الآخر ، ومعروف أن البدو يقتنون الكلاب لحماية بيوتهم .

٨ — الأحبوش : وقال في شرح البيت :

تضيِّفهُ غسانُ يَرجونَ سَيبهُ ... وذو يمنٍ أحبوشهُ ومقاولِه

(الأحبوش[2] : جماعة الحبش وهم السود) . لم تتضح لي مناسبة ذكر الاحبوش مع المقاول الذين هم الملوك ، وتبادر إلى ذهني أنه يقصد أن عطاء الممدوح شمل الملوك ومن عداهم كقول زهير :

يا حارُ لا أُرْمَيَنْ منكم بداهيةٍ ... لم يلقها سوقةٌ قبلي ولا مَلِكُ

فالسوقة هنا من عدا الملوك ، وكذا الأحبوش إذ كلمة (حبش) من مشتقاتها التحبش بمعنى التجمع ، ومنه الأحابيش . وفي «التاج» بعد إيراد قول العجاج :

كأن صِيرانَ المها الأخلاطِ ... بالرمل أحبوشٌ من الأنباط

وقيل : هم الجماعة أياًّ كانوا .

---

(١) ص ١١٨ .
(٢) ص ١٢١ .

٩ ــ الكلاب : وفي شرح البيت :

ترى الجند والأعراب يغشون بابه　　كما وردتْ ماءَ الكلاب نواهله

(الكلاب[١] : ماء بين الكوفة والبصرة . وقيل : ماء بين جبلة وشمام . على سبع ليال من اليمامة ، وفيه كان الكلاب الأول والكلاب الثاني من أيامهم المشهورة) والمصدر «معجم البلدان» والكلام ملخص منه تلخيصاً أوقع في الوهم ، ففي أي الموضعين كان الكلاب الأول والكلاب الثاني ؟!

إذ هما يومان متغايران وقعا في موضعين متغايرين أيضاً ، فالكلاب الأول وقع في الماء الذي بين البصرة والكوفة وهو يبعد عن اليمامة سبع ليالٍ .

والكلاب الثاني وقع في الوادي الواقع بين جبلة وشمام هو وادي الكلاب المنحدر من جبل ثهلان في عالية نجد .

١٠ ــ العَرُوض : وفي شرح البيت :

أيا راكباً إما عرضتَ فبلغَنْ　　كبيرَ بني العوَّام، إن قيل : مَنْ تَعْني؟

(عَرَضْتَ : أتيت العَرُوض ، وهي مكة والمدينة) لعلَّ عرضت : أشمل من أتيت العروض ، وأن المعنى : إما عرضت لي لأبلغك الرسالة ، في الشعر من قول عبد يغوث الحارثي ــ في يوم الكلاب الثاني[٢] :

فيا راكباً إمّا عرضْتَ فبلغا　　نداماي من نجران أن لا تلاقيا

ــ ونجران ليس من العروض .

وأم عروة الرحَّال تقول في رثائه ــ أو لبيد بن ربيعة ــ فيه :

وأبْلغْ إنْ عرضتَ بني كلاب　　وعامِرَ، والخطوب لها موالي

بِأنَّ الوافدَ الرحّال أمْسَى　　مُقِيماً عند تيمنَ ذي طَلَالِ

---

(١) ص ١٢٢ .

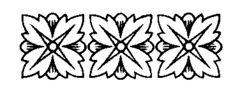
(٢) ص ١٣٣ .

١١ ــ الرُّكن : وفي شرح البيت[1] :

تُحَدِّثُ من لاقيتَ أنك عائِذٌ وصَرَّعْتَ قتْلى بَيْن زمزمَ والرُّكْنِ

(زمزم : بئر مكة المكرمة . الركن : الركن اليماني من أركان الكعبة المشرفة) . لا أرى وجها لتخصيص الركن اليماني بين أركان الكعبة الأربعة ، إلا إذا أريد الفضل فالركن الذي فيه الحجر الأسود أولى وهو الذي يلي زمزم ، واليه أقرب .

هذا ما أردت أن أعبر به عما أحمل للأستاذ الجليل الدكتور يحيي الجبوري من وُدٍّ وإكبار ، اعترافاً بفضله في سبيل نشر التراث وتحقيقه . وله أطيب تحية .



(١) ص ١٣٤ .

ديـوان جميـل(*)

وامتعتها لحظات بمطالعة هذا الشعر السهل السمح لجميل بن معمر العذري الذي عاش في القرن الأول الهجري ، وعرف بجميل بثينة العذرية ، وبنو عذرة كانت منازلهم في شمال الحجاز إلى أطراف بلاد الشام .

وقد أخرج الدكتور حسين نصار هذا الشعر في طبعته الثانية على درجة من الصحة والاتقان والكمال قل ان نجد مثلها في كثير من دواوين شعرائنا القدماء مما نشر ، وليس بدعاً من علامة واسع الاطلاع عميق المعرفة كالدكتور نصار مثل هذا العمل ، وهو المتمرس فيه حقبة طويلة من الدهر بما أبرز لنا من نفائس تراثنا القديم .

وكلمتنا حول هذا الديوان لا تعدو المشاركة في البحث مشاركة نريد منها الاعتراف بفضل المحقق الجليل وتَجَاذُبَ الرأي حول هذا الديوان في أمور لا تمس الجوهر ، وهي تنحصر في أمرين :

١ ــ محاولة التثبت من صحة نسبة الشعر بطريقة موطن الشاعر ، وهذا أمر رأينا الأستاذ الجليل يشير إليه في آخر الديوان عند تحديد المواضع .

٢ ــ والثاني حول تعريف القدماء وتحديدهم للأمكنة ، والمحقق الفاضل عول عليهم في تعريف المواضع التي أوردها في آخر الديوان بعنوان : (كشاف بأسماء المواضع المذكورة في شعر جميل وتحديدها) . وحسن فعل إذ لا ممدوحة في هذا دون الرجوع إلى أقوال المتقدمين . وكلمتنا تنحصر في هذين الأمرين ، وهي كلمة كما قلنا لا تعدو جانب المباحثة التي يقصد من ورائها الوصول إلى الحقيقة فلقد عرض لنا أثناء مطالعة ما كتبه العلامة الجليل الدكتور حسين ما دفعنا إلى مشاركته البحث .

(*) مجلة العرب ــ المجلد الثاني ــ ص ٩٣٩ .

١) ذوو الأجفر

أورد الدكتور هذا النص وهو منقول عن القدماء : (ذو الأجفر موضع بين فيد والخزيمية بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخاً نحو مكة) .

وأقول ذو الأجفر المحدد هنا لا يزال معروفاً باسم (الأجفر) وفيه قرية وهو تابع لإقليم جبلي طيء المعروف الآن باسم (المنطقة الشمالية) في المملكة العربية السعودية ويقع على خطِ العرض ٢٨َ ، ٣٧ْ وعلى خط الطول ٣ ٤٣ْ شرقاً . ويقع بالنسبة إلى فيد في الشمال الشرقي ، إذ فيد يقع على درجة العرض ١٠َ ، ٢٧ْ ودرجة الطول ٣٠َ ، ٤٢ْ . والمسافة بينه وبين فيد لا تتجاوز ٦٠ كيلاً (كيلومتر) وهذا يقارب ٤٠ ميلاً ، ومعروف أن الفرسخ ٣ أميال فالمسافة كما حددها المتقدمون = ٣٦ × ٣ = ١٠٨ ، وهي لا تتفق مع الواقع ، يضاف إلى هذا أن كثيراً من المتقدمين يفهم كلامهم أنه بعد فيه إلى مكة ، والأمر بعكس ذلك .

أما بيت الشاعر ونصه :

أتنسين أيامنا باللوى   وأيامنا بذوي الأجفر

فيفهم منه أنه لا يقصد الأجفر الذي عرفه الأستاذ الدكتور ، وأين بلاد بني عذرة الواقعة غرب الأجفر بميل نحو الشمال بمئات الأميال عنه ، يظهر أنه قصد مكانا موصوفاً لا علماً محدداً .

٢ ــ أَوْل :

قال الدكتور في تعريفه : (واد بين الغيل واكمة على طريق اليمامة إلى مكة ، وواضح بعد هذا الموضع عن ديار عذرة ولذلك يبدو أن ياقوتا على حق في نسبة البيت إلى نصيب) . وأقول : أول تردد اسمه كثيراً في الشعر القديم وهو في بلاد غطفان ، ولا يزال معروفاً وفيه قرية ذات نخل ، ويقع شرق حرة فدك (الحائط) ، وهو جبل عظيم فيه واد يسمى بهذا الاسم أيضاً ويقع في الطريق بين ضرغد وبين الغزالة ، على خط الطول ٤٠َ ، ٢٦ْ وخط العرض الشرقي ٤٥َ ، ٤٠ْ .

وهذا الموضع يبعد كثيراً عما أورد الدكتور والذي نقل انه يقع بين أكمة والغيل . ان ذاك يقع في منطقة تعرف قديماً باسم (الفلج) بفتح اللام ، وتعرف الآن باسم الأفلاج في جنوب عارض اليمامة ، وهو لا يقع على طريق حاج اليمامة لأنه يقع في الشرق ، والحاج يتجهون غرباً . أما الموضع الأول فهو لا يبعد عن بلاد بني عذرة لوقوعه في بلاد غطفان وهم مجاورون لعذرة .

٣ — بنيـان :

قال الدكتور : (موضع لم يحدده البكري وقال ياقوت قرية باليمامة ينزلها بنو سعد . وطبيعي أنّ هذه القرية بعيدة عن ديار عذرة ويبدو أنها بضم الباء كما يستنتج من كلام ياقوت) .

وأقول : أرى أن الاسم مصحفاً ولا أدري ما هو ولكن القرية التي ذكر ياقوت أنها من منازل بني سعد لا تزال معروفة ، وهي (بنبان) بالباء المفتوحة بعدها نون ساكنة ثم باء موحدة تحتية مفتوحة ، بعدها ألف ثم نون ، هذا هو الضبط الصحيح لاسم هذه القرية الواقعة شمال مدينة الرياض بمسافة تقارب الـ ٤٠ كيلاً في واد يطلق عليه هذا الاسم ، وقد ورد ذكر هذا الاسم كثيراً في الشعر ، إلا أنه جاء في كثير من كتب اللغة والأدب والمواضع مصحفاً تصحيفات مختلفة .

٤ — قـرَن :

جاء تعريفه : (جبل هو ميقات أهل نجد في الحج) .

وأقول الميقات هو قرن باسكان الراء ويسمى قرن المنازل وورد في الشعر كثيراً ، أما ما ذكره جميل فهو محرك الراء وأراه موضعاً آخر غير الميقات .

٥ — قـوّ :

جاء تعريفه : (واد بعقيق بني عقيل على مقربة من المدينة) .

وأرى في هذا التعريف المنقول عن البكري أكثره ، أرى فيه غلطاً . والبكري —

رحمه الله — لا يصح التعويل على كتابه ما لم يؤيده مصدر آخر لكَثرة التصحيف والتحريف فيه ، وقوّ هذا يقع في شرق نجد في شماله وعقيق بني عقيل يقع في أقصى جنوبه وشتان بين الموضعين . عقيق بني عقيل يعرف الآن باسم واد الدواسر ، ويعرف قديماً باسم عقيق تمرة أيضاً ، وهي قرية لا تزال معروفة فيه ، وهذا بخلاف عقيق المدينة وبخلاف العقيق الكبير الذي منه يحرم أهل العراق للحج . والعقيق كما هو معروف ليس وادياً واحداً بل أودية معروفة .

٦ — المحصَّب :

(المحصب موضع فيما بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب وحده من الحجون ذاهباً إلى منى وهو موضع رمي الجمار في الحج) .

هذا التعريف مأثور عن القدماء ولكنه خلط بين موضعين كل واحد منهما يسمى المحصب ، ويظهر أن اتصافهما بصفة واحدة هي وجود الحصباء في كل واحد منهما مع تقاربهما هو الذي سبب الخلط بينهما . ان المحصب يقع قديماً بطرف مكة في أعلى واديها من الحجون فصاعداً ، وهو الموضع الذي نزل فيه الرسول ﷺ والذي ورد فيه رأي بعض العلماء عن التحصيب . أما الموضع الثاني فهو محصب منَى الواقع في أسفله الموالي لمكة وفيه الجمرة التي ترمى ، وورد هذا في الشعر قديماً ، ومعرفة الموضعين تغني عن الاستشهاد بأقوال المتقدمين .

٧ — ورقـان :

(خففه جميل باسكان الراء : جبل أسود بين العرج والرويثة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة قال عرّام بن الأصبغ : ومن صدر من المدينة مصعداً فأول جبل يلقاه من على يساره ورقان وهو جبل عظيم أسود كاعظم ما يكون من الجبال ينقاد من سيالة إلى المتعشىّ) .

أقول : ينطق هذا الجبل الآن كما ورد في شعر جميل باسكان الراء لا بكسرها كما ضبطه كثير من المتقدمين ، قال جميل :

يا خليليّ إن بثنة بانت   يوم ورْقان بالفؤاد سبيا

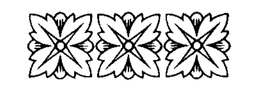
غير أن أهل تلك الجهات يخرجون القاف من مخرج قريب من مخرج الجيم ، فيظن السامع يقولون : (ورجان) وهكذا كتب في بعض المصورات الجغرافية ، وهم يكسرون الواو وهذا الجبل كما وصفه عرّام ، إلا أن التعريف الذي سقناه آنفاً فيه تناقض ، فأوله وصف موقع الجبل عن يمين المصعد من المدينة وآخره عن يساره ، ولكن التعريفين صحيحان ، فمن سلك مع الطريق المعروف في صدر الإسلام يجعل الجبل عن يساره ومن سلك مع طريق آخر يدعى طريق الماشي ومنه قدم الرسول ﷺ حين هاجر يجعله عن يمينه ويلتقي الطريقان في الجيّ بعد نزول القادم من طريق الماشي من ثنية الغائر ، ويتجهان إلى مكة . ومثل هذا الإيضاح لا بد منه لئلا يظن من لا يعرف الجبل عدم صحة التعريف المتقدم .

٨ — ينبع :

جاء تعريفها : قرية (عن يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى وعلى سبع مراحل من المدينة . انتهى التعريف — .

وأقول : ينبع بلاد واسعة تحتوي على قرى كثيرة أوضحناها في كتابنا عن «بلاد ينبع» وليس اسم قرية ، وينبع لا تزيد المسافة بينها وبين المدينة على أكثر من ثلاث ليال بسير الإبل لا سبع مراحل وأعتقد أن في التعريف المتقدم تحريفاً ممن نقل رسالة عرام قديماً . والأمر في وضوحه أضيق من أن يحتمل الاطالة .

وما هذه الكلمات اليسيرة سوى اشارات قصد منها البحث مع استاذنا العلامة الجليل الدكتور حسين نصار الذي خدم هذا الديوان خدمة جديرة بالتقدير والإعجاب .



ديوان الطرمّاح(*)

للأستاذ العلامة الصديق الدكتور عزة حسن اتجاه حميد في إحياء جانب من تراثنا ممثلاً في دواوين شعراء إسلاميين كتميم بن أبي بن مقبل وبشر بن أبي خازم الأسدي والطرماح وبعض الكتب اللغوية مثل كتاب «النوادر» لأبي مسحل الاعرابي ، وعمله هو عمل العالم المحقق المتعمق في بحثه ، ولهذا تجيء المؤلفات التي قام بتحقيقها على أقوى جانب من الدقة والصحة .

وبين أيدي القراء الآن آخر ما نشر محققاً ، وهو ديوان الطرماح بن حكيم الطائي ، وهذا الديوان قد نشره الأستاذ الطيب الذكر سالم الكرنكوي (المستشرق المعروف فريتس كرينكو) إلا أن الدكتور عزة وجد نسخة أوفى من مخطوطة كرينكو ، فاستعان بها على تحقيق الديوان وإعادة طبعه طباعة جيدة أكملتها فهارسها وحواشيها الوافية واضافاتها .

وقامت (وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد) في سورية بطبع الكتاب في سلسلتها (إحياء التراث القديم) فكان الحلقة العشرين في تلك السلسلة ، وجاء في ٦٩٤ صفحة مصدراً بمقدمة ضافية عن الشاعر وحياته وأغراض شعره ومصادر ديوانه في ٦٩ صفحة ، فكان بطبعته الأخيرة مصدراً من أهم مصادر دراسة الشعر الإسلامي ، ودراسة قبيلة طيء وصلتها بالقبائل الأخرى في ذلك العهد .

ولم أجد وسيلة للتعبير عن إعجابي بعمل الدكتور تعبيراً ذا فائدة شاملة خيراً من أن أقف معه وقفات قصيرة في مواضع يسيرة تتعلق بتحديد الأمكنة ، وفي غيرها أقف وقوفاً لم أرد منه سوى الاستفادة والاستزادة والتعبير عن عميق التقدير .

١ — ص ١٢ — ١٣ : أشار الدكتور إلى أن الطرماح حدث عن الحسين ابن علي كما ذكر ابن عساكر ، واستنتج من ذلك أنه ولد حول سنة ٥٠ ولكن الدكتور ذكر أن

(*) مجلة «العرب» — المجلد الثالث — ص ١٠٣١ .

الطرماح يطلق على رجلين من قبيلة واحدة أحدهما الطرماح بن عدي وهو الذي وفد إلى الحسن وله أخبار مع معاوية — كذا قال الدكتور ونضيف إلى هذا أن الطرماح بن عدي كان ممن آزر الحسين بن علي فقد ذكر ابن الكلبي في الجمهرة أن هذا هو الذي أخرج النفر المذحجيين إلى الحسين بن علي في الكوفة ينصرونه[1] .

وإذن فالطرماح الذي روى ابن عساكر انه حدث عن الحسين هو غير الشاعر .

٢ — ص ٩ — أشار الدكتور إلى أن عشيرة الطرماح : عمرو بن ربيعة هم سكان أجأ ، من الجبلين ، ومفهوم هذا ان بني عمرو بن ربيعة كلهم من سكان أجأ ، غير أن ابن الكلبي يرى أن الأجئين هم أبناء أمان بن عمرو بن ربيعة لا كلهم فهو يقول : وولد عمرو بن ربيعة بن جرول امانا ، وهم الأجئيون ، فولد امان بن عمرو مالكا ، منهم الطرماح بن حكيم بن نفر بن قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رُضَا بن أمان الشاعر ، وفد قيس بن جحدر على النبي (ص)[2] .

٣ — ص ٧ — البطاح أرض في بلاد بني تميم ، والمصدر «معجم ما استعجم» للبكري .

ويحسن أن نقف هنا وقفة حول تحديد الأمكنة عند المتقدمين . إن البكري — رحمه الله — عالم جليل ، ولكنه كان يحدد مواضع الجزيرة وهو يعيش في بلاد الأندلس ، معتمداً على مصادر ومستنتجاً استنتاجات ، وبعض تلك المصادر لا تخلو من التصحيف والتحريف الذي لم يستطع هذا العالم الجليل إدراك وجه الصواب منه واستنتاجاته — رحمه الله — لا تكون صحيحةمن كل وجه ، فقد يستنتج ان موضعاً ما للقبيلة الفلانية لحدوث وقعة تتعلق بها فيه ، كما فعل في تحديد البطاح هذا وليس في بلاد بني تميم ، ولم يكن يوماً من بلادها ، بل هو من بلاد بني أسد في القديم ، أما الآن فلا يزال معروفاً بقرب بلدة الرس في القصيم .

---

(١) نسب معد واليمن الكبير — نسخة الاسكوريال ص ١٧١ .

(٢) مختصر جمهرة النسب — الورقة ٣٦٣ نسخة راغب باشا في استنبول المعنونة خطأً باسم : «التبيين في نسب القرشيين» لابن قدامة .

٤ ـــ ص ٣٧ ـــ حرة ليلى وهي في نجد .

حرة ليلى حددها الهجري بقوله : (حرة بني سليم تبتديء من ذات عرق ورهاط ، ثم تنقطع بجبس عوال وراء تيب (تيأب) إلى قرب الطرف المنزل الذي قبل المدينة .

ثم تليها حرة النار ، وبينهما مقدار يوم ، تبتديء حرة النار من الشقرة الى المخيض واد يفصل بين حرة النار وحرة ليلى مقدار ثلاثة أيام .

ثم تليها حرة ليلى ، وتنقطع بجنفاء من ضغن عدنة ، وخيبر بحرة النار ، وعُيَيْنات وأعراض أشجع ، وأعراض ثعلبة وبه الفرس[1] انتهى . أي أن حرة ليلى هي ما يعرف الآن باسم حرة هُتيم المتصلة بحرة خيبر ، والواقعة غرب الجبلين ، والتي من أمكنتها ضرغد وضريغد ، فهي غير معدودة في نجد بل هي قسم من حرار الحجاز ، والدكتور عول على البكري ـــ رحمه الله ـــ .

٥ ـــ ص ٥٢ ـــ رضوى جبل عظيم بالمدينة .

هذا القول قال به كثير من المتقدمين ، ولكنه غير صحيح ، ويحسن أن أورد قصة طريفة حدثت لي لها صلة بتحديد هذا الجبل ، وأوردتها في كتابي «بلاد ينبع»[2] عن ذكرياتي في مدرستها قلت : (أسند الى تدريس المحفوظات ، فكان أول درس قمت به أمام الطلاب في السنة السادسة شرح أبيات من قصيدة أبي العلاء المعري المعروفة :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل؟ عفاف، واقدام، وحزم، ونائل

وكنت قد راجعت شرح بعض مفرداتها ومنها البيت التالي :

يهم الليالي بعض ما أنا مضمر ويثقل رضوى دون ما أنا حامل

فكان مما قلت في أول يوم دخلت المدرسة ، وفي أول درس القيته : رضوى جبل قريب من المدينة ، سهل ، ترقاه الابل ، ولعلي رجعت في ذلك إلى أحد شروح

---

(١) أبو علي الهجري ص ٢٣١ .

(٢) ص ١٣٤ .

«مقامات الحريري» فما كان من الطلاب عندما سمعوا هذا الكلام مني إلا أن قالوا بصوت واحد : لا يا أستاذ ها هو جبل رضوى أمامك ـــ وكانت النافذة مفتوحة ـــ وليس قريباً من المدينة ولا تستطيع الإبل ان ترقى أعلاه ! !

سررت بهذا التصحيح ، وشكرت الطلاب ، وبينت لهم أن أكثر الذين يحددون المواضع في بلاد العرب كانوا يعتمدون على النقل ، وما كانوا يكتبون عن مشاهدة ، فجاءت كتاباتهم ناقصة خاطئة ، وحمدت لتلاميذي موقفهم اهـ .

إن رضوى تشاهد من ميناء ينبع ، وهي بعيدة من المدينة .

٦ ـــ ص ١١٨ ـــ الطائفي النخل المنسوب إلى مدينة الطائف ويلاحظ :

١) أن الطائف بلاد باردة ولا يوجد فيها نخل .

٢) أن الجملةوردت في شرح (كصقب الطائفي المكسّح) .

والصقب كما هو معروف : العُود الطويل ، والمُكسَّحُ : المقشر وإذن فالقول بأن الشاعر قصد عود النخلة خاصة يرده عدم وجود نخل في الطائف ، ويرده أيضاً أن عيدان النخل ، لا تقشر فلعل الصواب : عود من الأشجار العظيمة التي تنبت في أعالي أودية الطائف وجبالها ، ويتكون منها اخشاب عظيمة ، وليست نخلاً .

٧ ـــ ص ١٦٤ : زغوان والكدد من نواحي أوارة فيما يبدو ، وأوارة ماء لبني تميم .

ومفهوم البيت أن زغوان والكدد اسما رجلين ممن قتل في يوم أوارة ، وأوارة جبل لا يزال معروفاً بقرب الكويت ويسمى الآن (وارة) بحذف الهمزة تسهيلاً ، وقصة يوم أوارة حينما نذر الملك أن يسيل الدم من أعلى أوارة إلى أسفله تدل على أن المقصود جبل .

٨ ـــ ص ١٦٨ : المَرُّوت واد بالعالية بين ديار بني قشير وديار تميم .

هذا من تعريفات المتقدمين وهو صحيح لو كانت القبائل لا تزال في مساكنها ، أما الآن فإن أكثر تحديدات المتقدمين للأمكنة أصبحت غير واضحة ، وسيان وجودها وعدمها ، عندما نريد الايضاح التام ، والمروت أرض واسعة ، وليس وادياً بالمعنى الدقيق ، بل منبسط من الأرض يحد شرقاً بنفود قُنيفذة ، وغرباً بمرتفعات العِرْض ـــ عرض القويعية ـــ المعروف قديماً باسم عرض باهلة أو عرض شمام ـــ وجنوباً بنفود

الدّحي ، وشمالاً ، بإقليم الوشم ، وهو في وسط نجد وليس في عاليتها .

٩ ــ ص ١٨٠ ــ فلج موضع في بلاد مازن من تميم ، وهو في طريق البصرة إلى الكوفة .

فَلْجُ كان من بلاد بني مازن ، ولكنه ليس بين البصرة والكوفة ، بل كان يقع على طريق البصرة لا الكوفة إلى مكة ، وهو واد عظيم يخترق صحراء الصَّمّان ، ويتجه حتى يتصل بشط العرب بقرب جبل سنام ، ويعرف الآن باسم الباطن ، وفيه الحفر المعروف قديماً بحفر أبي موسى .

١٠ ــ ص ٢٢٤ : خُبّةَ اسم ماء ، والمصدر البكري ويظهر أن هذا الاسم من الأسماء التي تصفحت على البكري ، وما أكثرها ! وأن الصواب جُبّة بالجيم لا بالخاء ، وهو منهل في وسط الرمل الواقع شمال الجبلين ، والمعروف قديماً باسم رمل بحتر ، وكان مربّاً للوحوش . وأصبح الآن قَرْيَة .

١١ ــ ص ٣٥٩ : ذو قطن وحامل موضعان .

والذي فهمت من سياق البيت ان الشاعر يقصد القاطنين والسائرين ولا يقصد موضعين بعينهما ــ يضاف الى هذا أننا لا نجد تحديداً لهذين الاسمين ، باعتبارهما من أسماء المواضع إلّا بِتَمَحُّلٍ .

١٢ ــ ص ٤٠٢ : عكاظ موضع قرب مكة .

هذا التعريف قد ورد في بعض كتب المتقدمين ، وأقول عكاظ يقع شمال شرق الطائف بمسافة تقرب من عشرين ميلاً ، والكلام في تحديده الآن أصبح مكرراً ، وفي «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق بحث واف في الموضوع كتبته منذ عشرين عاماً[1] .

١٣ ــ ص ٤٥٩ : هَيْثَمُ موضع بين القاع وزبالة ، وقال البكري : إنها رملة :

والذي فهمته من قول الشاعر أنه يقصد الرمل ولا يقصد موضعاً معيناً . لأن غزلان

---

(١) أنظر «مجلة المجمع العلمي بدمشق» المجلد ٢٦ ص ٣٧٧ الى ٣٩٨ تاريخ رمضان ١٣٧٠ تموز ١٩٥١ .

الرمل يقرب لونها من الصفاء ، والهيثم من أسماء الرمل بصفة عامة ..

١٤ ـــ ص ٤٨٣ : شَمَام جبل في بلاد بني قشير وابنا شمام هضبتان تتصلان بهذا الجبل .

سيقول قائل : وأين بلاد بني قشير؟ إن هذا التعريف صحيح في وقت ما ، أما الآن فقد جهلت بلاد قشير ، وبقي اسم جبل شمام أشهر منها وهو قمة من قممها ، غرب القويعية ، وشمال بلدة عَرْوَى ، ويشاهد منها رأى العين وهي قمة لها رأسان بارزان من بعد ، وعند القرب منهما يَكَـادَانِ يختفيان لارتفاع ما حولها من الجبال ، ويسميان الآن تحريفاً (إذني شمال) .

١٥ ـــ ص ٥٠٢ : حيران أو توازن والمصدر البكري ، وقال الدكتور : في الأصل المخطوط : حبران أو توارن ونراهما تصحيفاً وتوازن جبل باليمن ، وحيران جبل هناك أيضاً اهـ .

وأقول : هذان الاسمان تصفحا على البكري ، واخطأ في تحديدهما بكونهما في اليمن ، ولعله أخذ هذا من أن منازل طيء قديماً كانت في اليمن أما الصواب فهو حُبران بالحاء المهملة بعدها باء موحدة تحتية ، فراء مهملة وهو جبل لا يزال معروفاً يقع غرب جبل أجأ في طرف حرة ليلى من الشرق .

أما توارن فهو من جبال أجأ الشهيرة في وسطه ولا يزال معروفاً أيضاً ، ومنه ينحدر شعب من شعاب أجأ يعرف أيضاً باسم تُوَارِن بالتاء المثناة وبالراء .

والخلاصة : ان الأسمين وردا صحيحين في مخطوطة الديوان ، ومصحفين في « معجم ما استعجم » وبعيدين عن موقعها الحقيقي في تعريف البكري ـــ والله يعفو عنه ـــ فكم زَلَّ فزَلَّ على اثره كثيرون ممن وقفوا عند تحديد الأمكنة موقفه .

وأما بعد : فما ذكرته ما هو سوى ملاحظات لم تبلغ درجة القوة في رأيي فتحمل على تخطئة ما ذكر الصديق الكريم الأستاذ الدكتور عزة ـــ محقق هذا الديوان ـــ وما هي سوى لمحات عابرة أردت من ورائها التعبير عن تقديري لدقته في عمله ، ومشاركته في النظر إلى هذا العمل بعين المستفيد المستزيد ، فليزده الله قوة ونشاطاً في هذا الميدان الذي قل السائرون فيه .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩

القسم الأول : شعراء مترجمون (١٦ — ٢٣٤)

الموضوع	الصفحة
١ — عبدالله بن هَمَّام السَّلُولِيُّ	١٧
٢ — الصِّمَّةُ بنُ عبدالله القُشَيْرِيُّ	٦٥
٣ — جَحْدَرٌ العُكْلِيُّ	١١٥
٤ — يَزِيدُ بن الطَّثْرِيَّةِ	١٣٩
٥ — القُحَيْفُ العُقَيْلِيُّ	١٧٣
٦ — عُرْوَةُ بن أُذَيْنَة	١٨٩
٧ — محمد بن صالح الحسنيُّ	٢٠٥
٨ — محمد بن عبد الملك الأَسَدِيُّ	٢٢١
٩ — ابن المُقَرَّبِ الأحسائيُّ	٢٣١

القسم الثاني : دواوين مَقْرُوءَةً (٢٣٥ — ٣٩٢)

الموضوع	الصفحة
١ — طبقات فحول الشعراء	٢٣٧
٢ — شعر الدعوة الإسلامية في عهد الرسالة	٢٧١
٣ — حاتِم الطائي	٢٧٧
٤ — زُهَيْر بن أبي سُلْمَى الْمُزَنيُّ	٣٢٧
٥ — الحادِرَةَ الغَطَفَانيُّ	٣٤٩
٦ — زيد الخيل الطائي	٣٥٣
٧ — الْمُتَوَكِّلُ اللَّيْثِي	٣٦١
٨ — أَبو دَهْبَلٍ الْجُمَحيُّ	٣٦٩
٩ — عبدالله بن الزَّبِيْر الأَسدي	٣٧٣
١٠ — جميل بن مَعْمَرٍ العُذْري	٣٨١
١١ — الطِّرِمَّاحُ بن حكيم الطائي	٣٨٧

المطابع الأهلية للأوفست
الرياض . شارع عمر بن الخطاب
ص . ب ٢٩٥٧